مراحل السالكين

تأليف

الرفاعي الثاني والإمام الرباني

السيد محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الحسيني

الشهير بالرواس رضي الله عنه

(١٢٢٠ - ١٢٨٧ هـ)

تحقيق

أحمد رمزه بن حمود جحا

أبي الهدى





مراحل السالكين

مراحل السالكين

تأليف

الرفاعي الثاني والإمام الرباني

السيد محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الحسيني

الشهير بالرواس رضي الله عنه

(١٢٢٠ - ١٢٨٧ هـ)

بتوجيهات

فضيلة الشيخ الأزهري المربي بديع الشبلي

تحقيق

أحمد رمزه بن حمود جحا

أبي الهدى

دار البيروتي

مقدمة المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي الفضل والنِّعم والجود والكرم، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، وأطلعه على سلوك أهل الفضل والهِمَم، من تأسَّوا بهدي خير الأنام والأمم، سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ أعلم الخلق بالله، وأشدّهم له خشية وتقوى، من تركنا على محجَّةٍ بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، والصَّلاة والسَّلام الأكملان الأتمان الأطهران على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ المليح صاحب المقام الأعلى واللسان الفصيح، وعلى آله وأصحابه ونوابه وأحبابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد:

إنَّ السُّلوك القويم والسَّليم في التَّعامل مع الخالق والخلق والنَّفس من أهم المهمات لكلِّ مسلمٍ؛ ولكي يتعرف السَّالك على الطريقة المثلى في سلوكه؛ لابدَّ له من صحبة عارفٍ سالكٍ قد خبر طرق التَّعامل مع نفسه أولاً كما استفادها هو أيضاً من مرشده ومُسَلِّكه بعيداً عن الإفراط والتَّفريط، ومتَّبعاً بذلك هدي الحبيب المصطفى ﷺ، مبتعداً عن النفس وأهوائها، وإلى ذلك أشار الإمام الرفاعي رضي الله عنه بقوله[1]: «اطلُبُوا اللهَ بمتابعة رسوله ﷺ، إيَّاكم وسلوكَ طريق الله بالنَّفس والهوى، فَمَنْ سلك الطَّريق بنفسه ضَلَّ في أوَّل قَدم».

وبقوله[2] رضي الله عنه: «مَنْ سَلَكَ الطَّرِيْقَ بِنَفْسِهِ أُعِيْدَ قَسْرَاً؛ هَذِهِ الطَّرِيْقَةُ لا تُوْرَثُ عَنِ

---

(١) «البرهان المؤيد» صـ٢٢ـ.

(٢) «الحكم» رقم ٦٣-٦٤.

الأَبِ والجَدِّ؛ إنَّما هِيَ طريقَةُ العَمَلِ والجِدِّ، والوُقُوفِ عندَ الحَدِّ، وذَرِّ الدُّمُوْعِ على الخَدِّ، والأَدَبِ مَعَ الله تَعَالى.

ظَنَّ بَعْضُ الجَهَلَةِ أنَّ هذه الطَّرِيقةَ تُنَالُ بالقِيْلِ والقَالِ، والدِّرْهَمِ والمَالِ، وظَوَاهِرِ الأعْمَالِ! لا والله؛ إنَّما نَيْلُهَا بالصِّدْقِ والانْكِسارِ، والذُّلِّ والافْتِقَارِ، واتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبيِّ الـمُخْتَارِ ﷺ وهَجْرِ الأَغْيارِ».

وبقوله[1] رضي الله عنه: «مَنْ سَلَكَ الطَّرِيْقَ بِنَفْسِهِ مُعْجَباً بها مُعتمداً على عمله، منحرفاً عن الطَّريق الَّذي سَنَّه النَّبيُّ ﷺ؛ أعيد إلى مقام جهله قسراً، على أنَّ الحبيب الـمُعَظَّم ﷺ بابُ الله الَّذي من لم يقصده منه سُدَّت عليه الطُّرق والأبواب، ورُدَّ بعصي الأدب إلى إصطبل الدَّوابِّ».

ولأهميَّة السُّلوك الصحيح القويم عند المسلمين عامَّة، والصوفية خاصَّة كتب العديد من العلماء الربانيين في السُّلوك وكان من جملة هؤلاء الأئمة الأعلام الإمام السيد محمد مهدي بهاء الدين الرواس رضي الله عنه، فألَّف كتاباً في «مراحل السالكين»؛ وقد أبدع المؤلف في ترتيب مراحله من حيث الأهميَّة والأَوْلَويَّة للسالك، حيث بدءها بأركان الإسلام، وختمها بالتَّحدث بنعمة الله تعالى عليه.

إذ كيف يدعي الوصل والسُّلوك، وأنَّه من الذين امتَنَّ الله عليه بالمعرفة؛ وفي عقيدته زلل، وفي صلاته، بل وفي باقي أركان الإسلام عنده خلل، وفي صحبته لمرشده الكامل في ظلمة طبعه وسوء أخلاقة لم يزل، يقول بأقواله وأقوال أهل الله عز وجل وهو في التَّأدُّب بآدابهم والعمل بأعمالهم بمعزل ...

وقد بَيَّن المؤلف رضي الله عنه بين ثنايا صفحات كتابه المبارك العقيدة السليمة والصَّحيحه، ونصَّ فيها على عقيدة الإمام الرفاعي الكبير وأتباعه السادة الكرام

---

(١) «قلائد الزبرجد» صـ٢٢٢ـ.

ﷺ؛ محذِّراً من الحلول والاتحاد، والوحدة المطلقة، ومن الكلمات التي تخالف بظاهرها الشريعة المطهرة، والتي لا تقبل التَّأويل، وأنَّ ما نسب منها إلى الشيخ الأكبر الإمام محيي الدين بن العربي ﷺ هو منها براء قد دست عليه في كتبه.

وقد أكرمني الله ﷻ بخدمة هذا الكتاب المبارك على قدر المستطاع، وأنَّى لمثلي أن يفي هذا الكتاب حقَّه، ولكن هذا جهد المقل.

ولم أقف على نسخة خطيَّة للمؤلف سوى النسخة التي قام بطبعها وتصحيحها السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي - رحمه الله تعالى - في مطبعة السعادة في مصر سنة (١٣٢٥هـ، ١٩٠٧م).

وفي الختام، أسأل المولى العظيم ﷻ حسن الختام، والوفاة على الإيمان؛ لي ولوالدي ومشايخي وإخواني وأصحاب الحقوق عَلَيّ، وأن يجعل عملي هذا مقبولاً وخالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به سائر المسلمين، إنَّه البرُّ الرَّحيم، والجواد الكريم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الراجي عفو ربه العبد الفقير

أحمد رمزه بن حمود جحا أبو الهدى

منهج التحقيق

- مقدمة التحقيق.
- تخريج الآيات القرآنية.
- تخريج الأحاديث والآثار، ونقلتُ حُكْمَ بعض الأئمة على الأحاديث الموجودة في غير الصحيحين إن وقفت على ذلك.
- تراجم العلماء عدا المشهورين منهم، ومن لم أقف على ترجمة له.
- وضع عناوين للكتاب ضمن معقوفين [ ]، وكذلك كل ما زيد من عمل المحقق.
- الرجوع إلى المصادر والمؤلفات التي نقل منها المؤلف مع ذكر رقم الجزء والصفحة إن وقفت عليها.
- شرح بعض الكلمات الغريبة، ووضع بعض التعليقات اللطيفة.
- ترجمة الإمام المؤلف السيد محمد مهدي بهاء الدين الشهير بالرَّواس قدَّس الله سرَّه.
- فهرست الكتاب: فهرس الأحاديث الشَّريفة، وفهرس الآيات الكريمة، وفهرس الأعلام المترجم لهم، وفهرس المصادر، وفهرس الموضوعات.

ترجمة الإمام المؤلِّف

اسمه ونسبه:

هو الإمام المستأنس بالله تعالى، المستوحش من النَّاس، غريب الغرباء، أبو البراهين، سيِّدنا السَّيِّد بهاء الدين، محمَّد مهدي آل خزام الصَّيَّاديُّ الرِّفاعيُّ الحُسينيُّ، الشهير بـ (الرَّوَّاس).

ولادته ونشأته:

ولد في سوق الشيوخ – من أعمال البصرة – سنة (١٢٢٠)هـ، وشبَّ في مهد الفضل والسِّيادة بين أبويه الطاهرين، فأقرأه أبوه القرآن العظيم، وشغله بطلب العلم على منلا أحمد في سوق الشيوخ، فلمَّا بلغ من العمر ثلاث عشرة سنة وقع في أرضهم طاعونٌ عظيمٌ، فتوفِّي أبوه وأمُّه وأخوته، وبقي يتيماً وحيداً، فقام بتربيته خاله السَّيِّد عبد الله ابن السَّيِّد يوسف، ولـمَّا بلغ من العمر خمس عشرة سنة، خرج من سوق الشُّيوخ مهاجراً إلى مدينة النَّبيِّ ﷺ مع خاله، وتشرَّف بزيارة النَّبيِّ ﷺ، وأقام مع خاله مجاوراً في الأعتاب النَّبويَّة سنتين، ثمَّ حجَّ واعتمر، وأقام بمكَّة المكرَّمة سنةً، ورجع إلى المدينة المنوَّرة، فبعد ستَّة أشهرٍ من رجوعه توفِّي خاله، وبقي وحيداً.

وفي كلِّ تلك المدة لم يفتر عن طلب العلم من علماء الحرمين الشريفين، ثمَّ ذهب إلى مصر سنة (١٢٣٨)هـ؛ لاستكمال علوم الشَّريعة المطهَّرة، وباشر طلب العلم فيها عن أكابر وكُمَّل المشايخ الأعلام في عصره، وأقام في الجامع الأزهر ثلاث عشرة سنة، حتى برع في كلِّ فنٍّ، وتبحَّر في كلِّ علمٍ، مع الزهد العظيم، والعبادة الوافرة، وحسن الخُلُق والبِشر وعُذوبة الكلام.

سياحته ورحلته رضي الله عنه:

بعد رحلتة في طلب العلم في الحرمين الشريفين وفي الأزهر الشريف، عاد سائحاً إلى العراق، ثمَّ طاف البلاد وذهب إلى الهند وخراسان والعجم والتركستان والكردستان، وجاب العراق والشَّام والقسطنطينية والأناضول والروملي، وعاد على الحجاز وذهب إلى اليمن ونجد والبحرين، وطاف البادية والحاضرة، وكان لا يمكث في بلدةٍ سبعة أشهر قط، بل إقامته في البلاد تحت الثلاثة أشهرٍ على الغالب، إلَّا في المدينة المنوَّرة، ومكَّة المكَرَّمة.

نعوته وشمائله:

كان رضي الله عنه رَبعَةً من القوم، إلى الطُّول أقرب، أسمر اللَّون أزهره، كحيل المقلتين أسودهما، حسن المبسم، لطيف المنظر، وسيع الجبهة، أفلج الثنايا، رقيق القوام نحيله، حسن الصوت، عظيم المهابة، قويَّ الناطقة، باهر الحجَّة، عذب المكالمة، فصيح اللهجة، يلبس ثوباً أبيض، وفوقه درَّاعة زرقاء وعباءة قصيرة الأكمام، وحزامه من الصوف الأسود، وعلى رأسه طاقيةٌ من الصوف الأبيض، يلف عليها عِقالاً من الصوف الأسود عملاً بالأثر الرفاعي، وتحققاً بالسنة المحمدية، وتخافياً عن التَّشيُّخ.

سبب شهرته بالرواس رضي الله عنه:

اشتهر بذلك لتجارته رضي الله عنه عند الحاجة ببيع رؤوس الغنم المشوية، فإذا أدرك منها ثمن القوت ترك إلى أن يحتاج إلى القوت الضروري، فيعود لبيعها.

شيوخه في الطريقة الرفاعية العلية:

- مفتي البصرة السيد الشيخ إبراهيم بن بدر الدين الرفاعي الحسيني رضي الله عنه.
- السيد الشيخ عبد الله بن أحمد الراوي الرفاعي الحسيني رضي الله عنه.

كتبه ومؤلَّفاته:

١- بوارق الحقائق؛ طبع مراراً.

٢- فصل الخطاب؛ مطبوع.

٣- طي السجل؛ مطبوع.

٤- رفرف العناية؛ مطبوع.

٥- الحكم المهدوية؛ مطبوع.

٦- خزانة الإشارات.

٧- واردات الغيب؛ مخطوط.

٨- مائدة الكرم في مجلدين ضخمين.

٩- الوثيقة الكبرى.

١٠- الوثيقة الوسطى.

١١- الوثيقة الصغرى.

١٢- المكتوبات الغيبية.

١٣- الرسالة الطلسمية؛ مخطوط.

١٤- الروضة الوردية في الفيوضات الهندية؛ مطبوع.

١٥- بارق الحمى؛ مطبوع.

١٦- الدرة البيضاء؛ مطبوع ضمن (المجموعة النادرة لأبناء الآخرة).

١٧- برقمة البلبل؛ مطبوع ضمن (المجموعة النادرة لأبناء الآخرة).

١٨- الحكم المهدوية الملتقطة من درر الإمدادات النَّبويَّة؛ مطبوع ضمن (المجموعة النادرة لأبناء الآخرة).

١٩- فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة؛ مطبوع ضمن (المجموعة النادرة لأبناء الآخرة).

٢٠- ديوان مشكاة اليقين ومحجة المتقين؛ مطبوع.

٢١- ديوان معراج القلوب إلى حضرات علام الغيوب؛ مطبوع.

٢٢- ديوان فائدة الهمم من مائدة الكرم؛ مطبوع.

٢٣- ديوان نور الفتوح المنبلج من الحضرة الكبرى متدلِّياً إلى الروح؛ مطبوع.

٢٤- نور الشروق فيما سيحدثه الله لنا في فروق؛ مخطوط.

وغير ذلك من كلِّ ما يتعلَّق بالتفسير، والحديث، والفقه، والحكمة النَّظريَّة، والأصول، والرقائق، وأنواع الحقائق والتَّصوُّف.

وفاته رحمه الله تعالى:

توفي - رحمه الله تعالى ورضي الله عنه وعنا به - في بغداد، بعد مرضه عدَّة أيامٍ قلائل، ودفنه محبُّوه في الجانب الشَّرقيِّ من بغداد في مسجد (دكاكين حبوب)، سنة (١٢٧٨)هـ.

انظر: «وسيلة العارفين»، و«قلادة الجواهر» صـ٣٩٣-٤٠٠ـ، و«تنوير الأبصار» صـ١٢٢-١٣٢ـ، و«عقود الألماس» صـ١٦٦-١٧٥ـ، وكلها للسيد أبي الهدى الصيادي رضي الله عنه.

[افتتاحية الكتاب]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أفاض على أهل الحقيقة من نور الشَّريعة ضياءً وضَّاحاً، وأبلج لأهل المعرفة من سماء السُّنَّة مصباحاً وصباحاً، والصَّلاة والسَّلام على شمس الهداية النُّور الأوَّل الذي طلع في أبراج الكيان ساطعاً، ولألأ في حضراتِ الغيوبِ وحظائر الشُّهود لامعاً، فأيَّد باطن الحقِّ بِمَحْقِ الباطل في البطون والظهور، وأخرج الأمَّة بقوَّة عزم عزيمته المقدَّسة من الظُّلمات إلى النُّور، فهو محمَّد الهادي إلى الله، والدَّال على الله، والمُعلي لكلمة الله في مُلك الله، عليه وعلى آله الطَّاهرين، وأصحابه المرضيِّين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، أفضل الصَّلاة والسَّلام، في كلِّ حضرةٍ ومقامٍ، ما برز خفيُّ سرٍّ عن جليِّ إلهامٍ، وانطوى بارزٌ في منشور دور الأيَّام على الدَّوام، آمين.

أما بعد:

فيقول أضعف العباد في الإصدار والإيراد، خويدم العلماء والفقراء، والمنعوت في حظيرة الحظائر بغريب الغرباء، محمَّد مهدي ويلقَّب: بهاء الدِّين، ابن عليٍّ آل خزامٍ الصَّيَّاديُّ الرِّفاعيُّ الحسينيُّ، كان الله له ولوالديه وللمسلمين غوثاً وعوناً في كلِّ مُغيَّبٍ وعينيٍّ، وغفر له ولهم أجمعين، إنَّه ولـيُّ المتقين:

هذا كتابٌ مباركٌ شريفٌ سمَّيتُهُ: «**مَرَاحِلُ السَّالِكِيْنَ**» نفع الله به المحبِّين والمسلمين، آمين.

مقدِّمةٌ

قد عرف العارفون من أرباب الهمم الصَّادقة، والأذواق الحقَّة والمشاهدات الحاذقة، أنَّ الطَّريقة العليَّة الرِّفاعيَّة، والمحجَّة المباركة الأحمديَّة، هي التي تؤول في منهاجها، وترتقي في معراجها، إلى سيِّد القوم، المبرأ في طريقه عن اللَّوم، ألا وهو عَلَمُ الله المنشور، وبحرُ المددِ المسجور، سلطانُ الأولياء، وبرهان الأصفياء، المشَرَّف بين الألوف بتقبيل يد جدِّه سيِّد الأنبياء - عليه صلوات خالق الأشياء - شيخُنا وسيِّدُنا الغوث الأكبر، والقمر البتولي الأزهر، إمام الدَّوائر، جَحْجَاحُ[1] الحظائرِ، شيخُ الأكابر والأصاغر، الوارثُ المحمَّديُّ الأكمل، والنائب النَّبويُّ الأفضل، بحر العوارف الصَّمدانيَّة، شمسُ اللطَّائف والمعارف النَّبويَّة، القطب الفرد الجامع، الخاشع الخاضع المتواضع، ربُّ المناقب الصَّحيحة المسلسلة، المرشد الذي هو في مِنَصَّة النِّيابة الجامعة، شيخُ من لا شيخ له، أبو العلمين، قرةُ عينِ جَدِّهِ الإمام الحسين، نبعةُ حال السِّبطين الجليلين، رافع رايتي النِّيابتين، أستاذ الفريقين، المندوب لـما استودع من السِّر الإلهي في جميع الدَّواعي، مولانا السَّيِّد محيي الدِّين أحمد الكبير الرِّفاعيُّ، رضي الله عنه وعنَّا به، وجعلنا من خاصَّة أشياعه وأحبابه، وأوقفنا لخدمة مشربه الـمُحمَّديّ في بابه، وأدَّبنا الله بحقائق آدابه، ونفعنا بعلومه وأسراره، وأحواله ومقاماته وأطواره، والمسلمين، إنَّه البَرُّ المعين.

وطريقته العليَّة التي تُنسب إليه، ويدور مدارها المبارك عليه، هي عند مَنْ يعرفُ سرَّ الشَّرع الأنور، ويفهمُ لبابَ منهاج طريق القوم الأزهر: أقوم طرق أهل الحقيقة على الحقيقة، وأقرب معاريج أرباب الطَّريقة إلى بُحْبُوْحَةِ[2] الطَّريقة الحقيقة.

---

(١) الجَحْجَحُ: السيد السَّمْحُ، وقيل: الكريم . «لسان العرب» مادة: (جحجح).

(٢) البُحْبوحةُ: وَسَطُ المَحَلَّةِ، وبُحْبوحةُ الدار وسطها، وبُحْبُوحة كل شيء: وسطه وخياره. «لسان العرب» مادة: (بحح).

غير أنَّ أمر الدِّين الحنيفي يحتاج للتَّجديد؛ لِـمَا يطرأ من أولي الإهمال والجهالة عليه، ولِـما يضيفه أرباب الأحقاد مِـمَّا لم يكن منه إليه، يشهد لذلك قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُـجَدِّدُ لِـهَذِهِ الأُمَّةِ أَمْرَ دِيْنِهَا**»[1]؛ هذا لِـمَا يطرأ على الدِّين من موجبات التَّجديد.

ثَبَتَ عن سيِّدنا عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه كان يقول: **أَنْتُمُ اليَوْمَ فِي زَمَانٍ الـهَوَى فِيْهِ تَابِعٌ لِلعِلمِ، وَسَيَأْتِي عَلَيْكُم زَمَانٌ يَكُوْنُ العِلْمُ فِيْهِ تَابِعاً لِلْهَوَى**.

وقد صحَّ عن سيِّدنا عبد الله بن عبَّاسٍ **رضي الله عنهما** أنَّه قال: **لا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ عَامٌ إِلَّا أَمَاتُوا فِيْهِ سُنَّةً وَأَحْيَوْا بِدْعَةً حَتَّى تَـمُوْتَ السُّنَنُ وَتَحْيَى البِدَعُ**[2].

وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: **يَظْهَرُ الـمُنْكَرُ وَالبِدَعُ حَتَّى إِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيءٌ قِيْلَ: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ**[3]. **قلت**: وأطال في حديثه المبارك ثمَّ قال: **أَكيَسُهُم فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي يَرُوْغُ بِدِيْنِهِ رَوَغَانَ الثَّعَالِبِ**[4].

وفي سنة ثمانين، وقد كان الحَجَّاجُ الثَّقفيُّ أميراً على العراق مِنْ قِبَلِ الأمويين، فقد

---

(١) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبو داود في «السنن»: كتاب الملاحم (٣٨) باب مَا يُذْكَرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ (١) رقم ٤٢٩١، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الفتن والملاحم (٥٠) رقم ٨٥٩٢.

(٢) رواه عن ابن عبَّاس **رضي الله عنهما**: الطبراني في «المعجم الكبير» رقم ١٠٦١٠، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٩٣: رجاله مُوَثَّقُون.

(٣) رواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: الحاكم في «المستدرك»: كتاب الفتن والملاحم (٥٠) رقم ٨٥٧٠، والدَّارمي في «السنن»: باب تغير الزمان وما يحدث فيه (٢٢) رقم ١٨٥، والبيهقي في «الشعب»: رقم ٦٩٥١، ولفظهم: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ، قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ؟ قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ».

(٤) رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: البيهقي في «الزهد الكبير» رقم ١٣٥، ونعيم بن حماد في «الفتن» رقم ٥٠١، ولفظه: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الْمُؤْمِنُ فِيْهِ أَذَلُّ مِنَ الأَمَةِ، أَكْيَسُهُم الَّذِي يَرُوْغُ بِدِيْنِهِ رَوَغَانَ الثَّعَالِبِ».

كان سيِّدنا أنس بن مالكٍ ﵁ يقول: **مَا أَعْرِفُ شَيْئَاً كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُوْلِ الله ﷺ إِلَّا وَقَدْ غُيِّرَ إِلَّا شَهَادَةَ أَنْ لا إله إِلَّا اللهُ، قِيْلَ: فَالصَّلاةُ؟ قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ أَحْدَثُوْا فِي الصَّلاةِ مَا عَلِمْتُمْ**[1]. يعني: تأخيرها والتَّثويب قبلها، وهو السَّلام على الأمراء يضاهون به الإقامة فجعلوه كالسُّنَّة.

قالَ الشَّعبيُّ[2] - طَابَ ثَرَاهُ -: «يأتي على النَّاسِ زمانٌ يُصَلُّونَ فيه على الحَجَّاجِ»[3]؛ لأنَّ الحَجَّاجَ ابتدع أشياء أنكرها النَّاسُ عليه في زمانه، وهي اليوم سُننٌ معروفةٌ، وأعمالٌ مستحسنةٌ، يترحَّم النَّاسُ على من أحدثها ويغبطونه، ويَحْسَبُون أنَّه مأجورٌ عليها مشكورٌ سعيه فيها، ولا يَعْرِفُونَ أنَّ الحَجَّاجَ أحدَثَها.

فهذه العوارض تطرأ على أمر الدِّين؛ ولذلك يحتاجُ إلى التَّجديد، فبالأولى أن يطرأ مثل ذلك على حال وليٍّ أفرغَهُ في الأُمَّة، وامتزجت فيه العاداتُ المستحسنةُ لحكمةٍ، وبدت فيه الأسرارُ الرَّبَّانيَّةُ لباعثٍ، فذلك الحالُ الذي هو سنن الوليِّ في طريقته يحتاجُ في كلِّ آنٍ للتَّجديد.

والـمُجدِّدُون من أهل العلم قليلون، ولا تزلقْ فَتَرَ[4] مَنْ كَثُرَتْ أتباعُه وانتشرت

---

(١) رواه عن أنسٍ ﵁: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب مواقيت الصلاة (٩)، باب تضييع الصلاة عن وقتها (٧) رقم ٥٢٩، ولفظه: مَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ، قِيلَ: الصَّلاَةُ ؟ قَالَ: أَلَيْسَ ضَيَّعْتُمْ مَا ضَيَّعْتُمْ فِيهَا.

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو (١٩ - ١٠٣)هـ: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، وكان فقيهاً، ومن رجال الحديث الثقات، نسبته إلى (شعب)، وهو بطن من همدان. «الأعلام» للزركلي ٣/ ٢٥١.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٢/ ١٧٥.

(٤) في الأصل المطبوع (فترى) بإثبات الألف؛ وهي بلا شك خطأ مطبعي، والصحيح (فتر)؛ لأنها جواب طلب مجزوم بحذف حرف العلة من آخره، وقد وردت في أماكن أخرى في هذا الكتاب المبارك فقمت بتصحيحها.

أشياعُه من المجددين، كلا بل المجدِّدُ من ظهرت على يديه أسرارُ إحياءِ السُّنَّة وإماتة البدعة، وشَرُفَتْ أفعالُهُ، وسَلِمَتْ مِنَ الزَّيغِ أقوالُهُ، وصحَّ بالاتِّباع المحمَّديِّ حالُهُ.

قال شيخُنا إمامُ الصِّدِّيقينَ في زمانِهِ، حكيمُ الأولياءِ السَّيِّدُ أحمد الرِّفاعيُّ رضي الله عنه: «كلُّ طريقةٍ خالَفَتِ الشَّريعةَ فهي زندقةٌ»؛ فالطُّرق التي لم تشرقْ مناهجُها بنور عِلْمِ النَّبيِّ ﷺ وعمله كلُّها باطلةٌ، والطَّريق الحقُّ، طريقُهُ ﷺ.

قالَ - أرواحُنا لجنابِهِ العظيمِ الفداءُ -: «**تَرَكْتُ فِيْكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوْا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ الله وَسُنَّةَ رَسُوْلِهِ**»(1).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾[الأنعام:١٥٣]، والصِّراطُ المستقيم: طريقُ المصطفى الأعظمِ ﷺ وسُنَّتُهُ.

وقد درج على اتِّباعِهِ - عليه الصَّلاة والسَّلام - آلُهُ وأصحابُهُ والقومُ الخُلَّصُ من السَّلف الصَّالح، ففازوا وغنموا؛ لأنَّ مَنْ يعمل بسُنَّته وحالِهِ لا يَضِلُّ في الدُّنيا ولا يشقى في الآخرة؛ وذلك لأنَّ الله تعالى وعد من اهتدى بهديه - عليه الصَّلاة والسَّلام - بإعطاء زيادة الهُدى، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾[محمد:١٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» معلقاً بهذا اللفظ: كتاب القدر (٤٦)، باب النهي عن القول بالقدر (١) رقم ٣.

ورواه عن ابن عبَّاس **رضي الله عنهما**: الحاكم في «المستدرك»: كتاب العلم (٢) رقم ٣١٨، ولفظه: «**يا أيها النَّاسُ، إنِّي قد تركتُ فيكم ما إنْ اعتصمْتُم به فلن تَضِلُّوا أبداً: كتابَ الله و سُنَّةَ نبيِّهِ ﷺ**».

ورواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: الحاكم في «المستدرك»: كتاب العلم (٢) رقم ٣١٩، والبيهقي في «السنن الكبرى»: كتاب أدب القاضي (٨١)، باب ما يقضي به القاضي ... (٢٠) رقم ٢٠١٢٤، ولفظ الحاكم: «**إنِّي قد تركتُ فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتابَ الله و سُنَّتي، و لن يتفرَّقا حتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض**».

[صون الله تعالى الطريقة الرفاعية من المزالق]

وقد طرأ على طريق القوم ومنهاجهم منذ قرونٍ العجائبُ من الأقوال والعادات، حتَّى كادَتْ تدخل عند الكثير من أتباعهم في العبادات، وأقبحُها - والعياذ بالله تعالى -:

- القول بوحدة الوجود المطلقة[1].

---

(١) قال الإمام الرفاعي ﷺ في «حكمه» رقم (٧): «لَفْظَتَانِ ثُلْمَتَانِ فِي الدِّينِ: القَولُ بِالوَحْدَةِ، والشَّطْحِ الْمُجَاوِزُ حَدَّ التَّحَدُّثِ بالنِّعمَةِ»، وقال السيد أبو الهدى الصيادي - رحمه الله تعالى - في كتابه «نور الإنصاف» صـ ٦٧ ـ في بيان معنى الوحدة المطلقة: «فيقولُ إذاً ربُّ ذلك الزَّعم الفاسد، والمذهب الباطل الكاسد: الله خالق الأشياء وهو هي، ويُسقِط ذلك الضَّال التَّكاليف، ويُعطِّل أحكام الشَّرع، ويرى أنَّ هذا الكون المجتمع هو الله سبحانه - تعالى الله عمَّا يقول الظالمون عُلوَّاً كبيراً - وقد أنكر هذا المذهبَ الباطل أئمةُ الدِّين، وأشياخُ المسلمين، وأولياء الله تعالى، وعلماء الأمة طبقة بعد طبقة، وقد أطبقوا كلُّهم على تكفير معتقد هذا القول السَّقيم بلا نزاع».

وقال المؤلف ﷺ الرفاعي الثاني السَّيِّد محمَّد مهدي بهاء الدِّين الشَّهير بالرَّوَّاس - قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ونفَعَنا بِهِ - في ديوانه «مشكاة اليقين» صـ ٢٢٥ـ: وقلتُ أُمَزِّقُ سجف الشَّقشِقة من أهل الوحدة المطلقة:

دعْ وهمَ أهلِ الوَحدَةِ المُطلقَهْ ... وافهمْ رُموزَ الجمعِ والتَّفرِقَهْ
كلَّ اتِّحادٍ حُكمُهُ باطِلٌ ... وشاهِدُ الظَّاهِرِ قدْ مَزَّقَهْ
من غيَّرَ الأيَّامُ أحوالَهُ ... وشيَّبَتْ رغماً لهُ مِفرَقَهْ
ثُمَّ حَنَتْهُ ثمَّ طاحَتْ به ... تحتَ الثَّرى في حُفرةٍ مغلَقَهْ
ومن يَرى الفَقرَ ويَلقى العَنا ... وتَعترَيهِ النُّوَبُ المُقْلِقَهْ
وكلَّ وقتٍ كُلُّهُ حاجَةٌ ... لثوبِهِ والخُبْزِ والمَلْعَقَهْ
وتكْتَنفْهُ في الخَلا وحشَةٌ ... ويتَّزِرْهُ الأنسُ بالطَّقْطَقَهْ
يبولُ مقْهوراً وتَلوي به ... لنومِهِ جُثَّتُهُ المُعرقَهْ
يكونُ عَينَ الله عزَّ اسمُهُ ... حاشا وذا من دَنَسِ الزَّنْدَقَهْ
فنزِّهِ الخالِقَ عن قولِ من ... أشرَكَ واطْرَحْ هذه الشِّقْشِقَهْ
ما وحَّدَ اللهَ تعالى امرؤٌ ... مُعْتَقِدٌ بالوَحدَةِ المُطلَقَهْ

- والازْدِلافُ[1] عن وهمٍ إلى مشارب أهل الحلول[2].
- والأخذ بالتَّبجُّح والشَّطحات[3]، ونسبة التَّأثير إلى المخلوق استبداداً.

---

(١) زَلَفَ إليه وازْدَلَفَ وتَزَلَّفَ: دنا منه، واقترب. «لسان العرب» مادة: (زلف).

(٢) **الحلول**: قال الإمام الفخر الرازي في «مفاتيح الغيب» في تفسير سورة مريم آية (٣٠): ذكروا للحلول تفسيرات ثلاثة:

أحدها: كون الشَّيء في غيره ككون ماء الورد في الورد، والدُّهن في السمسم، والنَّار في الفحم، واعلم أنَّ هذا باطلٌ؛ لأنَّ هذا إنَّما يصحُّ لو كان الله تعالى جسماً! وهم وافقونا على أنَّه ليس بجسم.

وثانيها: حصوله في الشَّيء على مثال حصول اللَّون في الجسم، فنقول: المعقول من هذه التَّبعيَّة حصول اللَّون في ذلك الحيِّز تبعاً لحصول محلِّه فيه، وهذا أيضاً إنَّما يُعقل في حقِّ الأجسام لا في حق الله تعالى.

وثالثها: حصوله في الشَّيء على مثال حصول الصِّفات الإضافية للذَّوات، فنقول: هذا أيضاً باطلٌ؛ لأنَّ المعقول من هذه التبعية الاحتياج! فلو كان الله تعالى في شيءٍ بهذا المعنى لكان محتاجاً فكان ممكناً فكان مفتقراً إلى المؤثِّر، وذلك محالٌ، وإذا ثبت أنَّه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى مُلخَّص يمكن إثباته في حقِّ الله تعالى امتنع إثباته.

أما الاتِّحاد: هو قولهم: إنَّ العبد صار هو الرَّبُّ – والعياذ بالله تعالى – كما ذكره الإمام الغزالي في «المقصد الأسنى» صـ١٢٧ـ، وقال الإمام الرازي في «مفاتيح الغيب» في تفسير سورة مريم آية (٣٠) في بيان بطلانه: أما القول بالاتِّحاد فهو باطلٌ قطعاً؛ لأنَّ الشَّيئين إذا اتَّحدا فهما حال الاتِّحاد، إمَّا أن يكونا موجودين أو معدومين، أو يكون أحدهما موجوداً والآخر معدوماً، فإن كانا موجودين فهما اثنان لا واحدٌ، فالاتِّحاد باطلٌ، وإن عُدما وحصل ثالثٌ فهو أيضاً لا يكون اتِّحاداً بل يكون قولاً بعدم ذينك الشَّيئين، وحصول شيءٍ ثالثٍ، وإن بقي أحدهما وعُدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتَّحد بالموجود؛ لأنَّه يستحيل أن يقال: المعدوم بعينه هو الموجود فظهر من هذا البرهان الباهر أن الاتِّحاد محالٌ.

(٣) قال السيد أبو الهدى الصيادي – قدَّسَ اللهُ سرَّه – في كتابه «نور الإنصاف» صـ ٦٧ – ٦٨ـ مانصُّه: «نصَّ العارفون من السَّلف الصَّالح أنَّ الشَّطح: هو التَّجاوز، والتَّبجُّح، والتَّزحزح من مكانٍ إلى آخر، وهو رعونة دعوى لا يحتملها القلب فيلقيها إلى اللسان فينطق بها لسان الأحمق.

وقال آخرون: بل هي من الزَّلات التي لا تصدر عن محقّقٍ أصلاً.

وقالوا: الوليُّ إذا كان حاله أكمل من مقامه تصدر منه الكلمات الزَّائدة والشَّطحات، ويغلبه الوجد فيطيش طيش المعجب.

وقالوا: الشَّطح الَّذي يلفظ به أهل السُّكر من العارفين، هو كلامٌ صادرٌ عن وجدٍ وشوقٍ وشدة غليانٍ =

وكلُّ ذلك من المفاسد التي تضرُّ بالدِّين، وتُدْخِلُ صاحبها في زمرة المخذولين، ولا عدوان إلَّا على الظَّالمين.

وقد صان الله تعالى طريقة سيِّدِنا ومولانا السَّيد أحمد الكبير الرِّفاعيِّ ﵁ من هذه المزالق، فهي إلى الآن لم توجد في أتباعه وأشياعه، ولا قال بها منهم قائلٌ، لا من كبارهم ولا من صغارهم.

[سبب النِّقمة على الطَّريقة الرِّفاعيَّة]

وغاية ما نقمه عليهم النَّاقمون دخول بعضهم في النِّيران، وركوب السِّباع، والضَّرب بالأسلحة القاطعة، وشرب السُّموم، والتَّسلُّق إلى المنارات والنَّخيل وإلقاء الرَّجل نفسه إلى الأسفل، وشيوع ذلك في عامَّتهم وانهماكهم بمثل هذه

=

وعِظَمِ عشقٍ.

وهو في اللغة العربية: الحركة، يقال: شطح يشطح إذا تحرك، ويقال للبيت الذي تحرز فيه الدَّقيق مشطاح من كثرة ما يُحرِّكون فيه الدَّقيق، فشطح العارفين مأخوذٌ من حركة أسرارهم، ولسان الشَّطح كيف كان هو من أسباب الوقيعة بصاحبه، وهو نقصٌ في مرتبة الولاية، وذلك بالنِّسبة إلى المتمكِّنين من الأولياء كمال بالنسبة إلى غيرهم، لكن على شرط قبوله التأويل الحسن، فإنَّ من الشَّطح ما يقبل التأويل، ومنه ما لا يقبل التَّأويل، فالشَّطح الَّذي يقبل التَّأويل إن كان عن حالٍ صادقٍ لا يؤاخذ صاحبه، وإن كان عن حالةٍ خياليةٍ فهو من الضَّلال المحض والعياذ بالله، والشَّطحات التي تصدر من أهل الأحوال الصَّادقة لا تقدح في مقامهم ومنازلهم، ولكن لا يُقتدى بهم فيها، ولا يصحُّ أن تروى أو تدون؛ لأنَّ ذلك من مزالق الأقدام، و المتمكِّنون من أهل المقامات لا يصرفهم الحال إلى قولٍ فوق التحدث بالنعمة ...».

وقد ذكر العلامة الوتري في «روضة الناظرين» صـ ١٦ـ قول سبط الإمام الرفاعي إبراهيم الأعزب **رضي الله عنهما** في ذلك:

شطحُ الرِّجالِ على السُّقوطِ ... وأخو الخمورِ لدى الصُّحاةِ
يتكاثَرونَ بشطحِهِم لحِجابِهِم ... وأولوا الكمالِ الخاشعونَ قليلُ
فالذَّلُّ للمولى سبيلٌ واصلٌ ... والشَّطحُ للقطعِ المُريبِ سبيلُ

الأفعال، حتَّى غار لمثل هذه الخوارق الجليلة بعضُ الفقهاء، وإن لم يبلغوا مرتبة الفقهاء الأحِقَّاء، فأرادوا تحريفها وإسقاطها عن مرتبة الكرامة بدعوى أنَّها لم تصدر عمَّن لم يكن بنسبة أقيستهم وليَّاً يستحقُّ الكرامة.

[آفات بعض المتفقِّهة]

وقد غلطوا بتأويلاتهم وابْتُلوا فيما يمزق حالهم من جهة أخرى، فمن أولئك المُتَفَقِّهَة:

- أناسٌ صحَّحُوا اللِّسانَ وأمرضوا الجَنَانَ، تزيَّنوا للنَّاس في الظَّواهر، وأفسدوا البواطن، وأعملوا الألسن بمذمَّة المسلمين، وقادوا النَّاس لسوء الظَّن بإخوانهم المؤمنين، ونسوا ما وجب عليهم من حقوق الله، وخالفوا فيما اقترفوه سُنَنَ السَّلف الصَّالح - عليهم رضوان الله -.
- وآخرون كَبُرَ علمُهُم عن عقولهم فلم يُحسِنوا التَّصرُّفَ في العلم، فخبطوا - مع كثرة علمهم - وغلطوا ورفعوا بزفرة الدَّعوى أنفسَهم فسقطوا.
- ومنهم أناسٌ هَمُّهُم الجَعْجَعَة[1] بين العامَّة؛ لجلب أنظار الرَّعاع[2] إليهم، وجمع الغوغاء من الأطراف والأوباش عليهم؛ لغرضٍ في النَّفس حالة كونهم لا حظَّ لهم من الاتِّباع الصَّحيح، بل هم ساقطون في وَهْدَةِ الحال الشَّين[3] القبيح.
- ومنهم من يَتَحَكَّمُ حمقاً بالأحكام فيصرفها إلى غير ما أتت به وله، يثبت منها ما أثبته، ويهمل ما أهمله.

---

(١) الجَعْجَعة: صوت الرَّحَى ونحوها، وفي المثل: أَسْمَعُ جَعْجَعةً ولا أَرى طحْناً، يُضرَب للرَّجُل الذي يُكثر الكلام ولا يَعْمَلُ، وللذي يَعِدُ ولا يفعل. «لسان العرب» مادة: (جعع).

(٢) الرَّعاعُ: الأَحداثُ، ورَعاعُ الناس: سُقّاطُهم وسفلتُهم. «لسان العرب» مادة: (رعع).

(٣) الشَّيْنُ: خلاف الزَّيْن، والعرب تقول: وجه فلان زَيْنٌ، أي: حَسَنٌ ذو زَيْنٍ، ووجه فلان شَيْنٌ، أي: قبيحٌ ذو شَيْنٍ. «لسان العرب» مادة: (شين).

وما كلُّ أولئك بفقهاء وإن شاع ذكر بعضهم، والتفَّتْ عليهم المحافل، وجادلَ لهم المُجادل.

سألَ فرقد[1] ﷺ من الإمام الحسن البصريّ[2] ﷺ مسألةً فأجابه، فقال له: يا أبا سعيد، إنَّ الفقهاء يخالفونك، فقال: ثكلتك أمُّك فُرَيقد، وهل رأيت بعينك فقيهاً ؟! إنَّما الفقيه: الزَّاهدُ في الدُّنيا، الرَّاغبُ في الآخرة، البصيرُ بدينه، المداومُ على عبادة ربِّه، الكافُّ عن أعراض المسلمين، العفيفُ عن أموالهم، النَّاصحُ لجماعتهم[3].

فأقول: إنَّ صدور الخوارق التي مرَّ ذِكْرُها على يد الرَّجل المنتمي لطريقة سيِّدنا الإمام الرِّفاعيِّ ﷺ، صالحاً كان أو لم يكن، لا يُعَدُّ ذلك كرامةً له، وإنَّما هو من إكرام الله تعالى لعبده ووليِّه السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ ﷺ هبة الله له، وهي ساريةٌ جاريةٌ لا تنقطع بإذن الله؛ فإنَّ الله ﷻ إذا وهب ما استرَدَّ.

(١) فرقد بن يعقوب السبخي أبو يعقوب البصري، من سَبَخَةِ البصرة، وقيل: من سَبَخَةِ الكوفة تـ (١٣١)هـ: أسند عن أنس بن مالك ﷺ، وسمع جماعةً من أكابر التَّابعين، وشَغَلَهُ التَّعبُّدُ عن حفظ الحديث؛ فأعرض النَّقلةُ عن نقل حديثه. انظر «تهذيب التَّهذيب» لابن حجر رقم ٤٨٧، ٨/ ٢٣٦، و«الكواكب الدُّرِّيَّة» للمُنَاوي رقم ١٥٦، ١/ ٢٦٦.

(٢) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (٢١ – ١١٠)هـ: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النُّسَّاك، ولد بالمدينة، في خلافة سيِّدنا عمر ﷺ، وكانت أُمُّه خيرة مولاةً لأُمِّ سلمة **رضي الله عنها**، وشبَّ في كنف عليِّ بن أبي طالبٍ ﷺ، وسكن البصرة، وعَظُمَت هيبتُه في القلوب، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحقِّ لومة لائم، وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار، قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه النَّاس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصَّحابة، وكان غايةً في الفصاحة، تَنْصَبُّ الحمكة من فيه، وتوفي بالبصرة رحمه الله تعالى. انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي٤/ ٢٢٣، و«الأعلام» للزركلي ٢/ ٢٢٦.

(٣) رواه الدَّارِمي في «السنن» رقم ٢٩٤، وفيه السائل عمران المنقري، قال: قلت للحسن يوماً في شيءٍ قاله: يا أبا سعيد، ليس هكذا يقول الفقهاء، فقال: ويحك، ورأيت أنت فقيهاً قط ؟! إنَّما الفقيهُ: الزَّاهد في الدُّنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، المداوم على عبادة ربه.

نَعَمْ؛ يُعاتَب البعض مِـمَّن ينتمي للطَّريقة العليَّة الرِّفاعيَّة على عدم التَّمسُّك كل التَّمسُّك بما كان عليه إمام الطَّريق ﷺ، ويؤاخَذ لِعَدَم العِلْمِ بشأنه ومنهاجه، وسلوكه وآدابه، وحِكَمِهِ وأطواره وأخلاقه، وحِلمِهِ وتواضُعِه، وتَحقُّقِهِ بالحال والشَّأن المحمَّدِيَّيْنِ، والغيرة على الشَّرع الشَّريف، ورِقَّة التَّعبير في النَّصيحة وإبذالها للمخلوقين جميعاً.

هذا مع إرادة النَّفع لكلِّ النَّاس على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ومذاهبهم ومشاربهم، ومعرفة المراتب والحدود والتَّحلِّي بالوفاء بالعهود والوقوف عند الحدود.

[سببُ تأليفِ الكتاب]

ولغُفُول البعض عن هذه الحقيقة، أردت أن أخدمَ طريقَهُ المبارك ومنهاجَهُ السَّعيد بهذا الكتاب المستطاب؛ لِيُجَدِّدَ - إن شاء الله - لسُلاَّكِ الطَّريق أحكامَهُ، ولِيَرْفَعَ في حضرات الحقائقِ الشَّرعيَّةِ أعلامَهُ.

وهو كتابٌ مع اختصاصه بالطَّريق الشَّريف الرِّفاعيِّ لا يستغني عنه عاقلٌ من سُلاَّكِ الطُّرُقِ السَّائرة؛ فإنَّ طريقَ القومِ واحدٌ[1]، كلُّه إلى الله ورسوله عائدٌ، فمن أرادَ سلوكَ الطَّريق المحمَّديّ الذي لا غبار عليه، وانتهاجَ المنهج الأحمديّ الذي طارت قلوبُ أهل الوجدان إليه؛ فعليه بهذا الكتاب المبارك، وليتَّخِذْهُ حرزاً وذخيرةً وكنزاً؛

---

(١) قال السيد أبو الهدى الصيادي ﷺ في «تطبيق حكم الطريقة العلية على الأحكام الشرعية النبوية» صـ ٢٩٦ـ ما نصُّه: وما أعذب قول شيخنا القطب الجليل الرَّواس ﷺ في هذا المعنى المبارك، ونصُّه:

طَرِيْقُ القَوْمِ أَهْلُ الله وَاحِدْ ... فَقُلْ لابْنِ الزَّوَايَا والـمَسَاجِدْ
أَبُوْكَ وَلِيُّ أَمْرِكَ يَوْمَ تَسْرِي ... وَمَا البَاقُوْنَ بِالقَوْمِ الأَبَاعِدِ
فَأَيِّدْ مَجْدَ وَالِـدِكَ ابْتِهَاجَا ... وَعَظِّمْ قَدْرَ إِخْوَتِهِ الأَمَاجِد

ففيه – بعون الله – إلى الحقِّ الطَّريقُ الصَّوابُ، وإلى ساحة الوصول بابُ اتِّصالٍ، ياله من بابٍ، والله الموفق المعين، وهو يتولى الصَّالحين.

وهنا سننصُّ على مراحل القوم إلى حضرة القدس مرحلةً مرحلةً؛ ليتضح الطَّريق إلى رُكبان الحقيقة، وسُلاَّك الطَّريقة، وهذا هو الطَّريق، وإنَّما إثمه على الذين يبدِّلونه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أَوَّلُ المراحلِ: القيامُ بأركان دين الإسلام الخمسة

وهي: الإتيان بالشَّهادتين المباركتين، والصَّلاة، والصَّوم، والزَّكاة، وحجِّ البيت إن استطاع المؤمنُ إليه سبيلاً.

[الركن الأوَّل من أركان الإسلام: النطق بالشهادتين]

أمَّا النُّطقُ بالشَّهادتين، والإيمان بما انطوتا عليه: فهو حصن الله الأكبر، وهو بابُ كلِّ خيرٍ دينيٍّ ودنيويٍّ، ولا ينفع بغير الشَّهادتين عملٌ، ولا يتمُّ للعبد بسواهُما من حضرة الحقِّ أملٌ، وبهما يُفَرَّقُ بين المؤمن بالله وبرسوله ﷺ، وبين غيره.

وكلمة **لا إله إلا الله**: نور القلب والسِّرِّ، وكلمة **محمَّدٌ رسول الله**: نور الوجه، ومعراج الرُّوح إلى حضيرة القدس، بهما الخروج من الظُّلمات إلى النُّور، والنَّجاة - بعون الله - يوم الحشر والنُّشور.

ففي **لا إله إلا الله**: القول بوحدانيَّة الواحد الأحد الفرد الصَّمد، ألا وهو الله الذي لا إله إلا هو الذي لا شريك له، ولا نظير له، ولا ندَّ له، ولا ضدَّ له، الذي يحيي ويميت وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

والتَّوحيد قد عَرَّفه سيِّدُنا الإمام الرِّفاعيُّ - رضي الله عنه وعنّا به - فقال: هو وجدانُ تعظيمٍ في القلب يمنع عن التَّعطيل والتَّشبيه.

والبراهين على التَّوحيد قائمةٌ في كلِّ شيءٍ، وبادِيَةٌ من كلِّ شيءٍ، لا يجهلُها إلَّا من سَفِهَ نفسَهُ.

وفي قول **محمَّدٌ رسول الله**: نَشْرٌ لِلِواءِ التَّصديق لِمُعَلِّم الخير، المُبَلِّغ الأعظم، على رأس المُتَّبع المؤمن المطيع؛ لتحصل له الولاية العامَّة من رسول الله ﷺ، كما في قوله

تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٦].

وبدوام الذِّكر: طمأنينةُ القلب، وحسنُ الذِّكر في الملأ الأعلى.

وبكثرة الصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ: بركةُ الامتثال لأمر الله، والموافقةُ لله ولملائكته عليهم السَّلام، ونورُ القلب والوجه، والصَّلاةُ من الله على العبد، وهي: الرَّحمةُ المحيطةُ التي تجيزُ بإذن الله العبدَ على الصِّراط، وتحسُنُ بها العاقبة إن شاء الله تعالى.

[فضل الذِّكر]

وحيث حصل التَّنبيه على قول **لا إله إلا الله** فقد لزم أن نذكر شيئاً ممَّا يتعلَّق بالذِّكر.

عن أبي رزين رضي الله عنه[1] أنَّه قال: قَالَ لَهُ رَسُوْلُ الله ﷺ: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلَى مِلاكِ هَذَا الأَمْرِ الَّذِيْ تُصِيْبُ بِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟ فَعَلَيْكَ بَمَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَإِذَا خَلَوْتَ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ مَا اسْتَطَعْتَ بِذِكْرِ الله، وَأَحِبَّ فِي الله، وَأَبْغِضْ فِي الله، يَا أَبَا رَزِيْنُ، هَلْ شَعَرْتَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ زَائِراً أَخَاهُ شَيَّعَهُ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ، كُلُّهُمْ يُصَلُّوْنَ عَلَيْهِ يَقُوْلُوْنَ: رَبَّنَا، وَصَلَ فِيْكَ فَصِلْهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَسَدِكَ فِي ذَلِكَ فَافْعَلْ**»[2].

قلت: قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾[المزمل]، ومن مفهوم هذه الآية الكريمة، ومن مفهوم قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام]، أخذ القوم الذِّكر بنصِّ: **الله** أو **يا الله**، والذِّكر الأتمُّ الذي يشتمل على أحكام العلم هو الذكر بنصِّ: **لا إله إلا الله**.

---

(١) لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر العامري، أبو رزين العقيلي، وافد بني المنتفق، روى عنه ابن أخيه وكيع بن عدس وعبد الله بن حاجب وعمرو بن أوس الثقفي. «الإصابة» لابن حجر رقم ٧٥٥٤، ٥/ ١١.

(٢) رواه عن أبي رزين رضي الله عنه: البيهقي في «الشعب» رقم ٩٠٢٤، وأبو نُعَيم في «الحلية» ١/ ٣٣٦، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٣/ ٣١٧.

قال ﷺ: «**كُلُّ كَلاَمِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لاَ لَهُ إِلاَّ أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرُ الله**»[1].

وقد أجمع أهلُ العلم على أنَّ الصَّحابة والتَّابعين ﵃ كان شغلهم في خمسة أشياء: قِراءةُ القرآنِ، وعمارةُ المساجد، وذِكْرُ الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر.

وعن عُمَارَةَ بنِ صَيَّادٍ[2]، عن سعيدِ بنِ الـمُسيَّب[3]، أنَّه سمعه يقول في الباقيات الصَّالحات: «**إنَّها قولُ العبدِ: اللهُ أكبرُ، وَسُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، ولا إله إلَّا اللهُ، ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِالله**»[4].

وأسند النَّسائيُّ عن أبي سعيدٍ الخُدريُّ ﵁، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ**»، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ: «**التَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالـحَمْدُ لله، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِالله**»[5].

---

(١) رواه عن أمِّ حبيبة **رضي الله عنها**: الإمام التِّرمذيُّ في «الجامع»: كتاب الزهد (٣٨)، باب ما جاء في حفظ اللسان (٦٢) رقم ٢٤١٢، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، والحاكم في «المستدرك»: كتاب التفسير (٢٧) رقم٣٨٩٢، وأبو يعلى في «المسند» رقم ٧١٣٢.

(٢) عمارة بن عبد الله بن صياد الأنصاري، أبو أيوب المدني، روى عن جابر بن عبد الله ﵁ وسعيد بن المسيب وعطاء بن يسار، وكان مالك بن أنس لا يقدم عليه في الفضل أحداً، توفي في خلافة مروان بن محمد. «تهذيب التهذيب» لابن حجر رقم ٦٨٢، ٧/ ٣٦٦.

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد (١٣– ٩٤)هـ: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب ﵁ وأقضيته، حتى سُمِّي راوية عمر ﵁، وتوفي بالمدينة المنورة. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣/ ٣٧٥، و«الأعلام» للزركلي ٣/ ١٠٢.

(٤) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»: كتاب القرآن (١٥)، باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى (٧) رقم٢٣.

(٥) رواه عن أبي سعيد الخدري ﵁: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١١٧٣٦، وأبو يعلى في «المسند» رقم ١٣٨٤، والنَّسائي في «السنن الكبرى» كما عزاه له المنذري في «الترغيب» رقم ٢٣٠٩، وقال: اللفظ له، وابن حبان في «صحيحه» رقم ٨٤٠، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الدعاء ...(١٧) رقم =

وقد قال المصطفى ﷺ لأبي الدَّرداء: «**عَلَيْكَ بِسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ فَإِنَّهُنَّ يَحْطُطْنَ الْخَطَايَا كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»(١).

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(٢).

وقال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

وفي الحديث القدسي: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ**»(٣).

وفي هذا المقدار لمن يعتبر في فضل الذِّكر كفايةٌ.

[الرُّكن الثَّاني: الصَّلاة]

وأما الصَّلاة: فهي بعد الإيمان بالله تعالى أشرفُ العبادات وأجلُّ الطَّاعات،

=

١٨٨٩. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٩٠: رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن.

(١) رواه عن أبي الدرداء ﷺ: الإمام ابن ماجه في «السنن»: كتاب الأدب (٣٣)، باب فضل التسبيح (٥٦) رقم ٣٨١٣، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» رقم ١٣٤٣: هذا إسناد ضعيف، ورمز السيوطي لحسنه في «الجامع» رقم ٥٥٠١.

وله شاهد من حديث أنس بن مالك ﷺ: رواه الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٢٥٦٢، وقال الإمام المنذري في «الترغيب» رقم ٢٣١٥: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، لفظه: «**إِنَّ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**».

(٢) رواه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه: الإمام التِّرمذي في «الجامع»: كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ (٤٩)، باب في دعاء يوم عرفة (١٢٣) رقم ٣٥٨٥، وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه مرسلاً: الإمام مالك في «الموطأ»: كتاب القرآن (١٥)، باب ما جاء في الدعاء (٨) رقم ٣٢، والبيهقي في «السنن الكبرى» رقم ٨١٧٤.

(٣) رواه عن أبي هريرة ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب التوحيد (٩٧)، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران:٢٨] (١٥) رقم ٧٤٠٥، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الذكر والدعاء ...(٤٨)، باب الحث على ذكر الله تعالى (١) رقم ٢٦٧٥، ولفظ البخاري: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ...**».

وهي عمادُ الدِّين، قال ﷺ: «**الصَّلاةُ عِمَادُ الدِّيْنِ، فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّيْنَ، وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّيْنَ**»[1].

وقد ثبت أنَّ النَّبيَّ ﷺ قام يُصلِّي في اللَّيل حتَّى تورَّمت قدماه، فقيل له: لم تصنع هذا وقد غُفِرَ لك ما تَقَدَّمَ من ذنبك وما تأخَّر؟ قَالَ: «**أَفَلا أَكُوْنُ عَبْدَاً شَكُوْرَاً**»[2].

وإنَّما الصَّلاة شُرِّعَت شُكراً لنعمة البدن، وما يصل إليه من المِنَن، ويُدفع عنه من النَّوائبِ والمِحن، ولما استقرَّ في السِّرِّ من نعمة الإيمان، ونور الإذعان والإيقان، ومحو ظُلمة السُّوءِ والبطلان، والكفر والظُّلم والعدوان؛ فتكون حينئذٍ الصَّلاة

---

(١) رواه عن سيدنا عمر ﷺ: البيهقي في «الشعب» رقم ٢٨٠٧، وقال: عكرمة لم يسمع من عمر، وأظنَّه أراد عن ابن عمر **رضي الله عنهما**.ولفظه: جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ﷺ، أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ عندَ الله فِي الإسلامِ؟ فَقَالَ: «**الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ فَلا دِينَ لَهُ، وَالصَّلاةُ عِمَادُ الدِّينِ**»، قال الحافظ المناوي في «فيض القدير» رقم ٥١٨٥، ٤/ ٣٢٣: قال الحافظ العراقي في حاشية «الكشاف»: فيه ضعفٌ وانقطاع، قال الحاكم: عكرمة لم يسمع من عمر، ورواه من حديث ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصَّلاح فقال في «مشكل الوسيط»: إنه غير معروف. وقول النووي في «التنقيح»: حديث منكر باطل؛ رَدَّه ابنُ حجر وشنَّع.

ورواه عن سيدنا علي ﷺ: الديلمي في «الفردوس» رقم ٣٧٥٩، ولفظه: «**الصَّلاة عِمَادُ الدِّينِ، والجِهادُ سَنَامُ العَمَلِ، والزَّكاةُ يُثْبِتُ ذلكَ**».

وروى عن معاذ بن جبل ﷺ: الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب الإيمان ...(٤١)، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٨) رقم ٢٦١٦، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وكذلك رواه عنه ابن ماجه في «السنن» رقم ٣٩٧٣، والحاكم في «المستدرك» رقم ٢٤٠٨، ولفظهم: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**».

وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد» رقم ٦٣٢، ١/ ٤٢٨: رواه أبو نعيم شيخ البخاري في كتاب الصلاة عن حبيب بن سليم عن بلال بن يحيى، قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ يَسأَلُهُ عن الصَّلاةِ فقالَ: «**الصَّلاةُ عَمُوْدُ الدِّيْنِ**»، وهو مرسلٌ ورجاله ثقاتٌ.

(٢) رواه عن المغيرة بن شعبة ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب التَّهجُّد (١٩)، باب قيام النَّبيِّ ﷺ بالليل (٦) رقم ١١٣٠، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب صفات المنافقين (٥٠)، باب إكثار الأعمال... (١٨) رقم ٢٨١٩.

شكراً لأَنْعُمِ الله الظَّاهرة والباطنة، وبالشُّكر تدوم النِّعم وتندفع الظُّلَم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[هود]، وقال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥]، وقال المُفَسِّرُ الأعظمُ ﷺ في تفسير هذه الآية: «**مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ الله إِلَّا بُعْداً**»[1].

وقال شيخ الطَّريق، وصدر التَّابعين الإمامُ الحسن البصريُّ، ومثله قال قَتَادَةُ[2] **رضي الله عنهما**: مَنْ لم تنهَهُ صلاتُهُ عن الفحشاء والمنكر، فليست صلاتُهُ بصلاةٍ، وهي وبالٌ عليه[3].

ألا ترى أنَّ الآية الكريمة صُدِّرَتْ بـ﴿إِنَّ﴾ للتَّحقيق، و﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ جاءت مُعَرَّفَةً؟ أي: على التَّحقيق لا مَحَالة؛ الصَّلاةُ: هي التي تنهى عن الفحشاء والمُنكر.

وتدَبَّر فإنَّ الله تعالى أوجب على عبده الصَّلاةَ ومنعه عند أدائها عن الأكل والشُّرب، والكلام والحركة والسُّكون الَّذَيْنِ لَيْسَا من أجزاء الصَّلاة، وأمره باستقبال القِبلَة التي ارتضاها لمناجاته وِجْهَةً، ولمحاضَرَتِهِ طريقاً، ومنعه عن الالتفات في الصَّلاة

---

(١) رواه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الطبراني في «الكبير» رقم ١١٠٢٥، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم ٥٠٩. ورواه عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: الطبراني في «الكبير» رقم ٨٥٤٣، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما ٢/ ٢٦١: رواه الطبراني في الكبير وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة ولكنه مدلس. وقال أيضاً عن حديث ابن مسعود رضي الله عنه: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري المفسر الأعمى (٦١ – ١١٨)هـ: أحد الأعلام، روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وغيرهم رضي الله عنهم، قال سعيد بن المسيب: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة. انظر: «غاية النهاية» لابن الجزري ١/ ٢٨٦، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي رقم ١٠٤، صـ٥٤.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» في تفسير سورة العنكبوت آية (٤٥)، ٢٠/ ٤٢.

إلى غيره، بل أمره بالتَّوجُّه إليه في ظاهره وباطنه؛ ليولِّيَ وِجْهَةَ قلبِهِ ووَجْهَهُ إلى وجه الله، كما قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١١٥]؛ فيكمل حالُ صدقِهِ، ويتمُّ صدقُ حاله، ويستعد لمحاضرة ربِّه، ويزداد يقيناً بوعد ربِّه ووعيده، ويجاهد في الله بكلِّهِ، وهنالك يكون الحظُّ الأوفر من سِرِّ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩]؛ فتحفُّه أنوارُ الهداية بباطنه وظاهره، ويكون مع الأنبياء والأولياء والصَّالحين مُنَعَّماً – إن شاء الله – في الجنَّة بالنَّظر إلى وجهه الكريم.

[جمع كلمة المسلمين على المذاهب الأربعة]

والـحُكم في الصَّلاة إقامتُها على نصِّ أحد المذاهب الأربعة الـمتَّبعة في الإسلام؛ فإنَّ الله جمع كلمة المسلمين على المذاهب الأربعة، أعني: مذهب إمامنا الشَّافعي، والإمام أبي حنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد، وكلُّهم على هدىً، حملوا لنا شريعة رسول الله ﷺ، وأحاطوا بأكثر أسرارِها وأحكامِها، فاجتمعت براهينُ الشَّريعةِ وأحكامُ أصولِها وفروعِها في مذاهبهم، وهم أَعلَمُ مِمَّنْ بعدهم بنصوص الشَّريعة، وفصولِ السُّنَّة السَّنِيَّة، ودقائقِ الأحكام الدِّينيَّة، ولم يُنقَل عنهم نصٌّ أصليٌّ أو فرعيٌّ إلَّا وهو من لباب شريعة النَّبيِّ ﷺ، فالتَّفلسفُ بعد تنقيح أحكام الشَّرعِ الشَّريف وجمعِها في هذه المذاهب الأربعة والازدلافُ إلى الرأي من تزيين الشَّيطان.

ولا ينفع زعمُ الأخذ بالحديث الشَّريف كما ذهب إلى ذلك بعضُ الطُّلاب؛ وذلك لنقصٍ في العِلمِ، ولعدم الإحاطة الكاملة في الأسانيد ومعرفة الرُّواة وأخبارهم، ولعدم التَّبحُّر في تفسير كلام الله كل التَّبحُّر، مع الوقوف المحيط على عمل النَّبيِّ ﷺ، وكل المعرفة بأسرار أعماله، واختلاف مشارب الصَّحابة ومذاهبهم وأذواقهم فيما كان من ذلك فرعاً أو أصلاً.

فقد يعدل الصَّحابيُّ عن العمل بقولٍ صحيحٍ ويعملُ بعملٍ صحيحٍ رَآهُ من الحبيب

المليح ﷺ، وهذا لا يكون من قبيل المباينة بين القول والعمل، بل هو من قبيل التَّوسعة في الدِّين، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج:٧٨]؛ ولهذا جاء: «**اخْتِلافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ**»[1]، والاختلاف ما هو بالخلاف، فليُحفَظ.

ومن أسرار الصَّلاة: تكرُّرها في اليوم واللَّيلة خمسَ مراتٍ؛ لتتواصلَ أنوارُ المحاضرة مع الله في القلب، فيذكر العبدُ موقفه بين يديِّ ربِّه وقيامِه لديه مسؤولاً عمَّا أسرَّ وأعلن، وهنالك لا يَظْلِمُ بين الصَّلاتين أحداً، ولا يعدو على أحدٍ، ولا يحتقر أحداً، ولا يطمع فيما لا يجوز له به الطَّمع، ولا يكذب ولا يخون، ولا يُهين أحداً من المخلوقين، ولا يَغْفُل عن الله فيطغى، ويرى الآخرة خيراً من الأُوْلَى، ويجعل أعماله لله ولنفع عباد الله، فيأتي حينئذٍ بالصَّلاة المُعَرَّفة المرضيَّة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومتى انتهى عن الفحشاء والمنكر فقد صلَّى الصَّلاة التي افترضها الله عليه، وجاء بالرُّكن الأعظم بعد الإيمان من أركان الإسلام.

---

(١) قال العلامة العجلوني في «كشف الخفاء» رقم ١٥٣، ١/ ٧٩. والحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» رقم ٣٩، ١/ ٦٩: رواه البيهقي في «المدخل» بسند منقطع عن ابن عباس بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «**مهما أوتيتم من كتابِ الله فالعملُ به لا عُذرَ لأحدٍ في تَرْكِه، فَإِنْ لم يكن في كتابِ الله فَسُنَّةٌ منِّي ماضيةٌ، فإنْ لم تكن سُنَّةٌ منِّيَ فما قالَ أصحابي؛ إنَّ أصحابي بمنزلة النُّجومِ في السَّماءِ فأيُّما أخذتُم به اهتدَيْتُم، واختلافُ أصحابي لكم رحمة**»، ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي [في «الفردوس» رقم ٦٤٩٧] بلفظه وفيه ضعف. وعزاه الزَّركشي وابن حجر في «اللآلئ» لنصر المقدسي في «الحجة» مرفوعاً من غير بيانٍ لسنده ولا لصاحبيه.

وعزاه العراقي لآدم بن أبي إياس في كتاب «العلم والحكم» بغير بيانٍ لسنده أيضاً بلفظ: «**اختلاف أصحابي رحمة لأمتي**»؛ وهو مرسلٌ وضعيفٌ، وبهذا اللفظ أيضاً ذكره البيهقي في «رسالته الأشعرية» بغير إسنادٍ، وفي «المدخل» له عن القاسم بن محمد عن قوله: «**اختلافُ أصحابِ محمَّدٍ ﷺ رحمةٌ لعباد الله**».

ثم قال في «المقاصد» أيضاً: قرأت بخط شيخنا - يعني: الحافظ ابن حجر - أنه حديثٌ مشهورٌ على الألسنة وقد أورده ابن الحاجب في «المختصر» في مباحث القياس، بلفظ: «**اختلافُ أمتي رحمةٌ للنَّاس**».

وليعلم أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيْمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ**»[1]، وقد نهانا رسولُ الله ﷺ أن نصلِّيَ في ثلاثة أوقاتٍ: عِنْدَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَعِنْدَ زَوَالِهَا حَتَّى تَزُوْلَ، وَعِنْدَ تَضَيُّفِهَا لِلْغُرُوْبِ حَتَّى تَغْرُبَ[2]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً**»[3]، والإحسانُ في الوضوء أن يأتي بجميع فرائضه وسننه وآدابه كما نُصَّ في مذهبه الذي يتمذهب به؛ ولهذا السِّرِّ يجب عليه التَّعلُّم من علماء مذهبه أحكامَ صلاتِهِ وَوُضُوئِهِ، وأن يَتَفَقَّهَ عليهم بأمر دينِهِ حتَّى يكونَ مهبطاً للخير الإلهي، قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[4].

ومتى حصلت له بركة الفقه في الدِّين، قامت به الخشية من الله، وظهر في كُلِّه الخشوعُ لله، وعرف رتبة المحاضرة في مقام العبادة مع الله.

قال ﷺ: «**إِنَّمَا الصَّلاةُ تَمَسْكُنٌ وَتَوَاضُعٌ وَتَضَرُّعٌ**»[5]، ورأى - عليه الصَّلاة

---

(١) رواه عن سيدنا عليٍّ رضي الله عنه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٠٠٦، وأبو داود في «السنن»: كتاب الطَّهارة (١)، باب فرض الوضوء (٣١) رقم ٦١، والتِّرمذي في «الجامع»: كتاب أبواب الطَّهارة (١)، باب ما جاء أنَّ مفتاح الصَّلاة الطهور (٣) رقم ٣، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الطَّهارة وسننها (١)، باب مفتاح الصَّلاة الطهور (٣) رقم ٢٧٥، وروي أيضاً عن ابن عبَّاس، وعبد الله بن زيد، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم.

(٢) أخرج الإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب صلاة المسافر (٦)، باب الأوقات التي نهى عن الصَّلاة فيها (٥١) رقم ٨٣١، عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيَّ قَالَ: ثَلاَثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ، أَوْ أَنْ نَقْبرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ.

(٣) رواه عن سيدنا عثمان رضي الله عنه: الإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الطَّهارة (٢)، باب فضل الوضوء ...(٤) رقم ٢٢٨، وابن حبان في «صحيحه»: كتاب الطهارة (٨) رقم ١٠٤٤.

(٤) رواه عن معاوية رضي الله عنه: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب العلم (٣)، باب من يرد الله به خيراً...(١٣) رقم ٧١، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الزكاة (١٢)، باب النهي عن المسألة (٣٣) رقم ١٠٣٧.

(٥) رواه عن الفضل بن العبَّاس رضي الله عنهما: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٧٩٩، والإمام =

والسَّلام - رجلاً يَعْبَثُ بلحيَتِهِ في الصَّلاة فقال أرواحُنا لجنابِهِ المحمَّديِّ الفداء: «**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ**»[1].

وفي الخبر الشَّريف: «**لا يَنْظُرُ اللهُ إِلى صَلاةِ رَجُلٍ لا يَحْضُرُ فِيْهَا قَلْبُهُ مَعَ بَدَنِهِ**»[2]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ اللهَ مُقْبِلٌ عَلَى الـمُصَلِّي مَا لَـمْ يَلْتَفِتْ**»[3]، أي: ما لم يلتفت إلى أمور الدُّنيا فيشغل قلبَهُ بالدَّار والجار والمرأة والدِّينار وأشباه ذلك، وإلَّا فالتفاتُهُ إلى أمور الآخرة والتَّفكُّرِ بأحوالها، والاعتبار بعالم الأرواح والملائكة، وسيرة النَّبيِّين وصلاتهم وخشوعهم وأحوالهم، لا يكون مُنكَراً، يدُلُّك على ذلك قول النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ فِيْهِمَا نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[4].

=
التِّرمذي في «الجامع»: كتاب أبواب الصَّلاة (٢)، باب ما جاء في التَّخشُّع في الصَّلاة (٢٣٨) رقم ٣٨٥، والنَّسائي في «السنن الكبرى»: كتاب قيام الليل ...(١٢)، كيف الرفع (٦٣) رقم ١٤٤٠. ولفظ الترمذي: «**الصَّلاَةُ مَثْنَى مَثْنَى، تَشَهَّد فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَتَخَشَّع وَتَضَرَّع وَتَمَسْكَن وَتَذَرَّع ...**».

(١) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» في الأصل الخامس والأربعون والمائتان ٢/ ٣٤٤، وقال الحافظ العراقي في تخريجه على «الإحياء» ١/ ١٦٩: أخرجه الترمذي الحكيم في «النوادر» من حديث أبي هريرة بسندٍ ضعيف.

ورواه من قول التابعي سعيد بن المسيب رضي الله عنه: البيهقي في «السنن الكبرى» رقم ٣٣٦٥، وابن أبي شيبة في «المصنف» رقم ٦٧٨٧، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم ٣٣٠٨.

(٢) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ١/ ١٩٧ بهذا اللفظ، وقال الحافظ العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن دهرش مرسلاً: «**لا يقبل الله من عبدٍ عملاً حتى يشهدَ قلبُه مع بدنه**»، ورواه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٣) رواه عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: الإمام أبو داود في «السنن»: كتاب الصلاة (٢)، باب الالتفات في الصلاة (١٦٦) رقم ٩٠٩، والنَّسائي في «السنن»: كتاب السهو (١٣)، باب التشديد في الالتفات في الصلاة (١٠) رقم ١١٩٥، وابن خزيمة في «صحيحه»: كتاب الصلاة (٢)، باب في الخشوع...(٩٠) رقم ٤٨٢، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الصلاة (٤)، باب التأمين (٥) رقم ٨٦٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي في «التَّلخيص». رووه بلفظ: «**لاَ يَزَالُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلاً عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ**».

(٤) رواه عن سيِّدنا عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الوضوء (٤)، باب
=

وذهب بعض الأئمَّة الأَجلاَّء ﷺ إلى أنَّ أَنِيْنَ العبدِ وبكاءَهُ ولو بصوتٍ عالٍ في الصَّلاة إذا كان من ذكر الجنَّة أو النَّار أو من خشية الله لا يكون كلُّ ذلك مُفسِداً للصَّلاة؛ لأنَّه يدلُّ على زيادة الخشوع لله والخشية منه - تعالت قدرته - وإلاَّ إذا كان ذلك بسبب وجعٍ أو مصيبةٍ أو أمرٍ من أمور الدُّنيا فإنَّه يُفسد الصَّلاة[1].

ويجب تدارك حفظ القلب في الصَّلاة من الخواطر الدُّنيويَّة الشَّاغلة عن الخشية لله والتَّقرُّب منه، ولا يمكن ذلك إلاَّ بذكر الموت، ودوام ملاحظة القدوم على الله تعالى، واستحقار الدُّنيا وزينتها، والتَّجرُّد بالكُلِّية عنها حالة المحاضرة مع الله ﷻ.

[الرُّكنُ الثَّالث: الزَّكاة]

وأما الزكاة: فهي من أفضل الصَّدقات، ولها أسرارٌ كثيرةٌ، وبركاتٌ وفيرةٌ، قال

= الوضوء ثلاثاً ثلاثاً (٢٤) رقم ١٥٩، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الطهارة (٢)، باب صفة الوضوء وكماله (٣) رقم ٢٢٦، ولفظهما: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، قال ابن حجر في «فتح الباري» رقم ١٥٩، ١/ ٣٤١: وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ لِلْحَكِيمِ التِّرْمِذِيّ فِي هَذَا الْحَدِيث «**لا يُحَدِّثُ نَفْسه بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا**»، وهي في «الزُّهْد» لابن المبارك أَيْضًا [رقم ١٠٧٧]، و«الْمُصَنَّف» لابنِ أَبِي شَيْبَة [رقم ٧٦٣١].

(١) الأئمة الذين ذهبوا إلى هذا القول: الحنفية والمالكية ﷺ، وتفصيل قول السَّادة الحنفية هو: لو أَنَّ في صلاته أو بَكَى وارتفعَ بُكَاؤُهُ: فإنْ كان ذلك من ذكر الجَنَّة أو النَّار لا تَفْسُدُ الصَّلاةُ؛ لأَنَّ الأنينَ أو البُكَاء من ذِكْرِ الْجَنَّة وَالنَّار يكون لخوف عذاب الله وأليم عقابه ورجاء ثوابه فيكون عبادةً خالصةً، وإذا كان كذلك فالصَّوتُ الْمُنبَعثُ عن مثل الأَنينِ لا يكونُ من كلام النَّاس فلا يكون مُفسِداً، وَإِنْ كان من وَجَعٍ أو مُصِيبَةٍ يُفسِدُهَا، وإذا كان ذلك من وَجَعٍ أو مُصِيبَةٍ كان من كلام النَّاس وكلامُ النَّاسِ مُفسِدٌ. انظر: «بدائع الصنائع» لملك العلماء الكاساني١/ ٥٤٠، و«رد المحتار» لابن عابدين ٢/ ٣٢٥.

أمَّا السَّادة الشافعيَّة ﷺ: فقد قالوا بالفساد مطلقاً في البكاء والتأوُّه والأنين، إن ظهر حرفان ولو كان البكاء من خوف الآخرة، فقد قال الإمام النووي في «المجموع» ٤/ ٨-٢٢: وأمَّا الضحك والبكاء والأنين والتأوُّه والنَّفخ ونحوها؛ فإن بان منه حرفان بطلت صلاته وإلاَّ فلا، وسواء بكى للدنيا أو للآخرة... وبه قال أحمد وحكاه ابن المنذر عن أبى ثور، قال: وقال الشعبي والنخعي والمغيرة والثوري يعيد الصلاة، قال العبدري وقال مالك وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إن كان لخوف الله تعالى أو خوف النار لم تبطل صلاته وإلا فتبطل.

الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البقرة]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾[البقرة].

ومثلُ هذه الآيات الكريمة يشملُ الزَّكاةَ وغيرَها من الصَّدقات، وأشرفُ الصَّدقات وأجلُّها وأتـمُّها قَبُولاً الزَّكاة.

وإنّما شُرِّعَتِ الزَّكاةُ؛ لدفعِ حاجة الفقراءِ والمساكينَ لئلَّا يشغَلَهم الفقرُ عمّا خُلقوا له من العبادة لله تعالى.

وهي بنصابها المقرَّر شرعاً ضربةُ لازبٍ[1]، لا بدَّ للمسلم من إيتائها؛ فإنَّ الله تعالى لم يأمر بالصَّلاة إلاَّ وألحق الأمر بعدها بالزَّكاة على الغالب؛ إعظاماً لشأنِ الزَّكاة.

ومن أسرارِها: الحثُّ على الكسبِ من الحلال، والإنفاق من الحلال على النَّفس وعلى الغير، قال رسولُ الله ﷺ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**فَيُعِيْنُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ**»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ**»، قَالُوْا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ**»[2].

وعن ابن عباس **رضي الله عنهما**: جَعَلَ اللهُ صَدَقَةَ السِّرِّ في التَّطوُّع أفضلَ من علانيَّتِها، وجعلَ صدقةَ الفريضَةِ - أعني: الزَّكاة - علانيتها أفضل من سرِّها[3].

---

(١) ضربَةُ لازِبٍ: أَي : لازم شديد، واللازِبُ: الثابتُ، وصار الشيءُ ضَرْبَةَ لازِبٍ، أَي: لازماً هذه اللغة الجيِّدة، وقد قالوها بالميم والأَوَّل أَفصح. «لسان العرب» مادة: (لزب).

(٢) رواه عن أبي موسى الأشعري ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب (٧٨)، باب كل معروف صدقة (٣٣) رقم ٦٠٢٢، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الزكاة (١٢)، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٦) رقم ١٠٠٨.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره»: تفسير سورة البقرة الآية (٢٧١).

ففضَّلَ علانيةَ صدقة الزَّكاة؛ لِيُعْلَمَ القائمُ بهذه الفريضة وليقتدي به غيرُه؛ ولِتُعْلَنَ كلمة الله في الفرائض، فتقوم بها عصائب المسلمين إعظاماً للحُكم، وفي ذلك من المنافع مادةً ومعنىً ما لا يخفى على دَرِبٍ[1] له شَمَّةٌ من علم الشَّريعة المطهَّرة.

وقد عرفتَ - أيُّها المُحِبُّ - أنَّ الإِسْرَارَ في النَّوافل كلِّها، والإعلانَ في الفرائض كلِّها من آداب الشَّرعِ الشَّريف، فاجعلْ تلك القاعدةَ دستوراً لأعمالك، واعْمَلْ لله، وابْذُلْ في الله، وانفعْ نفسك وغيرك فيما يرضي الله؛ يحصل لك الرِّضاء من الله، والمدد من رسول الله ﷺ، وتغدو في أمان الله، والحمد لله ربِّ العالمين.

[الرُّكنُ الرَّابع: الصَّوم]

وأمَّا الصَّومُ: فقد شُرِعَ لقهرِ النَّفس الحيوانيَّة، وإخماد ثائرتِها الشَّهوانيَّة، وأنموذجاً عن التَّساوي الأُخرَوي بين النَّاس، كبارها وصغارها.

وفيه حثٌّ أيضاً على الكسبِ الحلال، والبذلِ الحلال؛ فإنَّ الصَّائمَ يُحبُّ أنْ يوسعَ في رمضان على أهله وعيالِهِ ونفسه، وأن يتصدَّق على الفقراء، ولا يُقْبَلُ ذلك إلَّا من مالٍ حلالٍ.

ومن هذا السِّرِّ تفهم أنَّ الشَّرعَ حثَّكَ على العملِ الصَّالح، وجمعِ المال من الطَّريقِ الحلال، واستهلاكه في الطَّريق الحلال.

وخيرُ الصِّيام صيامُ رمضان؛ لكونه من فرائضِ الله، وبعده فلا حرج في الدِّين.

ومن أسرار الصَّوم: صون القلب والجوارح؛ ليكمل للصَّائم العمل الصَّالح، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَتْرُكْ قَوْلَ الزُّوْرِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَتْرُكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[2]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**خَمْسٌ يُفَطِّرْنَ الصَّائِمَ: الْغِيبَةُ،**

---

(١) الدَّارِبُ: الحاذِقُ بصناعتِه. «لسان العرب» مادة: (درب).

(٢) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الصوم (٣٠)، باب من لم يدع قول الزور...(٨) رقم ١٩٠٣، وأبو داود في «السنن»: كتاب الصوم (٨)، باب الغيبة للصَّائم (٢٥) =

وَالْكَذِبُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ، وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ»[1]، ومعنى قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يُفطِّرْن**»، أي: يُفسِدْن، يؤيد ذلك قوله ﷺ: «**كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الجُوْعُ وَالعَطَشُ**»[2].

ومن أسرار الصَّوم عند الصِّدِّيقين: رفعُ الحُجُبِ عن القلب، وطردُ الشَّيطان، فينظر الصَّائمُ العارف بعين قلبه إلى ملكوت السَّماء، قال رسول الله ﷺ: «**لَوْلا أَنَّ الشَّيَاطِيْنَ يَحُوْمُوْنَ عَلَى قُلُوْبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوْا إِلَى مَلَكُوْتِ السَّمَاءِ**»[3]، وتفسيراً لسرِّ هذا المعنى الكريم قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يَدْخُلُ مَلَكُوْتَ السَّمَاءِ مَنْ مَلأَ بَطْنَهُ**»[4]؛ أي: لا يدخل بِهِمَّتِه وصحيح فكرته، ولا يرى ببصيرته حقائقَ ملكوتِ السَّماء لِحِجَابِ الشِّبَع.

=
رقم٢٣٦٢، والترمذي في «الجامع»: كتاب الصوم (٦)، باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم (١٦) رقم ٧٠٧، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الصيام (٧)، باب ما جاء في الغيبة...(٢١) رقم ١٦٨٩.

(١) رواه عن أنس بن مالك ﵁: الديلمي في «الفردوس» رقم ٢٩٧٩.

(٢) رواه عن أبي هريرة ﵁: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٨٨٤٣، وابن ماجة في «السنن»: كتاب الصيام (٧)، باب ما جاء في الغيبة...(٢١) رقم ١٦٩٠، وابن خزيمة في «صحيحه»: كتاب الصيام (٥)، باب نفي ثواب الصوم عن الممسك عن الطعام...(٨) رقم١٩٩٧، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الصوم (١٥) رقم ١٥٧١، وقال: صحيح على شرط البخاري. ولفظهم عدا ابن ماجه: «**رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ وَالْعَطَشُ؛ وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ**»، أما لفظ ابن ماجه: «**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الجُوعُ** ...».
ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما: الطبراني في «الكبير» رقم ١٣٤١٣، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله موثقون.

(٣) رواه عن أبي هريرة ﵁: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٨٦٢٥، والهيثمي في زوائده على «مسند الحارث» رقم ٢٥، ولفظ الإمام أحمد: «... **هَذِهِ الشَّيَاطِينُ يَحُوْمُوْنَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَرَأَوُا الْعَجَائِبَ**».

(٤) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ٢/ ٩٩ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما مرفوعاً: وقال العراقي: لم أجده.

وهذا الأدبُ جارٍ في أيَّام الصَّوم وغيره - أعني: عدم الشِّبَع - فلا يملأ الحكيمُ العاقلُ بطنَه؛ فإنَّه شرُّ وعاءٍ يملأه[1].

وقد علمنا أنَّ الصَّائم العارفَ يسعى لتزييد المال الحلال، من الطَّريق الحلال، وينفع بماله الفقراء وذوي الحاجات، ولا يسيء أحداً لا بيده ولا بلسانه، ويكون نفعاً عامَّاً، فتراه كالغيث، أين وَقَعَ نفع، وكذلك أهلُ الإيمان، واللهُ المستعان.

[الرُّكن الخامس: الحَجُّ]

وأمَّا الحجُّ: فشرطه الاستطاعة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران:٩٧]، وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ الله وَلَمْ يَحُجَّ فَلاَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً**»[2]، يعني إذا ملكَ الزَّادَ له ولعياله، إن كان ذا عيالٍ، والرَّاحلةَ، ولم يكن له حائلٌ يمنعه عن بيت الله، لا في نفسه ولا في حاله، وتقاعدَ عمداً عن الحجِّ، فقد وقع في خطر الحديث الشَّريف.

ومن آداب الحجِّ: أن يَتُوبَ المرءُ حالَةَ تأهُّبِهِ للحجِّ، وأن يقضيَ ديونَهُ، ويُرضي خُصُومَهُ، وأن يتَّخِذَ رفيقاً صالحاً للطَّريق، وأن يوسعَ في طعامه وشرابه في

---

(١) أخرج الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب الزهد (٣٧)، باب ما جاء في كراهية الأكل (٤٧) رقم ٢٣٨٠، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والنَّسائي في «السنن الكبرى»: كتاب آداب الأكل (٦٢)، ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل (٢٣) رقم ٦٧٦٨، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الأطعمة (٢٩)، باب الاقتصاد في الأكل ...(٥٠) رقم ٣٣٤٩ عن مِقْدَام بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**».

(٢) رواه عن سيِّدنا عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب الحج (٧)، باب ما جاء في التَّغليظ في ترك الحجِّ (٣) رقم ٨١٢، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَفِي إِسْنَادِهِ مَقَالٌ، والبيهقي في «الشعب» رقم ٣٩٧٨.

الطَّريق، ويُلينَ الكلامَ مع المُكَارِي[1] والخادم إن كان له ذلك، وأن يرفق بالدَّابَّة؛ فلا يُحَمِّلها ما لا تطيق أو ما يصعب عليها، وأن لا يتجاوز الحدَّ المعروفَ بزينة اللِّباس، وأنْ يَترُكَ فُضُولَ الكلام، وأن يُكْثِرَ من تلاوة القرآن، وإن لم يكن قارئاً فليُكثِر من تلاوة فاتحة الكتاب، والصَّلاةِ والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ، وأن يذكُرَ اللهَ كثيراً.

وعليه أن يتفكَّرَ ويتدبَّرَ في حِكَم الحجِّ؛ فإنَّ منها: الحثُّ على اقتناء المال الحلال، ومنها: التَّعارفُ مع الإخوان، والوقوفُ على أحوال الشُّعوب والقبائل وصنوفِ الأُمَّةِ في الأَصْقَاعِ البعيدة، فيتعلَّم ما يَحسُن، ويتباعد عمَّا يَقبُح، وينتصر للمظلوم، ويقتدي بالصَّالحين، وتعلو في الله هِمَّته، فيعْلَمَ العلم اليقين أن حفلة الدِّين لا تقومُ إلَّا بالأمنِ والأمان وراحةِ البال وطيبِ المال وقُوَّةِ الرِّجال، ويرى قيام الصُّفوف في الله، فيعمل مع الجماعة لا يَشُذُّ عن إخوانه المسلمين، والنَّبيُّ ﷺ قال: «**يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ**»[2] الحديث.

فلا يخالفُ سوادَ المسلمين شاذَّاً مُبتدعاً، ولا زالَّاً مُلحداً، ولا ينقُضُ عهداً، ولا يشُقُّ العصا، ولا يندمج فيمن عصى، يكون بما يُكْسِبُهُ إيَّاه نظرُه من العِبْرَة في صفِّ الذين يتعاونون على البرِّ والتَّقوى، ولا ينخرط في صفِّ أُناسٍ يتعاونون على الإثم

---

(١) المُكارِي والكَرِيُّ: الذي يُكْرِيك (يؤجر) دابته. «لسان العرب» مادة: (كرا).

(٢) رواه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الإمام التِّرمذيُّ في «الجامع»: كتاب الفتن (٣٤)، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٧) رقم ٢١٦٦، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

ورواه عن عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الأَشْجَعِيِّ ﷺ: النَّسائي في «السنن»: كتاب تحريم الدم (٣٧)، قتل من فارق الجماعة... (٦) رقم ٤٠٢٠، وابن حبَّان في «صحيحه»: كتاب السير (٢١)، باب طاعة الأئمَّة (٣) رقم ٤٥٧٧، والطبراني في «الكبير» رقم ٣٦٢، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ٢٢٤: رواه الطبراني ورجاله ثقات. أقول: وكذلك روي عن سيدنا عمر وابن عمر وخبَّاب وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري ﷺ، بلفظ: «**يدُ اللهِ مع الجماعة**»، و«**يدُ اللهِ على الجماعةِ**».

والعدوان، يترك الـهَجْرَ والـهُجْرَ[1]، ويعمل بالخير والبرِّ.

[من حِكَمِ الحجِّ]

ومن حِكَمِه العالية - أعني: الحجَّ - أنَّ الله تعالى جَعَلَهُ رهبانيَّةً لأُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، وجعل سفَرَهُ مِثالاً لسفر الآخرة:

- فيتذكَّر الحاجُّ في سفره ووداعِ أهله وداعَ الأهلِ في سكرات الموت.
- ويتذكَّر من مفارقة الوطن الخروجَ من الدُّنيا.
- ومن التِفَافِهِ بالإحرام الالتفافَ بالكفن.

وهنالك يكون مُتنبِّهاً يَقِظاً، لا يظلم ولا يطغى ولا يتكبَّر، ولا يرى له على غيره مَزِيَّةً، ويُعرض عن الدُّنيا الدَّنِيَّة بقلبه وكلِّه، ويجمعها من الحلال؛ لينفقها في الله ذريعةً يتَّخِذها للنَّجاة في يوم العَرْضِ على المَلِك الدَّيَّان، إذا قَدِمَ عليه عارياً أشعثَ أغبر، لا فرق بينه وبين عبده، يتطلَّب فضل الله، ويترقَّب رحمة الله، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

[ما يجب على المسلم بعد معرفة أركان الإسلام]

وفي هذه الأركان الكريمة فعلى المسلم: أن يتعلَّم من علماء مذهبه الذي يَتَمَذْهَبُ به أحكامَها وفرائضَ الأعمالِ المُنضمَّة بها، والسُّنَن المُندمِجة فيها، وأن يُخلِصَ في أعماله، ويجمعَ بين صحيحِ حالِه وصادقِ مقالِه، وأن يُنزِّهَ نفسَه عن النَّقائص، ويتحلَّى بأشرف الخصائص، ويتحقَّق بالإخلاص المحض، ألا لله الدِّين الخالص.

---

(١) الهَجْرُ: ضد الوصل، والتَّهاجُرُ التَّقاطُعُ. والهُجْرُ: القبيح من الكلام. «لسان العرب» مادة: (هجر).

مرحلة الصُّحبة

هي من أجلِّ عقبات الطَّريق وأصعبها وأسهلها، صعبةٌ سهلةٌ يعرف الأمرين فيها أهلُ العرفان، وأربابُ الذَّوق الطَّاهر والوجدان، ولا بدع فإنَّ آداب الصُّحبة كثيرةٌ، أساسها التَّوبة، ثمَّ التَّحقُّق بحال الأستاذ في كلِّ حالٍ، والتَّخلُّق بأخلاقه، والعمل بأعماله، والقول بأقواله؛ ولذلك لا تصحُّ صحبة من لم يكن كاملاً عارفاً فاضلاً كبيراً في طريق الحقِّ، متمسِّكاً بالسُّنَّة المحمَّديَّة، والسِّيرة المصطفويَّة، مُبَرَّأً من الزَّيغ والابتداع، شريفَ الخِلال، طاهرَ الطِّباع؛ ليكون قدوةً لمن يصحبه، وللصُّحبة آثارٌ.

وقد جاء في الخبر عن النَّبيِّ الأَبَرِّ ﷺ: «**الـمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُـخَالِلُ**»[1].

[من أعظم وأهمِّ الواجبات على السَّالك: حسن الظَّنِّ بالمرشد]

ومن أعظم آداب الصُّحبة: صِحَّة الاتِّباع بحُسْنِ الظَّن للأستاذ، والاستسلام لحكمته، والأخذ بعقيدته بعد التَّحقُّق بأنَّه على السُّنَّة السَّنِيَّة، لم يَبْرَحْ معتقداً ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وآلُه وأصحابُه والتَّابعون، نفعنا الله تعالى والمسلمين بشريف أنفاسهم وجليل نفحاتهم ودائم بركاتهم.

---

(1) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٨٠١٥، والحاكم في «المستدرك»: كتاب البر والصلة (٣٥) رقم ٧٣٢٠، وقال: حديث صحيح، ووافقه الذهبي، ولفظهما: «**الـمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ...**».
والإمام أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب (٣٦)، باب من يؤمر أن يجالس (١٩) رقم ٤٨٣٣، والترمذي في الجامع»: كتاب الزهد (٣٧)، باب (٤٥) رقم ٢٣٧٨، وقال: هذا حديث حسن غريب، ولفظهما: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ...**».

وقد يصحبُ الخِبُّ[1] السَّيِّءُ الظَّنِّ العارفَ الكاملَ المحمَّديَّ، ولكن يصحبه بقلبٍ فاسدٍ، وعينٍ منتقدةٍ، وظنٍّ قبيحٍ سيِّءٍ، فلا يزداد بصحبته إلاَّ بُعداً عن الله، وعداوةً للحقِّ وأهله.

وقد يصحب البَرُّ الكريمُ الرَّجلَ الصَّالحَ، الذي لم يبلغ مرتبة ذلك العارفِ المحمَّديِّ، ولكن يصحبه بقلبٍ سليمٍ ونِيَّةٍ طاهرةٍ واعتقادٍ جيِّدٍ وظنٍّ حَسَنٍ، فلم يبرح حتَّى يفتح الله عليه، وينتظم ببركة نيَّتِهِ وطهارةِ قلبه وحُسنِ اعتقاده في عداد الصَّالحين الواصلين، وكذلك جرت عادة الله، ولا إله إلا الله.

وعلى هذا؛ **فمن أهم الواجبات على الصَّاحب السَّالك:** أن يُحْسِنَ الظَّنَّ بأستاذه، ويعتقدَ به الخيرَ والصَّلاح، وأن لا يتطرَّقَّ بالنزغة الإبليسيَّة الشُّبهة فيه، فمن كان كذلك لا يجيء منه شيءٌ.

وقد جاء في كتاب الله تعالى قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

ومن سِرِّ كلامِ الحقِّ - تقدَّسَتْ أسماؤه - وهو العليم الخبير، عرفنا أنّ مُجَرَّد الصُّحبة لا ينفع، بل ننظر إذا رأينا للطَّالب الصَّاحب قلباً يفقَهُ اللَّطائفَ، وعيناً تُبصرُ العوارفَ، وأُذُناً تسمعُ المعارفَ، وسِرَّاً ليس بغافلٍ، ونَفْسَاً مُزَكَّاةً بالأخلاق النَّفيسة، غيرَ مُضَمَّخةٍ بلوث الدَّسيسة، هنالك نعتقد أنَّه سيُفتح عليه بإذن الله، وسيصل إلى حضرة القرب، ويندمج في أهل مرتبة الحبِّ، ويصير له حصَّةً عظيمةً من مائدة القلب.

---

(١) الخِبّ والخَبّ بالفتح والكسر: الرَّجُل الخَدّاع. «مختار الصحاح» مادة: (خبب).

وإن كان كما جاء في النَّصِّ، له قلبٌ ولكن لا يفقَهُ، وعينٌ ولكن لا تُبصِرُ، وأُذُنٌ ولكن لا تسمعُ، فما هو إلاَّ كالأنعام بل هو أضلُّ، وهو سميرُ الغفلةِ في خَيبةِ دسيسته -والعياذ بالله تعالى - والله ولي المتَّقين.

[حجاب الكفر، وحجاب حبِّ الدنيا]

وهنا نكتةٌ لطيفةٌ: وتلك أنَّ انحجاب القلب عن الفقه بالله، وانحجاب العين عن رؤية ما يُعتبر به من أسرار الله، وانحجاب الأذن عن سماع الكلام الذي يدلُّ على الله، إنَّما كلُّ ذلك من ظُلمة الكفر - والعياذ بالله -، وفي أهل الحجاب من المؤمنين، إنَّما يكون من حبُّ الدُّنيا، والانهماك بها، والانكباب على جيفتها، وذلك أيضاً من حُمْقٍ في النَّفس وغفلةٍ في السِّرِّ.

قال ﷺ: «**الْكَيِّسُ: مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لـمَا بَعْدَ الـمَوْتِ، وَالأَحْمَقُ: مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى الله**»[1]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ أَصْبَحَ والدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ الله فِي شَيءٍ، وأَلْزَمَ اللهُ قَلْبَهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ: هَمَّاً لا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدَاً، وَشُغْلاً لا يَتَفَرَّغُ مِنْهُ أَبَدَاً، وَفَقْرَاً لا يَبْلُغُ غِنَاهُ أَبَدَاً، وَأَمَلاً لا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدَاً**»[2].

---

(١) رواه عن شداد بن أوس ﷺ بلفظ «والعاجز» مكان «الأحمق»: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٧١٦٤، ٤/ ١٢٤، والترمذي في «الجامع»: كتاب صفة القيامة...(٣٨)، باب (٢٥) رقم ٢٤٥٩، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد (٣٧)، باب ذكر الموت... (٣١) رقم ٤٢٦٠، والحاكم في «المستدرك»: كتاب التوبة والإنابة (٤٠) رقم ٧٦٣٩، وقال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، ووافقه الذهبي، ورمز السيوطي لصحته في «الجامع» رقم ٦٤٦٨.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٢/ ٢٥٤: وقال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني في «الأوسط»[رقم ٤٧١] من حديث أبي ذر دون قوله: «**وألزم الله قلبه** . . . إلخ»، وكذلك رواه ابن أبي الدنيا [في «الزهد» رقم٤٨٣] من حديث أنس بإسنادٍ ضعيفٍ، والحاكم [في «المستدرك»: كتاب الرقاق (٤٤) رقم ٧٨٨٩] من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس [رقم =

وقد أجمع أهل الحضرة الكبرى من أهل الله على أن المعاني يُقام لها صُوَرٌ في الآخرة؛ لإقامة الحُجَّة، وهذا من باهر العدل الإلهي؛ لتبيضَّ وجوهٌ وتسودَّ وجوهٌ، قال ﷺ: «**يُؤْتَى بِالدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيْ صُورَةِ عَجُوزٍ شَمْطَاءَ زَرْقَاءَ، أَنْيَابُهَا بَادِيَةٌ، مُشَوَّهٌ خَلْقُهَا، فَتُشْرِفُ عَلَى الْخَلائِقِ فَيُقَالُ: أَتَعْرِفُونَ هَذِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاَللهِ مِنْ هَذِهِ، فَيُقَالُ: هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي تَفَاخَرْتُمْ عَلَيْهَا، وَبِهَا تَقَاطَعْتُمُ الأَرْحَامَ، وَبِهَا تَحَاسَدْتُمْ وَتَبَاغَضْتُمْ وَاعْتَزَزْتُمْ، ثُمَّ تُقْذَفُ فِي جَهَنَّمَ فَتُنَادِي: أَيْ رَبِّ، أَيْنَ أَتْبَاعِي وَأَشْيَاعِي؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَلْحِقُوا بِهَا أَتْبَاعَهَا وَأَشْيَاعَهَا**»(1).

فمن هذا الحديث الشَّريف يَعرِفُ الحكيمُ اللَّبيبُ أنَّ التَّفاخر والتَّقاطعَ، والتَّحاسد والتَّباغضَ، والتَّعزُّزَ والتَّكبُّرَ، والحرص والكذب، والمعاصي القبيحةَ، والعيوبَ الفادحة، كُلَّها تنشأُ عن حُبِّ الدُّنيا، ومن ابتلي بحبِّ الدُّنيا وزلَّ عن طلب الآخرة يرى العِبرةَ بعينه وكأنَّه ما رآها، ويسمعُ النَّصيحةَ وكأنَّه ما سمعها، وتُلقَى إلى قلبه الحِكمةَ فلم يفقهها، وهنالك يصحبُ الصَّالحينَ والحكماءَ الرَّبَّانيِّيْنَ وكأنَّه لم يَرَهُم، ويقومُ أمامَ الوليِّ الصَّفيِّ العارفِ المحمَّديِّ وعينه عنه في عمىً مطلق، وأذنه عن سماع كلامه في صممٍ مُطلق.

[التَّخلص من حجاب حبِّ الدُّنيا]

ومثل ذلك المحجوب المردود الذي لعبت بقلبه، وعبثت بلُبِّهِ محبَّةُ الدُّنيا، من أين ينتفع بصحبة الصَّالحين، وعباد الله المقرَّبين؟ ومن أين له قلبٌ يفقه حِكَمَهم، وأُذُنٌ تعي لطائف إشاراتهم، وعينٌ تُبصرُ أطوارهم وأحوالهم، وتعتبر برقائقها،

=

٥٨١٨] من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف.

(١) رواه عن ابن عباس **رضي الله عنهما**: البيهقي في «الشعب» رقم ١٠٦٧١، وابن أبي الدنيا في «الزهد» رقم ٦٨، وأحمد بن بشر في «الزهد وصفة الزاهدين» رقم ٧٠.

وتأخذ الحصَّة الواجبة من حقائقها؟! شتَّان بين الظُّلماتِ والنُّور، شتَّان بين الظِّل والحَرُور.

وعلى هذا: فيجب على مَنْ يصحبُ القومَ أن يتنبَّه ويعيَ ويفقه، وكل ذلك بالتَّجرُّد عن الغفلة، والانسلاخ قلباً عن حبِّ الدُّنيا، ولا يضرُّ العبد أنَّ الدُّنيا ملء يديه إذا لم تكن في قلبه، بل جاء في الخبر عن النَّبيِّ الأطهر ﷺ: «**لَيْسَ الرَّجُلُ رَجُلَ الدُّنْيَا أَوْ رَجُلَ الآخِرَةِ، بَلِ الرَّجُلُ رَجُلُهُمَا**»[1].

وكذلك فهذا المعنى الأقدس يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة]، والحسنةُ في الدُّنيا: العيشةُ الرَّاضيةُ التي تَعْذُب بالعملِ الصَّالح والعيشِ الرَّغَد، والحسنةُ في الآخرة: النَّظرُ إلى وجه الله الكريم في الجَنَّة.

وقال آخرون: الحسنة في الدُّنيا: محبَّةُ سيِّدِنا محمَّدٍ وآله، والحسنة في الآخرة: المغفرةُ والرِّضا من الله تعالى.

[الصُّحبة أوَّل قنطرةٍ يَعْبُرُ منها السَّالكُ إلى حضرة الحقِّ]

وقد رأى العارفون الصُّحبةَ أوَّلَ قنطرةٍ يَعْبُرُ منها السَّالكُ إلى حضرة الحقِّ؛ لأنَّها تبدِّلُ خُلُقَ السَّالكِ السَّيِّءِ بالحسن، وتُفرِغ فيه جذوةَ الحالِ، فَتُصلِحُ بإذن الله كُلَّهُ، قال تعالى: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة]، أعني: الذين لم يُشَبْ إيمانُهم بظلمٍ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقفوا مع الحقِّ وتخلَّصوا من ربقة الباطل، ورجعوا بكلِّهم إلى الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم، ومن أحبَّ قوماً حُشِرَ معهم.

وقد دَلَلْنَا العاقلَ على الباب الذي يدخلُ منه في مقام الصُّحبة إلى بُحبُوحَة

---

(١) لم أجده بهمتي الضعيفة.

النَّفع والسَّعادة والسَّلامة وهو ترك حبِّ الدُّنيا، ومن تخلَّصَ من محبَّة الدُّنيا فقد أخلصَ المحبَّةَ لله ولأهل الله، وحينئذٍ ينتفعُ بصحبة من تحصل له صحبته من الصَّالحين، والله المعين.

مرحلة لذَّة العلم بالله تعالى

لا يخفى أنَّ أعظمَ لذَّاتِ العارفينَ العِلمُ بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وأعظمَ لذَّاتِ المحجوبين لذَّةُ الرِّياسة ولذَّةُ الجماع، فالإنسانُ يشاركُ البهائمَ والطُّيور في إدراك لذَّةِ الجماع والرِّياسة وحُبِّهما، حتَّى إنَّ الإنسان الأحمق البليد الذي لا يرتفع إلى النَّظريَّات، ولا يدرك المعقولات، يدرك لذَّة الجماع والرِّياسة ويُحبُّهما، بل رُبَّما بَذَلَ روحه في تحصيلهما؛ فإذاً لا يمتاز بذلك عن سائر الحيوانات ولا يفضلها، ولهذه الحكمة قال تعالى في أهل هذا الوصف: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾[الأعراف:١٧٩]، وفي الخبر الشَّريف: «**القِرَدَةُ وَالخَنَازِيْرُ أَعْقَلُ عِنْدَ الله مِـمَّنْ عَصَاهُ**»(١).

ولا تحصل الفضيلة للإنسان إلاَّ بإدراك لذَّة العلم بالله تعالى وصفاتِه وأفعالهِ وحُبِّهِ، وذلك دليلٌ على سلامة عقل المرء وقلبِه، وإلَّا فالقلبُ السَّقيمُ لا يدركُ صاحبُهُ لذَّةَ العِلمِ بالله، ومن كان قلبُه سقيماً بالغفلة عن الله فكأنَّه لا قلب له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق:٣٧] الآية.

وإنَّ سقيمَ القلبِ لا يدركُ لذَّةَ محبَّةِ الله تعالى ولذَّةَ العلم به إلَّا كما يدرك العِنِّيْنُ لذَّة الجماع؛ ولذلك ترى العِنِّيْنَ الذي لا يلتذُّ بالجماع كثيرَ الحرص على الرِّياسة وجمع المال، كيف كان؛ لأنَّ هِمَّتَهُ لم تنتبه وعزيمته لم تتوجَّه إلى اللذَّات الأُخْرَوِيَّة واللَّطائف المعنويَّة الشَّريفة النَّافعة الكاملة، بل هي منصرفةٌ من لذَّةٍ خسيسةٍ إلى أخرى خسيسةٍ؛ وما ذلك إلاَّ من سقم القلب، والعياذ بالله تعالى.

---

(١) رواه عن أبي هريرة: الهيثمي في زوائده على «مسند الحارث»: كتاب الأدب (٢٩)، باب ما جاء في العقل (٩) رقم ٨٨٥.

[دواء سقم القلب]

وهنا سِرٌّ لطيفٌ: وذلك أنَّ دواءَ سقمِ القلب التَّنبُّهُ بذكر الموت واستنقاذ القلب بذلك من الغفلة، فيقصرُ العبدُ أملَهُ في الدُّنيا ويزهدُ بها ويرغب عنها بقلبه، لا هادماً لها ولا مُنقطعاً عنها وعمَّا يرجع إليه ولعياله منها، بل يكتسبُ الحلالَ الطَّيِّب، ويسعى ليدفعَ البؤسَ والضنكَ عن أهله وعياله السَّعْيَ المرضِيَّ الذي لا يضرُّه في دينه ولا يبخسه بضاعة قلبه، فيُطيل أمله في الدُّنيا، ويَحْجُب - والعياذ بالله - قلبه عن الأخرى؛ فإنَّ ذلك الحجاب من البلاء الذي يهدم أمرَي العبد في آخرته ودنياه، ونعوذ بعزّة الله.

خرجَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم على أصحابه فقال: «**هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيْدُ أَنْ يُذْهِبَ اللهُ عَنْهُ العَمَى وَيَجْعَلَهُ بَصِيْراً؟**»، قالوا: بلى، قال: «**أَلا إِنَّهُ مَنْ رَغِبَ فِي الدُّنْيَا وَطَالَ أَمَلُهُ فِيْهَا أَعْمَى اللهُ قَلْبَهُ عَلَى قَدْرِ ذلكَ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا وَقَصُرَ أَمَلُهُ فِيْهَا أَعْطَاهُ اللهُ عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهُدَىً بِغَيْرِ هِدَايَةِ قَلْبٍ**»[1].

والخروج عن حبِّ الدُّنيا وطلب الرِّياسة فيها، والقهر للنَّفس بالمخالفات، والانحطاط عن منصَّات الدَّعاوي بالكلِّية، هو المشرب الخاصُّ للإمام السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله عنه وأرضاه، وقد أقام ركن طريقه المبارك على ذلك؛ فمن أراد الالتحاق بجنابه، والتأدُّب بآدابه، فليُنَبِّه قَلْبَهُ بالزُّهد وقِصَرِ الأمل في الدُّنيا؛ ليضيء قلبه بنور العلم بالله تعالى، وليكون من القوم الذين طابوا بالله وتوكَّلوا عليه، لا يرون للدُّنيا قدراً في قلوبهم إنْ أقبلت، ولا تنزعج لها هممهم إن أدبرت، دأبهم الرِّضا من الله وعن الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) رواه عن الحسن البصري - رحمه الله تعالى - مرسلاً: البيهقي في «الشعب» رقم ١٠٥٨٢، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٣١٢.

مرحلة الجوع

وهي تركُ الشَّرَهِ على الطَّعام وتقليله، لا الجوع المفرط الذي يضرُّ بالمزاج، ولا الشَّره على الطَّعام الذي يُفسِدُ نظامَ المعدة، قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُكُمْ عِنْدَ الله تَعَالَى: أَطْوَلُكُمْ جُوْعَاً وَتَفَكُّرَاً، وَأَبْغَضُكُمْ إِلَى الله تَعَالَى: كُلُّ أَكُوْلٍ نَؤُوْمٍ شَرُوْبٍ**»[1]، وفي الخبر الشَّريف: «**الفِكْرُ نِصْفُ العِبَادَةِ، وَقِلَّةُ الطَّعَامِ هِيَ العِبَادَةِ**»[1]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ قَلَّ طُعْمُهُ وَضَحِكُهُ، وَرَضِيَ بِمَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ**»[1]، وفي الحديث الشَّريف أيضاً: «**مَنْ شَبِعَ وَنَامَ قَسَا قَلْبُهُ**»[1].

ولا بدع؛ فإنَّ كثرة الأكل تورث كثرة النَّوم، وكثرة النَّوم تورث البلادة والبطاءة والبطالة، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَحْيُوْا قُلُوْبَكُمْ بِقِلَّةِ الضَّحِكِ، وَطَهِّرُوْهَا بِالجُوْعِ: تَصْفُو وَتَرِقّ**»[1].

قلت: وذلك لأنَّ عدم الشِّبع يُسكِّن زفرةَ النَّفس، ويجعلها متذلِّلةً لله تعالى، ويزيل بطرها وطغيانها، ولا يكسر النَّفْس شيءٌ كالجوع.

وقد عُرِضَتِ الدُّنيا وخزائِنُها على النَّبيِّ ﷺ فقال: «**لا؛ أَجُوْعُ يَوْمَاً وَأَشْبَعُ يَوْمَاً، فَإِذَا جُعْتُ صَبَرْتُ وَتَضَرَّعْتُ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُ وَشَكَرْتُ**»[2]، وقال عليه

---

(١) ذكر هذه الأحاديث الإمام الغزالي في «الإحياء» ٢/ ٩٩-١٠٤، وقال الحافظ العراقي بأنَّه لم يجد لها أصلاً.

(٢) رواه عن أبي أمامة رضي الله عنه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٢٢٢٤٤، والترمذي في «الجامع»: كتاب الزهد (٣٧)، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه (٣٥) رقم ٢٣٤٧، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، والطبراني في «الكبير» رقم ٧٨٣٥، والبيهقي في «الشعب» رقم ١٤٦٧. ولفظ الترمذي: «**عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، قُلْتُ: لاَ يَا رَبّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا أَوْ قَالَ ثَلاَثًا أَوْ نَحْوَ هَذَا، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ**».

الصَّلاة والسَّلام: «**جَاهِدُوْا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوْعِ وَالعَطَشِ؛ فَإِنَّ الأَجْرَ فِي ذَلِكَ كَأَجْرِ الْـمُجَاهِدِ فِي سَبِيْلِ اللهِ**»[1]، وقال ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدَاً ابْتَلاهُ حَتَّى يَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ**»[2]، فإذا تضرَّع العبدُ اختياراً يكون أكملَ مِمَّن يتضرَّعُ اضطراراً، على أنَّه تعرَّف لربِّه في الرَّخاء، وقد وعد سبحانه بأنَّ من يتعرَّف إليه في الرَّخاء يتعرَّف إليه في الشِّدة.

جاء في الخبر عن النَّبيِّ الأطهر الأَبَرِّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوْا مَجَارِيَهِ بِالْـجُوْعِ والعَطَشِ**»[3].

ولتعلم – أيُّها المُحبُّ – أنَّ كلَّ ما جاء في أخبار الجوع والعطش لا يشير إلى الإفراط فيهما، بل القصد منه كلُّه عدم الشِّبع والميل في ذلك إلى طَرَفِ الجوع وعدم الرِّيِّ التَّامِّ، قال رسولُ الله ﷺ: «**كُلُوْا وَاشْرَبُوا فِي أَنْصَافِ البُطُوْنِ؛ فَإِنَّهُ جُزءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ**»[4].

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ٢/ ٩٩، وقال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً.

(٢) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: البيهقي في «الشعب» رقم ٩٨٧٧، وهناد في «الزهد» رقم ٤٠٥، والديلمي في «الفردوس» رقم ٩٧٠.
ورواه عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: البيهقي في «الشعب» رقم ٩٧٨٦.
ورواه عن كُردوس بن عمرو رضي الله عنه موقوفاً: البيهقي في «الشعب» رقم ٩٧٨٧، وقال الحافظ المناوي في «فيض القدير» رقم ٣٥٣، ١/ ٣١٧: لم يرمز له بشي (أي: السيوطي) ووهم من زعم أنَّه رمز لضعفه وأنَّه كذلك، قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى: إنَّه يتقوى بعدد طرقه.

(٣) رواه عن صفيَّة بنت حُيَيّ **رضي الله عنها**: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب بدء الخلق (٥٩)، باب صفة إبليس وجنوده (١١) رقم ٣٢٨١، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب السلام (٣٩)، باب بيان أنَّه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة ... (١٩) رقم ٢١٧٤، ولكن دون قوله: «**فَضَيِّقُوْا مَجَارِيَهِ بِالْـجُوْعِ والعَطَشِ**»؛ قال العجلوني في «كشف الخفاء» رقم ٦٧١: إنَّه مدرجٌ من بعض الصُّوفية.

(٤) رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: الديلمي في «الفردوس» بهذا اللفظ رقم ٣٣٩، وروى الديلمي في «الفردوس» رقم ٣٣٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**البِسُوا الصُّوفَ وشَمِّرُوا وكُلُوا في أَنْصَافِ البُطونِ: تدخلوا في مَلَكُوتِ السَّموَاتِ**».

هذا هو المقصود عند الشَّارع الأعظم حكيمِ الأنبياءِ وسيِّدهم - صلَّى اللهُ عليه وعليهم أجمعين -، لا أن يجوع المرءُ ويعطش حتَّى تتألَّمَ نفسُه، أو يعتلَّ مِزاجُهُ، فيُمرِضُهُ ذلك ويُضعِفُ دماغه؛ فذلك حرامٌ البَتَّة: «**وَالنَّفْسُ مَطِيَّةُ الْمَرْءِ**»[1] كما ورد في الحديث، وقد أُمِرَ كلُّ امرئٍ بوقاية نفسه، ويَدُلُّكَ على مُراد الشَّارع قوله ﷺ: «**طَعَامُ الاِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ**»[2]، وفي رواية أخرى: «**طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**»[3].

واختلافُ المقاديرِ في هذه الأحاديثِ الشَّريفة؛ لاختلاف الأشخاصِ والطَّبائع، فالمقدارُ القليل النَّافعُ من الطَّعام في حقِّ كلِّ أحدٍ هو ما يكون دون الشِّبعِ، فلا يُمرضُ الجوعُ الرَّجلَ، ولا يُخرجه عن اعتدال مِزاجه ويُضعِف قِواه، ولا يُزحزِحُهُ عن صحَّته، ولا يُعَرِّض حواسَّه للأذى، ولا عقلَه للنقصان؛ فذلك حرامٌ.

ومِثلُهُ الشِّبعُ الـمُبطِرُ الذي يورِثُ كَثرةَ النَّوم والبلاهة والبلادة والبطالة والبطاءة، ويقوِّي الشَّهوة، ويرفع على القلب حُجُبَ الغفلة، ويمنعُ القلبَ أن ينظر إلى ملكوت السَّموات والأرض.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وروى الهيثمي في زوائده على «مسند الحارث» رقم ٨٢٤ عن داود بن المحبر بسنده إلى ابن عباس **رضي الله عنهما** بلفظ: «... **ولكلِّ سببٍ مطيَّة، ومطيَّةُ البر العقل** ...».

(٢) رواه عن أبي هريرة ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الأطعمة (٧٠)، باب طعام الواحد يكفي الاثنين (١١) رقم ٥٣٩٢، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الأشربة (٣٦)، باب فضيلة المواساة في الطعام القليل ... (٣٣) رقم ٢٠٥٨.

(٣) رواه عن جابر ﷺ: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٤٢٧١، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الأشربة (٣٦)، باب فضيلة المواساة في الطعام القليل ... (٣٣) رقم ٢٠٥٩، والإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب الأطعمة (٢٦)، باب ما جاء في طعام الواحد يكفي الاثنين (٢١) رقم ١٨٢٠، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الأطعمة (٢٩)، باب طعام الواحد يكفي الاثنين (٢) رقم ٣٢٥٤.

[بيان معنى القلب]

وليس القلبُ الذي ينظر إلى الملكوت هو الجسمُ الصَّنَوْبَرِيُّ الذي هو العضو الرَّئيس من أعضاء الإنسان، بل هو جوهر قُدس الذَّات، خَلَقَهُ اللهُ سبحانه بنفخةٍ من روحه، وألبسه ذلك الجزء الصَّنَوْبَرِيَّ، فالجُزْءُ الصَّنوبريُّ مُستقرُّهُ ومِثالُهُ كما الضِّياء في العين، وإذا كانت المعدة معتدلة الامتلاء، لا خاليةً ولا مالية، نَشِطَ الوجودُ، وراقَ الفكرُ، وصحَّ الرَّأيُ، وعكس النَّقيضين عكسٌ في الحال لا محالة.

وقد كان رسولُ الله ﷺ يُحِبُّ اللَّحمَ والعسل، وكان يأكل الثَّريدَ باللَّحم والقَرعِ، ويأمرُ السَّيدةَ عائشةَ **رضي الله عنها** قائلاً: «**إِذَا طَبَخْتُمْ قِدْرَاً فَأَكْثِرُوْا فِيْهِ مِنَ الدُّبَّاءِ؛ فَإِنَّهُ يَسُرُّ قَلْبَ الحَزِيْنَ**»[1]، وكان يأكل لحمَ الطَّيرِ الذي يُصاد، ولكن لا يتبعه ولا يصيده، ويحبُّ أن يُصادَ له، وإذا جيء له به أكله.

وكان يحبُّ من الشَّاةِ الذِّراعَ والكتف، ويحبُّ الخبزَ المتَّخَذَ من دقيق بُرٍّ وسمنٍ ولبنٍ، وأكلَ من خبز الشَّعير، وأكلَ الرُّطَبَ بالقِثَّاء[2]، ويحبُّ الزُّبْدَ والتَّمر، ويحبُّ اللَّبن، ولم يشبع من طعامٍ قطُّ.

وهذا كان دأبُ شيخِنا سيِّد الصِّدِّيقين في زمانه، الغوث الأكبر السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ الحُسينيِّ رضي الله عنه وعنَّا به، ونفعنا بعلومه وآدابه والمسلمين.

فاعمل - أيُّها المحبُّ - بهذا الأدب، لا تُفرِط ولا تُفرِّط، وكُن وسطاً، والسَّلام علينا وعليك، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) رواه عن السَّيِّدة عائشة **رضي الله عنها**: أبو بكر الشَّافعي في «الفوائد» الشهيرة بـ«الغيلانيات» رقم ٩١٠، بلفظ: «يَشُدُّ» لا «يَسُرّ».

(٢) القِثَّاء: الخيَار الواحدة قثَّاءة. «مختار الصحاح» مادة: (قثأ).

مرحلة الأخلاق

الأخلاق منها الحَسَنُ ومنها السَّيِّء، قال أولو النَّظر: الخُلُق كيفيةٌ نفسانيَّةٌ هي بطيئةُ الزَّوال عن النَّفس أو غيرُ زائلةٍ عنها، وهي تقتضي صدور فعلٍ عن النَّفس يبرز من غير تدبُّرٍ ولا تفكُّرٍ.

ويُقال: إذا كانت أشكال أعضاء الإنسان على ما ينبغي حَسَنَةُ التَّركيب والمزاج: كانت أخلاقهُ حسنةً على الغالب، وقلبُه سليماً شريفاً مُنقاداً للشَّرع والعقل؛ وقد ترى إنساناً حَسَنَ البَشَرَةِ، جَيِّدَ الوجودِ، فتظنُّه حَسَنَ التَّركيب والمزاج، والحالُ لم يكن كذلك، بل قد يكون في بعض أعضائه ما هو قبيحُ التَّركيب لسِرٍّ قديمٍ قائمٍ في الخَلْق، فتراه يبرز عنه من سوء الخُلُق العجائب، فإذا رأيت مثل ذلك فاتَّهم نفسك بعدم العلم بأحكام التَّركيبِ الوجودي، والمزاجِ البشري، واسألِ العَالِمِيْنَ، قال رسولُ الله ﷺ: «**مَا حَسَّنَ اللهُ خَلْقَ امْرِئٍ وَخُلُقَهُ فَيُطْعِمَهُ النَّارَ**»[1].

وعلى الغالب أيضاً: فإذا كانت أشكالُ أعضاءِ المرء وتركيبها ومزاجها على غير ما ذكرناه وضدّ ما قلناه: كانت أخلاقُه سيِّئةً، وقلبُه سقيماً خسيساً، وكان مُنقاداً لهواه، أسيراً لبَغِيَّة نفسِهِ.

أمَّا الأخلاقُ الحسنةُ فهي: الذَّكاءُ، وصفاءُ الذِّهنِ، والتَّذكُّر الحسن، والشَّجاعة، والثَّبات، والحِلُم، والتَّحمُّل، والتَّواضع، والحَمِيَّة، والرِّقَّة، والسَّخاء، والكَرَم، والإيثار، والمروءة، والعِفَّة، والحياء، والرِّفق، والقناعة، والوَقار،

---

(١) رواه عن أبي هريرة ﷺ: الطبراني في «الأوسط» رقم ٦٧٨٠، والبيهقي في «الشعب» رقم ٨٠٣٨، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» رقم الترجمة ٦٢٤، ٣/ ٨١.
ورواه عن أنس بن مالك ﷺ: الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» رقم الترجمة ١٢٨٧، ٣/ ٢٢٦.

والحُرِّيَّة، والعدالةُ، والصِّدقُ، والصَّداقة، والأمانة، والأُلْفَةُ، والوفاء، والشَّفقة، والوقوف عند الحدود، وإنجازُ الوعد، وعدم نقض العهد، وحسن القضاء، والرِّضا بالحقِّ، والتَّنزُّه عن أموالِ النَّاس، والتَّرفُّع عن الغدر، والتَّباعد عن الحيلة والخديعة، والتَّودُّدُ إلى النَّاس، والتَّوبة، والخشية من الله، وخالص العبادة، والصَّبر والشُّكر، والخوفُ والرَّجاء، والزُّهد والتَّوكُّل، والرِّضاء من الله وعن الله، والمحبَّةُ الخالصة لله ولأهل الله، وقبضُ اللَّسان إلاَّ في حِكمةٍ أو موعظةٍ أو نصيحةٍ أو ذِكرٍ أو كلمة بِرٍّ وخيرٍ، ورعايةُ حقوق الجيران، وحفظُ الوُدِّ القديم، وحفظ ودِّ الوالدين، وصِلةُ الرَّحِم الصُّوريِّ، وإجلال الأساتذة، وحُرمةُ ذوي الهيئات والشُّيوخ، وإغاثة اللَّهْفَان، وصَونُ مقادير العلماء والصَّالحين، وصِلةُ الرَّحِم المعنويِّ، وجبر خواطرِ المنكسرين، وإكرام الضَّيف، والصَّبر على المعسر، والتَّباعدُ عن الغرورِ والإعجابِ، والرَّحمةُ بالمسلمين، والسَّمعُ والطَّاعة إلاَّ في معصية الله، والانسلاكُ في الجماعة أهل الحقِّ، وهجرُ أهل البدعة والزَّيغ، والبُعدُ كلُّ البُعدِ عن أولي العقائد الفاسدة وزُمَرِ الشَّطْحِ والتُّرَّهات، والحياءُ التَّامُّ من الله ورسوله ﷺ ومن المخلوقين، ورفعُ الهِمَّة عن الزُّور والبهتان، ولطفُ المعاشرة، والرِّفقُ ولينُ الكلمة وبِشرُ الوجه، وتركُ الخوض فيما لا يعني، ونصرُ المظلوم، والوقوفُ مع الحقِّ بالحقِّ، وحفظُ غيبةِ أهل الكرامة، وصيانةُ أعراض المسلمين من خدش أرباب الفِرْية وزُمَرِ السُّوء والبُهتان، والشَّفقةُ على خلق الله تعالى كلِّهم على اختلاف الأجناس والمشارب والمذاهب، والقناعةُ، وعلوُّ الهِمَّةِ، والتَّعالي عن البطالة، وإنزال النَّاس منازلهم، ودوام الذِّكر، والتَّشرُّف دائماً بالصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ، وذكرُ الموت، واستحقار المستعارات[1] إذا أطغت، وحسن النِّيَّة للنَّاس،

(١) قال السيد أبو الهدى الصيادي رحمه الله تعالى في «قلائد الزبرجد» صـ٦٣ـ في شرح حكمة الإمام الرفاعي رضي الله عنه «مَا أَقَامَ مَعَ الْـمُسْتَعَارِ إِلَّا الْـمَحْجُوبُ»: لايخفى أنَّ المستعار ما أمكن زواله: =

والفِطنَةُ في شؤون الخَلْق، وعدم التَّمَلُّق، وترك ما يُعَدُّ من العبث، والتَّرَفُّع عن اللَّهو واللَّعب، والأخذ في القول والعمل بما يعني، وتركُ الغِلْظَة، والتَّباعد عن المُداهَنَةِ[1]، واستكمالُ كلِّ الأعمال بالإخلاص الخالص؛ لتكون الأعمال والأقوال والأفعال كلُّها لله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ لأُتَـمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**»[2].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يُذِيْبُ الْـخَطِيْئَةَ كَمَا تُذِيْبُ الشَّمْسُ الْـجَلِيدَ**»[3].

وقال زاده الله شرفاً وتعظيماً: «**أَكْمَلُ الْـمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلاقًا**»[4].

وقال أرواحُنا لشريف جَنابِهِ العظيم الفداء: «**أَثْقَلُ مَا يُوْضَعُ فِي الـمِيْزَانِ الخُلُقُ**

=

كالقوَّة، والمنصب، والجاه، والأهل، والولد، والمال، والرجال، وأمثال ذلك.

(١) المداهنة: هيَ أنْ تَرَى مُنْكَراً وتقدرُ على دَفْعِهِ ولم تدفعه؛ حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلَّة مبالاةٍ في الدِّين. «التعريفات» للجرجاني: (باب الميم).

(٢) رواه عن أبي هريرة ﵁ بهذا اللفظ: البيهقي في «السنن الكبرى»: كتاب الشهادات (٨٢)، باب بيان مكارم الأخلاق...(٤٠) رقم ٢٠٥٧١، ورواه بلفظ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ**»: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٨٩٣٩، والإمام البخاري في «الأدب المفرد» رقم ٢٧٣، ورواه الإمام مالك في «الموطأ» بلاغاً إلى رسول الله ﷺ بلفظ: «**بُعِثْتُ لأُتَـمِّمَ حُسْنَ الأَخْلاَقِ**»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ١٨: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه عن أبي هريرة ﵁: البيهقي في «الشعب» وضَعَّفَهُ رقم ٨٠٣٦.

(٤) رواه عن أبي هريرة ﵁: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٧٦٩٣، وأبو داود في «السنن»: كتاب السنة (٣٥)، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (١٦) رقم ٤٦٨٢، والترمذي في «الجامع»: كتاب الرضاع (١٠)، باب ما جاء في حقِّ المرأة على زوجها (١١) رقم ١١٦٢، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وابن حبان في «صحيحه» رقم ٤٧٩، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الإيمان (١) رقم ١.

الحَسَنُ»[1].

وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا حَسَنُ الأَخْلاقِ**»[2].

وقال عليه أفضلُ صلواتِ الله وأجلُّ تسليماته: «**إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَـيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسَاً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقَاً**»[3].

قلت: وقد غصَّتِ الدَّفاترُ وصُحفُ المؤرِّخين ورجال الطَّبقات من الفقهاء والمحَدِّثينَ والصُّوفيَّة وأهل النَّظر بذكر محاسن أخلاق سيِّدنا الإمام السَّيِّد أحمد الكبير الرِّفاعيِّ الحسينيِّ - رضي الله تعالى عنه وعنَّا به -، وصار الأمر غنيَّاً عن البيان؛ لتواتُرِهِ في طبقاتِ الأمَّة على ألسُنِ الرِّجال وأفراد هذه الـمِلَّة السَّعيدة في العرب والعجم.

---

(١) رواه عن أبي الدرداء رضي الله عنه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٢٨٠٤٤، والإمام أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب (٣٦)، بابٌ في حسن الخلق (٨) رقم ٤٧٩٩، والإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب البر والصلة (٢٨)، باب ما جاء في حسن الخلق (٦٢) رقم ٢٠٠٣، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، وابن حبان في «صحيحه» رقم ٤٨١، ولفظ الترمذي: «**مَا مِنْ شَيءٍ يُوضَعُ فِي الـمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْـخُلُقِ**»، وقال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٢٥: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) رواه عن سيدنا عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه: البيهقي في «الشعب» رقم ٨٠١٣، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٩/ ٢٠٣، ولفظهما: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِحُسْنِ الـخُلُقِ**».

(٣) رواه عن جابر رضي الله عنه بهذا اللفظ: الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب البر والصلة (٢٨)، باب ما جاء في معالي الأخلاق (٧١) رقم ٢٠١٨، وقال: حسنٌ غريب، ورواه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَـيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً**»: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٦٧٣٥، وابن حبان في «صحيحه»: كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق (٧) رقم ٤٨٥، وقال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٢٤: رواه أحمد وإسناده جيد، ورواه عن أبي ثعلبة الخُشَنِي رضي الله عنه بلفظ: «**أحبُّكم إِلَيَّ وأقربُكم مني مجلساً يومَ القيامةِ أحاسنُكم أخلاقًا...**»: الإمام أحمد في «المسند» رقم١٧٨٨٤، والبيهقي في «الشعب» رقم ٧٩٨٩.

فمن أراد أن يقتديَ بنبيِّهِ وأنْ يتَّبِعَ أَثَرَهُ في أخلاقه الطَّاهرة الكريمة فليتمسَّكْ كلَّ التَّمسُّكِ بسيرة السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ ﷺ، وليتخلَّقْ بأخلاقِهِ، ولينهجْ طريقتَه، ويندرج في سِلك أتباعِهِ وأشياعِه - رضي الله تعالى عنه وعنهم -؛ فإنَّهم أحيوا السُّنَّةَ، وأماتوا البِدعةَ، وما عليك إذا أنكر الأَكْمَه[1] الألوانَ، وجحد الجبانُ الكَرَّ والطِّعان، ورحم الله الأستاذَ العارفَ السَّيِّد محمَّد العَلَمِي المقدسيَّ[2] طاب ثراه فإنَّه قال:

الأَحْمَدِيُّـوْنَ لِلإِسْـلام أَرْكَـانُ شَادُوْا الطَّرِيْقَ وَدِيْنَ المُصْطَفَى صَانُوْا

إِذَا طَغَى الدَّهْرُ أَوْ جَارَتْ نَوَائِبُهُ فَالأَحْمَدِيُّوْنَ ذُخْرِي أَيْنَمَا كَانُوْا

وأمَّا الأخلاقُ السَّيِّئة: فهي عكس ما ذكرناه من الأخلاق الحسنة، فمن الأخلاق السَّيِّئة: البلادة، وقساوة القلب، وخُلْف الوعد، والكذب، والغِيْبَة، والنَّميمة، وقول الزُّور، والبُهتان، والخوض بأعراضِ النَّاسِ، والحسد، والحقد، وقِلَّة الرَّحمة، والجُبن والبُخل، والعَجَلة والطَّيش، والوقاحة - وهي قِلَّةُ الحياءِ -، وطلب العلوِّ على النَّاس، والرِّياء، والكِبر، والدَّعوى العريضة، والعُجب، والغضب، وعدم الرِّضا عن النَّاس، وسوء الظَّنِّ، والبغضاء، وكثرة اللَّغط، والحرص، والطَّمع، والشَّره على الدُّنيا، وحبّ الأكل الكثير، والكلام الكثير فيما لا يعني، والاشتغال عن عيوب النَّفس بعيوب النَّاس، والمناكدة، وشقّ العصا،

---

(١) الأَكْمَهُ: الذي يُوَلدُ أعْمَى. «مختار الصحاح» مادة: (كمه).

(٢) محمد بن علي الملقب شمس الدين العلمي القدسي الدمشقي الفقيه الحنفي الرفاعي تـ(١٠١٨): كان عالماً عاملاً، حسن الاعتقاد في النَّاس، وكان ألين المقادسة المقيمين بدمشق عريكةً، وأحسنهم مودةً، منصفاً في البحث، غايةً في الاستحضار، طلب العلم في بلده ثم دخل القاهرة وتفقَّه بها ثم دخل دمشق وقطنها آخراً، وكانت وفاته في نهار الاثنين، ودفن بمقبرة باب الصغير. انظر: «خلاصة الأثر» للمحبي ٢/ ٤٥٥، و«معجم المؤلفين» ١١/ ٢٨.

والازدلاف عن طاعة وليِّ الأمر، والتَّزيُّن للنَّاس، والأمن من مكر الله تعالى، والاتِّكال على العبادة.

وليقابل اللَّبيبُ ممَّا ذكرناه من محاسن الأخلاق كلَّ صِفَةٍ بضِدِّها؛ فالضِّدُّ من الأخلاقِ السِّيِّئة، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَبْلُغُ مِنْ سُوْءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرْكِ جَهَنَّمَ**»(١).

[الأخلاق منها خلقيٌّ ومنها كسبيٌّ والدَّليل على كلٍّ منهما]

ولتعلم - أيُّها المُحبُّ - أنَّ الأخلاقَ الحسنة والسَّيِّئة قد تكون خَلْقيَّةً، وقد تكون كسبيَّةً:

أمَّا دليلُ كونها خَلْقيَّةً: فالتَّجربة، قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ؛ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ**»(٢)، فهذا دليلٌ قاطعٌ على أنَّ من المخلوقين مَن يُخلَقُ طيِّباً، ومنهم من يُخلَق خبيثاً، يؤيِّد ذلك قول النَّبيِّ ﷺ: «**مَا جَبَلَ اللهُ وَلِيّاً إِلَّا عَلَى السَّخَاءِ وَحُسْنِ الخُلُقِ**»(٣).

---

(١) رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: الطبراني في «الكبير» رقم ٧٥٤، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» رقم ١٨١٢، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» رقم ١١، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» رقم ٦٣٩، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول»: باب حسن الخلق رقم ١٦٨، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٨: رواه الطبراني عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف، وقال ابن دقيق العيد في «الإمام»: إنه وثق وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٩٨١١، وأبو داود في «السنن»: كتاب السنة (٣٥)، باب في القدر (١٧) رقم ٤٦٩٣، والترمذي في «الجامع»: كتاب تفسير القرآن ...(٤٨)، باب ومن سورة البقرة (٣) رقم ٢٩٥٥، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وابن حبان في «صحيحه»: كتاب التاريخ (٦٠)، باب بدء الخلق (١) رقم ٦١٦٠.

(٣) رواه عن السَّيِّدة عائشة **رضي الله عنها**: الديلمي في «الفردوس» رقم٦٢١٤، وابن عساكر في =

وأما دليلُ كون بعضِ الأخلاق كسبيَّةً: فالتَّجربة؛ ألا ترى أنَّ الكافر يصيرُ مؤمناً، والمؤمنُ يصيرُ كافراً، والفاسقُ صالحاً، والصَّالحُ فاسقاً، والبخيلُ سخيَّاً، والسَّخيُّ بخيلاً، وسبب ذلك المخالطةُ والاكتساب؛ فمخالطة أولي الأخلاقِ الشَّريفةِ والاكتساب منهم والاقتداء بهم في أفعالهم وأقوالهم وصحبتهم تجعلُ الخُلُق السَّيِّءَ حسناً، والعكس بالعكس.

[تطهير الأخلاق السَّيِّئة بالمجاهدة]

وليعلم أنَّ الأخلاقَ حسنةً كانت أو سيِّئةً، خَلقيَّةً كانت أو كسبيَّةً، قد تكون قويَّةً بحيث لا يقدِرُ صاحِبُها على تطهيرِ نفسِهِ منها، وقد تكون قويَّةً في النَّفس جداً فلا يقدر على إزالتها إلاَّ بالمجاهدة، وقد تكون ضعيفةً فيقدر المرء على إزالتها بالمجاهدة واستبدالها بأضدادها، يؤيد ذلك ما جاء في الخبر: «**العِلْمُ بِالتَّعَلُّم، وَالحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**»[1]، فالتَّعلُّم صيَّرَ الجهلَ عِلماً، والتَّحلُّم صيَّر الطَّيْشَ حلماً.

فإذا كانت قويةً، وما قَدَرَ المرءُ على إزالتها - أعني: الأخلاق السَّيِّئة - بالمجاهدة، يمكن أن يأتي بأضدادها بالمجاهدة والمخالطة والتَّعلُّم والتَّخلُّق فتضعف قوَّتها، فهي مع بقاء أثرها في النَّفس تكون مُضمحِلَّةً لا حُكم لها، وهذه بركة الاندراج بصحبة الصَّالحين، والتَّمسُّك بهديهم والعمل بأعمالهم، والله سبحانه المُعين.

=

«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٤٧٢، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» رقم ٢٤، ١/ ١٨٧.

(١) رواه عن أبي الدرداء ﷺ: الطبراني في «الأوسط» رقم ٢٦٦٣، والبيهقي في «الشعب» رقم ١٠٧٣٩، وأبو نعيم في «الحلية» ٥/ ١٧٤، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» رقم ٢٦٧٤، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٩٧.

ورواه عن أبي هريرة ﷺ: ابن أبي الدنيا في «الحلم» رقم ٢، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» رقم ٤٧٤٤، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٩٩.

مرحلة العلم الذي طَلَبُهُ فريضةٌ على كلِّ مُسلمٍ ومسلمةٍ

قد افتُرِضَ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ تحصيلُ عِلْمِ طريق الآخرة، وهي: محبَّةُ الله ورسوله ﷺ، والخوفُ من الله سبحانه ورجاءُ رحمته، والإيمانُ بكون المرء مكلَّفاً بهذه الأحكام؛ قال رسول الله ﷺ: «**طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ**»[1]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اطْلُبُوا العِلمَ ولَوْ فِي الصِّينِ**»[2].

وذلك العلم الذي افتُرِض: هو العلم بأمر الدِّين؛ ليعرف العبد ما بينه وبين ربِّه من المعاملة في أمر دنياه وأمر آخرته، فيقوم بأحكام الله الواجبة عليه، ويُخلِصُ لربِّه في العمل، ويعرف آفاتَ النَّفس ووساوسها، ومكائد الشَّيطان وخدعه وغروره ومكره، وما يُصلِحُ الأعمالَ ويُفسِدُها، ويعرف حالَ القلبِ والنَّفس والخواطر وأسرارها؛ لأنَّ الخواطرَ رُسُلُ الله ﷻ إلى العبد، وهي النِّيَّة التي هي أوَّل كلِّ عملٍ، وعنها تظهر الأفعال، وبحكمها تقوم الأعمال، وتنسج على ذلك المنوال.

[واجب التَّفريق بين لَـمَّةِ المَلَكِ ولَـمَّة الشَّيطان]

ولذلك يجب التَّفريق بين لَـمَّةِ الـمَلَكِ ولَـمَّةِ الشَّيطان، وبين خاطر الرُّوح

---

(١) رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ابن ماجه في «السنن»: المقدمة، باب فضل العلماء (١٧) رقم ٢٢٤، والبيهقي في «الشعب» رقم ١٦٦٤، روي من غير زيادة: «ومسلمة»، قال السيد جعفر الكتاني رحمه الله تعالى في «نظم المتناثر» صـ٣٥-٣٦: وروي من حديث أنس وجابر وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وعلي وأبي سعيد رضي الله عنهم وفي كلِّ طُرُقِهِ مقالٌ ... وقال المزي: إنَّ طرقه تبلغ به رتبة الحسن... وقال السُّيوطيُّ: جمعت له خمسين طريقاً وحَكَمْتُ بصحَّته لغيره، ولم أصحِّحْ حديثاً لم أسبق لتصحيحه سواه.

(٢) رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: البيهقي في «الشعب» رقم ١٦٦٣، وقال: هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجهٍ كلها ضعيفة، وابن عدي في «الكامل» رقم ٩٦٣، والعقيلي في «الضعفاء» رقم ٧٧٧، والخطيب «البغدادي» في تاريخ بغداد رقم ٤٩٣١.

ووسوسة النَّفس، وبين علم اليقين وقوادح العقل؛ ليُميِّز بذلك المرء بين أحكام الخواطر والوساوس، واللَّمَّتين المذكورتين، وبين العلم اليقين وقوادح العقل.

ولا بدع؛ فطاعةُ الله تعالى، وطاعةُ رسول الله ﷺ فرضٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، فإذاً العلمُ الذي يقيم العبدَ في طاعة الله وطاعة رسوله - عليه الصَّلاة والسَّلام - هو فرضٌ لا محالة، ومنه علمُ الفرائض والسُّنن، والحلال والحرام، وهذا العلمُ الجامع لهذه الدَّقائق الشَّريفة التي ذكرناها يُسمَّى: فِقْهاً وشريعةً وديناً وحِكْمةً وصراطاً مستقيماً وسُنَّةً، ويُسمَّى: علم طريق الآخرة.

ومتى صحَّت للعبد الطَّاعةُ لله تعالى ولرسوله ﷺ على قانون العلم الإلهي المحمَّديِّ، فقد صحَّ له الجهاد في الله، وثبتت له الهداية بشاهد قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ بِما يَعلمُ، وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَـمْ يَعْلَمْ**»[١].

فببركة الطَّاعة الخالصة المطابقة لأمر الله تعالى ولأمر رسوله ﷺ يُفاضُ العلمُ اللَّدُنِّيُّ للعبد، ويورثه الله من العلوم الرَّبَّانيَّة ما لم يكن يعلم، قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

ولهذا السِّرِّ قال رسول الله ﷺ: «**تَعَلَّمُوْا اليَقِيْنَ وَإِنِّيْ مُتَعَلِّمٌ مَعَكُمْ**»[٢]، واليقينُ - أي: بذات الله تعالى وصفاته - بحيثُ يفتح بالطَّاعة الخالصة كنوز حقائق

---

(١) رواه عن أحمد بن حنبل، عن يزيد بن هارون، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً: أبو نُعيم في «حلية الأولياء» ١٠/ ١٥، وقال: «ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التَّابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام، فَوَهِم بعض الرُّواة أنَّه ذكره عن النَّبيّ ﷺ، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقُربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد، عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى».

(٢) رواه عن ثور بن يزيد مرسلاً: أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٩٥.

ورواه عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان من قوله: ابن أبي الدنيا في «اليقين» رقم ٧.

الملكوت.

ومجموع هذه النُّعوت التي نعتنا بها هذا العلم إذا اجتمعت وصارت جملةً أو كلمةً فقل: هي علم التَّصوُّف الذي هو علمُ طريق الآخرة، وهو الذي فصَّلناه، ومعراجه الزُّهد والإخلاص.

قال ﷺ: «**مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا أَدْخَلَ اللهُ قَلْبَهُ الحِكْمَةَ** ...»[1] الحديث، وفي الخبر: «**مَنْ أَخْلَصَ لله أَرْبَعِيْنَ صَبَاحَاً، تَفَجَّرَتْ يَنَابِيْعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ وَجَرَتْ عَلَى لِسَانِهِ**»[2]، ومن أَخلص لتتفجَّرَ، لم تتفجَّرْ.

فإذا تَحَلَّى القلبُ بالزُّهد والإخلاص: عرجت الهمَّةُ إلى حظيرة القرب، وانكشفت للسِّرِّ الحُجُب، وعُدَّ العبدُ في العلماء أهلِ القَبول الذين يُحِبُّهم أهلُ السَّماء.

[لا فرق بين علم الظَّاهر وعلم الباطن]

فمن هذه الإيضاحات اللَّطيفة يظهرُ لك - أيُّها المحبُّ - أنَّه لا فرق بين عِلمِ الظَّاهر وعِلمِ الباطن؛ إذ علمُ الباطنِ نتيجةُ علم الظَّاهر، وكلاهما واحدٌ، فعلمُ الباطن: صدقُ حالِ القلبِ بالعمل، وعلمُ الظَّاهرِ: علمُ الأحكامِ الذي يرتضي الله

---

(١) رواه عن سيدنا عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٧٤، وقال: هذا حديث غريب لم يروه مرفوعاً مسنداً إلَّا العترة الطيبة خلفاً عن سلفها، ورواه عن سيدنا الحسين بن عليٍّ **رضي الله عنهما**: الديلمي في «الفردوس» رقم ٥٧٦٦، ورواه عن جابر بن زيد مرسلاً: الربيع في «مسنده» رقم ١٠٠٠، ورواه عن صفوان بن سُلَيم مرسلاً: البيهقي في «الشعب» رقم ١٠٥٣١، وقال: هذا مرسل وقد روي بإسناده آخر ضعيف.

وقد روي بألفاظ متقاربةٍ، ولفظ أبو نعيم: «... **وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنيا ثَبَّتَ اللهُ الحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ اللهُ بِهَا لِسَانَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنَ الدُّنْيَا سَالِماً إِلَى دَارِ القَرَارِ**».

(٢) رواه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أبو نعيم في «الحلية» ٥/ ١٨٩، والديلمي في «الفردوس» رقم ٥٧٦٧، ورواه عن ابن عباس **رضي الله عنهما** : القضاعي في «مسند الشهاب» رقم ٤٦٦، ورمز السيوطي لضعفه في «الجامع» رقم ٨٣٦١.

العمل بها.

وبَعْدَ فَهْمِ الأحكامِ كما شرعَ سيِّدُ الأنام ﷺ والعمل بها بالإخلاص الخالص والحال المحمَّديِّ، فلا حاجة في أمر الآخرة وشؤون القلب إلى علمٍ أو فَنٍ آخرَ، بل يكون ذلك الرَّجلُ الجامع بين العلم بالأحكام والعمل مخلصاً بها من العلماء الذين هم وَرَثَةُ الأنبياء المعنيِّينَ بقوله - عليه الصَّلاة والسَّلام -: «**العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، يُحِبُّهُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الحِيْتَانُ فِي البَحْرِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»[1].

ولا يَكْمُلُ لنا الإرثُ لساداتنا الأنبياءِ صلواتُ الله وتسليماتُه عليهم إلَّا ببثِّ هذا العلم المبارك في الأُمَّةِ وتعليمه النَّاس؛ قال رسول الله ﷺ: «**عَلَى خُلَفَائِيْ رَحْمَةُ اللهِ**»، قِيْلَ: مَنْ خُلَفَاؤُكَ؟ قَالَ: «**الَّذِيْنَ يُحْيُوْنَ سُنَّتِيْ وَيُعَلِّمُوْنَهَا عِبَادَ اللهِ**»[2]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ جَاءَهُ الـمُوْتُ وَهُوْ يَطْلُبُ العِلْمَ؛ لِيُحْيِيَ بِهِ الإِسْلَامَ فَبَيْنَهُ وَبِيْنَ الأَنْبِيَاءِ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ**»[3]، وقال ﷺ: «**فَضْلُ الْعَالِـمِ عَلَى الْعَابِدِ**

---

(١) رواه عن البراء بن عازب رضي الله عنه بهذا اللفظ: الديلمي في «الفردوس» رقم ٤٢٠٩، ورواه عن أبي الدرداء رضي الله عنه بلفظ: «...**وَإِنَّ الْعَالِـمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الماءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ...**»: أبو داود في «السنن»: كتاب العلم (٢٠)، باب الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ (١) رقم ٣٦٤١، والترمذي في «الجامع»: كتاب العلم (٤٢)، باب ما جاء في فَضْلِ الفقه على العِبادَةِ (١٩) رقم ٢٦٨٢، وابن ماجة في «السنن»: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١٧) رقم ٢٢٣، وابن حبان في «الصحيح»: كتاب العلم (٤) رقم ٨٨.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ١/ ٢١: وقال الحافظ العراقي: رواه ابن عبد البر في «العلم»، والهروي في «ذم الكلام» من حديث الحسن، فقيل: هو ابن عليٍّ، وقيل: ابن يسار البصري، فيكون مرسلاً، ولابن السني وأبي نعيم في «رياضة المتعلمين» من حديث عليٍّ نحوه. ورواه عن الحسن رضي الله عنه أيضاً: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥١/ ٦١.

(٣) رواه عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: الطبراني في «الأوسط» رقم ٩٤٥٤، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» رقم ١٠٥٦، ٣/ ٧٨، والديلمي في «الفردوس» رقم٥٧٥٥، ورواه عن الحسن: =

كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي»[1]، وقال عليه أفضل الصَّلاة وأتمُّ السَّلام: «**لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْرَاً**»[2].

وهذا الحسدُ المعنيُّ بهذا الحديث الشَّريف هو الغِبطة، لا الحسد المطلق؛ فإنَّ الغبطة إرادةُ الخير للمغبوط وإرادة مثله للنَّفْس، والحسد إرادة زوال نعمة المحسود والعياذ بالله تعالى، وذلك خُلُق إبليس قبَّحه الله، فليحفظ.

ولا بدع؛ فالعُلماء أُمَناء الرُسُل، لكن إذا حفظوا عهودهم، وصانوا ذِمَّتهم، ووقفوا مع الحقِّ، قال ﷺ: «**العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ الله مَا لَمْ يُخَالِطُوْا السُّلْطَانَ، فَإِذَا فَعَلُوْا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوْا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوْهُم وَاعْتَزِلُوْهُم**»[3].

=
ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥١/ ٦١، وقال الحافظ العراقي في تخريجه على «الإحياء» ١/ ١٩: أخرجه الدارمي [في «السنن»: باب في فضل العلم والعالم (٣٢) رقم ٣٥٤] وابن السني في «رياضة المتعلمين» من حديث الحسن فقيل: هو ابن عليٍّ، وقيل: هو ابن يسار البصري مرسلاً.

(١) رواه عن أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ: «... **على أدناكم**»: الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب العلم عن رسول الله ﷺ (٤٢)، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (١٩) رقم ٢٦٨٥، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، والطبراني في «الكبير» رقم ٧٩١١.

(٢) رواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب العلم (٣)، باب الاغتباط في العلم والحِكْمَة (١٥) رقم ٧٣، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب صلاة المسافرين (٦)، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلَّمه ... (٤٧) رقم ٨١٦.

(٣) رواه عن أنس رضي الله عنه: الديلمي في «الفردوس» رقم ٤٢١٠، والرافعي في «التدوين في أخبار قزين» ٢/ ٤٤٥، وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ٢٦٣: هذا حديثٌ لا يصح عن رسول الله ﷺ، وتعقَّبه الحافظ السيوطي في «اللآلي المصنوعة» ١/ ٢٠٠ فقال: الحديث ليس بموضوع، وقد أخرجه الحسن بن سفيان في «مسنده» وقد ورد هذا الحديث بهذا اللفظ من حديث علي بن أبي
=

[بيان قول النبي ﷺ في العلماء: «مَا لَـمْ يُـخَالِطُوْا السُّلْطَانَ»]

والمخالطةُ ليست بمجرد المُعارَفةِ والمُقارَبة، إنَّما هي بالموافقة على ما لم يكن من شرائع المُرسَلين - عليهم الصَّلاة والسَّلام -، بل هو مجردُ غلبةٍ قاهرةٍ وهي السُّلطة.

واختلف أهل النَّظر في هذه النُّكْتَة(1)، فقالوا: مقاربةُ السُّلطان تجب على العلماء الذين يقولون الحقَّ، ويُخْلِصون له النَّصيحةَ، ويُبيِّنون له حُكمَ الكتابِ، وحِكْمَةَ السُّنَّةِ المُحمَّديَّة، ويُذكِّرونه بالآخرة، ويشفعون لديه الشَّفاعةَ الحسنة؛ فينفعون الصَّالحين والأخيار وذوي الشَّرف وأهل الحقِّ، ويَكُفُّون عنه وعن المسلمين شرورَ أهلِ البغي والفساد، وأرباب المكر والخديعة والإلحاد، وقد عُدَّ مثل أولئك على لسان النَّبيِّ الأعظم ﷺ بأنَّهم من الأبدال(2).

=

طالب ﷺ مرفوعاً أخرجه العسكري، وورد موقوفاً على جعفر بن محمد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» [٣/ ١٩٤]، وله شاهد نحوه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس»، وله شواهد بمعناه كثيرة صحيحة وحسنة فوق الأربعين حديثاً، وهذا الحديث الذي نحن في الكلام عليه يحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن والله أعلم.

وقد وافق الإمامَ السيوطي بتحسينه لهذا الحديث ابنُ عراق في «تنزيه الشريعة» كتاب العلم ٤٧، ١/ ٢٦٧.

(١) النُّكتة: هي مسألةٌ لطيفةٌ أُخْرِجَت بدقة نظرٍ وإمعانٍ، مِنْ نَكَتَ رُمْحَهُ بأرضٍ إذا أثَّر فيها، وسُميت المسألة الدَّقيقة نكتةً؛ لتأثير الخواطر في استنباطها. «التعريفات» للجرجاني: (باب النون).

(٢) كي لا يفهم السَّالك أنَّ عليه أن يبتعد عن السلطان ونصحه يبين الإمام الرواس - قدِّس سرُّه - المعنى المقصود من مخالطة السلطان في قول النَّبيِّ: «**العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ الله مَا لَـمْ يُخَالِطُوْا السُّلْطَانَ ...**»؛ بأنَّها موافقة أئمَّة المسلمين على ضلالهم طلباً للدنيا، فيبيعونَ دينهم بعرضٍ من الدنيا قليل، أمَّا نصحهم أئمَّة المسلمين مع سلامة صدورهم وحبهم الخير لكلِّ المسلمين، وبعدهم عن الغايات الدنيوية الدنية، فهو أمرٌ مطالبٌ فيه العالم الرَّبَّانيُّ قبل غيره، وسيِّدنا النَّبيُّ المصطفى ﷺ عدَّ من صفات الأبدال: النَّصيحة لأئمَّة المسلمين، وذلك في عدَّة
=

كتَبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز[1] - طيَّب الله مرقده، وعَمَّه برضوانه ورحمته - في أيَّام خلافته إلى الإمام الحسن البصري رضي الله عنه:

أمَّا بعد: فأشِرْ عليَّ بقومٍ أستعينُ بهم على أمر الله عز وجل.

فكتَبَ إليه: أمَّا أهلُ الآخرة فلن يريدوك، وأمَّا أهل الدُّنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأَشْرَاف؛ فإنَّهم يصونون شرفَهم عن أن يُدنِّسوه بالخيانة.

وفي كلام الحسن البصري - نوَّرَ اللهُ ضريحَهُ - نكتةً، وتلك أنَّ أبناء الآخرة الصِّرف الذين لا حظَّ لهم من عِلم الدُّنيا لا يريدون القُرْبَ من الملوك؛ لعجزهم عن القيام بالحقوق التي تجب عليهم من النَّصيحة لأئمَّتهم، والوقاية لهم من خِدَعِ

=

أحاديث منها:

مارواه عن سيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه: ابن أبي الدنيا في «الأولياء» رقم ٨، والخلال في «كرامات الأولياء» بلفظ: «**الأبدالُ ستونَ رجلاً ليسوا بالمُتَنَطِّعينَ ولا بالمبتَدِعِينَ ولا بالمتَعَمِّقِينَ ولا بالمُعْجَبينَ لم ينالوا ما نالوا بكثْرَةِ صيامٍ ولا صَدَقَةٍ ولكنْ بسخاءِ الأَنفُسِ وسلامةِ القُلوبِ والنَّصيحةِ لأئمَّتهم**».

ومارواه عن ابن مسعود رضي الله عنه: الطبراني في «الكبير» رقم ١٠٣٩٠، بلفظ: «**لا يَزَالُ أَرْبَعُونَ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ، يَدْفَعُ الله بِهِمْ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ، يُقَالُ لَهُمُ الأَبْدَالُ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوهَا بِصَلاةٍ وَلا بِصَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، فَبِمَ أَدْرَكُوهَا؟ قَالَ: بِالسَّخَاءِ وَالنَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ**».

وما رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٦/ ٤٣٥، بلفظ: «**إنَّ دِعَامَةَ أُمَّتِي عُصُبُ اليَمَنِ وَأَبْدَالُ الشَّام، وهم أربعونَ رَجُلاً، كُلَّمَا هَلَكَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ آخَرَ، لَيْسُوا بِالمُتَماوِتِيْنَ ولا المُتَهالِكِينَ وَلا المُتَنَاوِشِينَ، لَمْ يَبْلُغُوا ما بَلَغُوا بِكَثْرَةِ صَوْمٍ ولا صَلاةٍ، وإِنَّما بَلَغُوا ذَلِكَ بِالسَّخَاءِ، وَصِحَّةِ القُلوبِ، وَالمُنَاصَحَةِ لِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ...**».

(١) أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص رضي الله عنه (٦١ - ١٠١)هـ: الخليفة الصَّالح، والملك العادل، ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشَّام، وولي الخلافة بعهدٍ من سليمان سنة ٩٩هـ، فبويع في مسجد دمشق، ولم تطل مدته، قيل: دس له السُّم وهو بدير سمعان من أرض المعرَّة، فتوفي به، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة. انظر: «الأعلام» للزركلي ٥/ ٥٠.

أهل الطَّمع والشَّرَه على الدُّنيا، والصِّيانة لشؤونهم ولشؤون الأُمَّة.

وأمَّا أبناءُ الدُّنيا الصِّرف، فالـمَلِكُ الصَّالح سيَّما عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأضرابه فهم لا يريدونهم البَتَّة[1]، ولكنِ الذين يُرادون من قِبَل الملوكِ الصَّالحين، ويجب عليهم القرب منهم فأولئك الجامعون بين الأمرين، رجال الدُّنيا ورجال الآخرة، وهم الرِّجال الكُمَّل الذين أشار إليهم النَّصُّ النَّبويُّ بلفظ: «**لَيْسَ الرَّجُلُ رَجُلَ الدُّنْيَا أَوْ رَجُلَ الآخِرَةِ، بَلِ الرَّجُلُ رَجُلُهُمَا**»[2].

وقد حثَّ الإمام الحسن على اصطناع الرِّجال الأشراف أهل المروءات، الذين يقدِّمون غَنِيمَةَ الشَّرفِ والمجد على غنيمة المال، وإلَّا فلو كان النَّهي مطلقاً لتعطَّلت أحكامُ الشَّريعة، ولسقط حكم الأمر بالنَّصيحة التي أمرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نبذلها لله ولرسوله ولكتابه ولأئمَّة المسلمين ولعامَّتهم[3].

وعلامة العالم النَّاصح المتحلِّي بحكم هذه الحكمة النَّبويَّة: أن تكثر حسَّاده وأعداؤه من أهل الباطل وكلاب الدُّنيا، قال الثَّوريُّ[4] رضي الله عنه: إذا رأيت العالِـمَ كثيرَ

---

(١) أي: لا يريدوهم قطعاً، قال الزبيدي في «تاج العروس» مادة: (بتت): البَتُّ: الانْقِطاعُ، ولا أَفْعَلُه أَلْبَتَّةَ بقطع الهمزة كما في نسختنا وضُبِط في الصِّحاح بوصلها، قالوا: كأَنَّه قَطَعَ فِعْلَهُ.

(٢) لم أجده بهمتي القاصرة.

(٣) روى الإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإيمان (١)، باب بيان أنَّ الدين النصيحة (٢٣) رقم٥٥ عن تَمِيمٍ الدَّارِيّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِـمَنْ، قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الـمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثَّوري، من بني ثور ابن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله (٩٧-١٦١)هـ: أمير المؤمنين في الحديث، كان سيدَ أهل زمانه في علوم الدِّين والتَّقوى، وهو أحد الأئمة المجتهدين، ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى، وخرج من الكوفة سنة (١٤٤)هـ فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي، فتوارى، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً؛ له من الكتب: «الجامع الكبير»، و«الجامع الصغير» كلاهما في الحديث، وكتاب في «الفرائض». انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/ ٣٨٦، و«الأعلام» للزركلي =

الأصدقاء فاعلم أنَّه مُخلِّط، وإذا رأيت الرَّجل مُحبَّباً إلى إخوانه محموداً في جيرانه فاعلم أنَّه مُراءٍ.

قال سهلٌ[1] رضي الله عنه: العِلمُ كلُّه دنيا إلَّا العمل به، والعمل هباء إلَّا الإخلاص، والنَّاس موتى إلَّا العلماء، والعلماء سكارى غير العاملين، والعاملون مغرورون إلَّا المخلصين، والمخلص على وجلٍ حتَّى يُختَم له بخيرٍ، وتلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

وقال شيخ مشايخ الإسلام مولانا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيُّ - رضي الله عنه وعنَّا به -: خمسٌ من علامات علماء الآخرة: الخشية من الله، والخشوع لله، والتَّواضع، وحُسن الخُلُق، والزُّهد الذي يتحكَّم في القلب؛ وهو الذي لا يضرُّه إقبالُ الدُّنيا بحذافيرها على المرء؛ فإنَّ زاهد القلب لا تَطِيبُ نفسُه بهذه المستعارات، ولا تستفِزُّه طقطقةُ النِّعالِ خَلْفَه، قال تعالى في حقِّ قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [القصص].

فعلماء الآخرة مع تقلُّب الدُّنيا في أيديهم لا تَهَشُّ إليها نفوسُهُم، ولا تميلُ إليها قلوبُهم، وهَمُّهم الدّلالةُ على الله والدَّعوةُ إليه، وأولئك هم ورثةُ الأنبياءِ حقّاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [فصلت:٣٣].

=

٣/ ١٠٤.

(١) سَهْلُ بنُ عبد الله بنِ يونُسَ بنِ عيسى التُّسْتَرِيُّ، أبو محمد (٢٠٠ - ٢٨٣)هـ: أحد أَئِمَّة القوم وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الرِّياضياتِ، والإخلاص، وعيوب الأفعال. صاحب كراماتٍ، صَحِب خاله محمَّد بن سَوَّار، وشاهد ذا النُّون المِصريَّ سنة خروجه إلى الحجّ بمكّة، له: «تفسير القرآن» مختصر، و«رقائق المحبين» وغير ذلك. انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي صـ٦٧ـ، و«طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ٤٤، صـ١٨٤ـ، و«الأعلام» للزركلي ٣/ ١٤٣.

وقد نبَّه القرآنُ العظيمُ بأمرِ الله الحكيم العليم رسولَ الله ﷺ ودلَّهُ على طريق الدَّعوة إليه سبحانه بنصٍّ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، وأنبأه عليه الصَّلاة والسَّلام كتابُ الله، والله سبحانه أصدقُ القائلين بأنَّ مَنِ اتَّبعه ﷺ يكون من الدَّاعين إلى الله على بصيرةٍ بنص: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[يوسف:١٠٨] .

ولسِرِّ هذه الحكمة المنصوصة كان الأئمَّةُ من علماء الظَّاهر إذا أشكلت عليهم مسألةٌ اختلفت فيها الأدلَّة، سألوا أهل العلم بالله تعالى الذين صحَّت لهم مَزِيَّة الاتِّباع الكامل للنَّبيِّ الأكمل الأكرم ﷺ، فوعوا أسرارَ أقواله، وعملوا بجليل أعماله، وتحلَّوا بشريف أحواله، وما زالوا قِيْدَ شَعرةٍ عن منواله – صلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وخدَّامه وأشياعه –.

وقد كان إمامُنا الشَّافعي والإمامُ أحمد بن حنبل رضي الله عنهما يجلس الواحد منهما بين يدي شَيبان الرَّاعي[1] كما يجلس الصَّبيُّ بين يدي المعلِّم ويسأله عمَّا يشكل عليه، فقيل له: مِثْلُك في علمك وفقهك وشرفك يسأل هذا البدويَّ؟ فيقول: إنَّه وُفِّقَ لِـمَا لم نُحِط به علماً.

وكان يحيى بن معين[2] والإمام الجليل أحمد بن حنبل يختلفان إلى الشَّيخ معروفٍ

---

(١) شيبان الرَّاعي: كان من رؤوس الزُّهاد، وأكابر العارفين الأمجاد، وكان في المجاهدة فائقاً، وفي التَّوكُّل على ربِّه مبالغاً واثقاً، توفي في حدود السبعين ومائة بمصر، ودفن بالقرافة بقرب الشَّافعيِّ رضي الله عنه. انظر: «الوافي بالوفيات» ٥/ ٢١٦، و«الطبقات الكبرى» للمناوي رقم ١١٦، ١/ ٣٢٥.

(٢) يحيى بن معين بن عون بن زياد المري بالولاء، البغدادي، أبو زكريا (١٥٨ – ٢٣٣)هـ: الحافظ المشهور، كان إماماً عالماً حافظاً مُتقِناً، من أئمَّة الحديث ومؤرِّخي رجاله، نعته الذَّهبي بسيِّد الحُفَّاظ، وقال العسقلاني: إمام الجرح والتَّعديل، وقال ابن حنبل: أعلمنا بالرجال، له: «التاريخ والعلل» في الرجال، و«معرفة الرجال»، و«الكنى والأسماء»، وتوفي بالمدينة حاجاً وصلى عليه أميرها. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٦/ ٤١٢، و«الأعلام» للزركلي ٨/ ١٧٢.

الكرخيِّ[1] فيسألانه، ولم يكن يُحِسن من العلم ما يحسنانه، فقيل لهما في ذلك فقالا: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، كيفَ نصنعُ إذا جَاءَنَا أَمرٌ لم نَجدْهُ في كتابِ الله ولا في سُنَّةِ رسولِ الله؟ فَقَالَ: «**سَلُوْا الصَّالـحِيْنَ**»، وفي روايةٍ أخرى: «**سَلُوْا الصَّالِحِيْنَ، وَاجْعَلُوْهُ شُوْرَى بَيْنَهُمْ، وَلا تَقْضُوْا فِيْهِ أَمْرَاً دُوْنَهُم**»[2]. انتهى كلامُ شيخِ مشايخنا، إمام الكلِّ في الكلِّ، السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله عنه وعنَّا به.

وقال سيِّدنا الإمام الرِّفاعيُّ نفعنا الله والمسلمين بعلومه في بعض مجالسه الشَّريفة: كلُّ علمٍ من العلوم قد يَتَأَتَّى حِفظُه ونشرُه لمنافقٍ ومبتدعٍ ومُشركٍ إذا رَغِبَ فيه وحَرَصَ عليه؛ لأنَّه نتيجة الذِّهن وثمرة العقل إلاَّ علم الإيمان واليقين وما ينتج عنهما؛ فإنَّه لا يَتَأَتَّى ظهور مشاهدة ذلك، والكلام في حقائقه إلاَّ لمؤمنٍ مُوقنٍ تقيٍّ؛ لأنَّ ذلك ثمرة الإيمان النَّيِّر، وهو من آيات الله وعهده، وآياتُ الله تعالى لا تكون للفاجرين، ولا ينال عهده الظَّالمون.

فالعلم بالله تعالى والإيمان به قرينان لا يفترقان، وبمقدار العلم بالله يكون الإيمان به ففي الخبر: «**الإِيْمَانُ عُرْيَانٌ، وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى، وَزِيْنَتُهُ الحَيَاءُ، وَثَمَرَتُهُ العِلْمُ**»[3]. انتهى كلامه العالي.

---

(١) هو الإمام معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ تـ (٢٠٠)هـ: أحد أعلام الزُّهَّاد والصُّوفيَّة، كان من موالي الإمام عليٍّ الرِّضا بن موسى الكاظم، ولد في كرخ بغداد، ونشأ وتوفي ببغداد، اشتهر بالصَّلاح، وقصده النَّاس للتَّبرك به حتَّى كان الإمام أحمد بن حنبل في جملة من يختلف إليه. انظر : «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٥/ ٢٣٣، و«الأعلام» للزركلي ٧/ ٢٦٩.

(٢) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ١/ ٣٤، وقال الحافظ العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن عباس، وفيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور.

(٣) رواه عن عبد الله بن مسعود ﷺ: الديلمي في «الفردوس» رقم ٣٨٠، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» رقم ١٢٩و١٣٠.

ورواه عن أبي الدرداء ﷺ: الحاكم في «تاريخ نيسابور» بإسنادٍ ضعيفٍ كما عزاه الحافظ العراقي =

فتدبَّر - أيُّها المحبُّ - أسرارَ هذا الكلام، وزيِّن إيمانَك بالحياء، وألبِسْهُ دِرع التَّقوى؛ لينتج لك العلم بالله، فتكون من عباد الله المُقرَّبين، ومن أحبابه الموفَّقين، وأوليائه المقبولين، الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

ولا يَكْمُل لك هذا الشَّأن إلاَّ بخدمة أهله الذين ساروا ووصلوا وعلموا وعملوا.

ولا بدع؛ فعلماء طريق الآخرة طائفتان: طائفةٌ عَلِمَت عِلْمَ الأحكامِ وعَمِلَتْ به ولم يَحصُلْ لها كمال التَّحلي بحال النَّبيِّ ﷺ، فَسُبِغَت ظواهِرُهم بِحُكْم العلم، ولم تُسْبَغْ بواطنُهم بحكمته فلم تُفتَح أقفالُ قلوبِهم فقيل لهم: علماءُ الظَّاهر.

والأخرى علمت علم الأحكام وعملت به وتحلَّت بحال المصطفى عليه أفضل الصَّلاة وأتمُّ السَّلام فَفُتِحَت لهم خزائنُ القلوب، وبها عرفوا حقائق الملك والملكوت؛ لأنَّ بواطِنَهم سُبِغَتْ بنور الحال المحمَّديِّ فقيل لهم: علماء الباطن.

وكلُّهم في الحقيقة قافلةٌ واحدةٌ سَبَقَت واحدةٌ في الطَّريق المحمَّديِّ فوصلت، والأخرى على الطَّريق، ولا فرق بينهما؛ إذ الطَّريقة المطروقة ما هي إلَّا طريقة النَّبيِّ ﷺ، وسُلَّاكُها وُرَّاثُ الصَّحابةِ الكرام، فالسَّابقون السَّابقون أولئك المقربون، وما

=

إليه في تخريجه على «الإحياء» ١/ ١٤.

ورواه عن أبي هريرة ﷺ: ابن النَّجار كما عزاه الإمام السيوطي إليه في «الجامع الكبير» رقم ١٠٢٥٤.

ورواه من قول وهب بن منبه: ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم ٤٩، ٨/ ٢٦٠، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» رقم ٩٧.

ورواه عن سيِّدنا عليٍّ ﷺ: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٤١، بلفظ: «**يا علي، إنَّ الإسلامَ عُريانَ، لِباسُهُ التَّقوى، ورياشُهُ الهدى، وزينتُهُ الحياءُ، وعمادُهُ الورعُ، وملاكُهُ العملُ الصَّالحُ، وأساسُ الإسلامِ حُبِّي وَحبُّ أهلِ بيتي**».

أبو بكرٍ بفضله وعلمه، وعمر بعقله وعدله، وعثمان بحيائه وسخائه، وعليٌّ باستجماعه الفضائلَ والمناقب وارتقائه إلى شوامخ المراتب، كراعٍ من الصَّحابة رأى رسولَ الله ﷺ وسمع منه وأخذ عنه، شتَّان بين العِلْمَين، شتَّان بين الفَهْمَين، شتَّان بين المنزلتين، ولكنْ كلُّهم في ساحةِ الصُّحْبَةِ واحِدٌ، هذا نقول فيه: صاحب رسول الله، والآخر نقول فيه كذلك، ولكلٍّ منهم مقامٌ معلومٌ - رضي الله عنهم أجمعين -.

وللطَّائفتين المذكورتين شأنٌ كريمٌ وحالٌ عظيمٌ، فالسَّارية بعد الواصلة يُرجى لها الوصولُ إن شاء الله، غير أنَّ الواصلة هي التي يُطْلَقُ على حزبها المبارك نعت أولي الألباب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

ولا ريب؛ فالطَّائفةُ الثَّالثة التي تعلَّمتِ العلمَ لغير الله، وانصرفت هِمَمُها إلى الدُّنيا، فهُم علماءُ السُّوء، قال فيهم تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾[البقرة].

وقال رسول الله ﷺ: «**العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوْا فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا دَخَلُوْا فِي الدُّنْيَا فَاحْذَرُوْهُم عَلَى دِيْنِكُم**»[1]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ ازْدَادَ عِلْماً وَلَمْ يَزْدَدْ زُهْدًا فَإِنَّمَا ازْدَادَ مِنْ اللهِ بُعْداً**»[2]، وقال ﷺ: «**هَلاكُ أُمَّتِي: عَالِمٌ فَاجِرٌ،**

(١) مرَّ تخريجه صـ٧١ـ.

(٢) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ١/ ٨١ وقال الحافظ العراقي: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» [رقم ٥٨٨٧] من حديث عليٍّ ﷺ بإسنادٍ ضعيفٍ إلا أنه قال: «زهداً»، =

وَعَابِدٌ جَاهِلٌ، وَشَرُّ الشِّرَارِ: شِرَارُ العُلَمَاءِ، وَخَيْرُ الخِيَارِ: خِيَارُ العُلَمَاءِ»[1].

وليُعلَم أنَّ علماء الدُّنيا: هم الطَّالبون لها بالعلم، الآكلون لها بالدِّين المتَّخذون الأخِلاَّء والأصدقاء من أبنائها، المُكَرِّمون المحبُّون لهم، المقبلون عليهم بالبِشْر والبَشاشة، المُعرِضون عن الحقِّ وأهله، المتباعدون عن الصَّالحين.

والعلماءُ بالله: هم الزَّاهدةُ قلوبُهم في الدُّنيا المستصغرون لها، الرَّاغبون عن أهلها المُحِبُّون للصَّالحين وأهل الحقِّ، الذَّاكرون لله النَّاصحون للخَلْق، قال رسول الله ﷺ: **«لا تَجْلِسُوا عِنْدَ كُلِّ عَالِمٍ إِلَّا كُلِّ عَالِمٍ يَدْعُوْكُم مِنْ خَمْسٍ إِلَى خَمْسٍ: مِنَ الشَّكِّ إِلَى اليَقِيْنِ، ومِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الإِخْلاصِ، ومِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الزُّهْدِ، ومِنَ الكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُعِ، ومِنَ العَدَاوَةِ إِلَى النَّصِيْحَةِ»**[2].

ولـمَّا دخل البصرةَ سيِّدُنا أمير المؤمنين إمام الدِّين عليٌّ المرتضى - كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه - بعد أن استقام له الأمر، دخل جامعها فأخرج القصَّاص حتَّى انتهى إلى حَلْقَةِ الحسن البصريِّ رضي الله عنه وهو يومئذٍ شابٌّ، فاستمع إليه وهو يتكلَّم على النَّاس فأعجبه كلامُه فقال: يا فتى، أسألك عن شيئين، فإن أجبت تركتُكَ تتكلَّمُ على النَّاس، وإلَّا أخرجتُك كما أخرجتُ أصحابك، فقال: سل يا أمير

=

وروى ابن حبان في «روضة العقلاء» موقوفاً على الحسن: **«مَنِ ازدادَ علماً ثمَّ ازدادَ على الدُّنيا حرصاً لم يزددْ مِنَ الله إلا بعداً»**، وروى أبو الفتح الأزدي في «الضعفاء» من حديث عليٍّ رضي الله عنه: **«مَنِ ازدادَ بالله علماً ثمَّ ازدادَ للدُّنيا حباً ازدادَ اللهُ عليهِ غضباً»**.

(١) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ١/ ٨٦ وقال الحافظ العراقي: أخرجه الدارمي [في «السنن»: باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله (٣٤) رقم ٣٧٠] من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلاً بآخر الحديث نحوه [**«أَلاَ إِنَّ شَرَّ الشَّرِّ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ، وَإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ»**]، ولم أجد صدر الحديث **«هَلاكُ أُمَّتِي: عَالِـمٌ فَاجِرٌ، وَعَابِدٌ جَاهِلٌ»**.

(٢) رواه عن جابر رضي الله عنه: أبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٧٢، والخطيب البغدادي في «تاريخه» رقم ٢١٠٥، وابن عساكر في «تاريخه» ٢٣/ ١٣٢، والديلمي في «الفردوس» رقم ٧٤٤٩.

المؤمنين، فقال: أخبرني ما صلاحُ الدِّين، وما فسادُه؟ قال: صلاحُه الورع، وفساده الطَّمع، قال: صَدَقْتَ؛ تَكلَّم فمثلك يَصْلُح أن يتكلَّم على النَّاس.

[من هو العَالِـم ؟]

تنبيه: لم يكن بالعَالِمِ من كان عالِماً بعِلم غيره، وحافظاً لفقه سواه، بل مِثلُهُ يُقال له راويةً وواعياً وحاملاً وناقلاً، قال أبو حازم[1]: ذهب العلماءُ وبقيت الأوعية.

وكان الزُّهريُّ[2] - رحمه الله تعالى - يقول: حدَّثني فُلانٌ، وكان وِعاءاً للعلم، وتارةً يقول: وكان من أوعية العلم، ولا يقول: وكان عالماً، وهذا من مضمون قول النَّبيِّ ﷺ: «**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيْهٍ**»، وفي روايةٍ أخرى: «**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[3].

فإنَّما كان العالِمِ عندهم: الغنيُّ بعلمه لا بعلم غيره، والفقيه عندهم: هو الفقيه

---

(١) سلمة بن دينار المخزومي المديني، الأعرج العابد، الواعظ الزَّاهد تـ(١٤٠)هـ: كان فقيهاً، ثقةً، زاهداً، نبيلاً، كثيرَ العلم، عالم المدينة وإمامها، وقاضيها وشيخها، وله سماع ورواية، وتصوُّف ودراية. «الكواكب الدرية» للمناوي رقم ١،٤٩/ ٢١٩.

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزُّهري القرشي، من بني زهرة بن كلاب، أبو بكر (٥٨-١٢٤)هـ: أوَّل من دوَّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، أدرك من أصحاب النَّبيِّ ﷺ: أنس بن مالك وسهل بن سعد الساعدي وعبد الرحمن بن أيمن بن نابل ومحمود بن الربيع الأنصاري، وروى عن عبد الله بن عمر نحواً من ثلاثة أحاديث، وروى عن السائب بن يزيد ﷺ. انظر: «معرفة الثقات» للعجلي ٢/ ٢٥٣، و«الأعلام» للزركلي ٧/ ٩٧.

(٣) رواه عن زيد بن ثابت ﷺ ولفظه: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٢١٩٢٣، وابن ماجه في «السنن»: المقدمة، باب من بلغ علماً (١٨) رقم ٢٣٠، والترمذي في «الجامع» قريباً منه: كتاب العلم عن رسول الله ﷺ (٤٢)، باب جاء في الحث على تبليغ السماع (٧) رقم ٢٦٥٦، وقال: في الباب عن عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وجبير بن مطعم وأبي الدرداء وأنس ﷺ، قال أبو عيسى: حديث زيد بن ثابت حديثٌ حسنٌ.

بفقه علمه وقلبه لا بحديث سواه.

روى كعب الأحبار[1] ومثله روى ابن عبَّاس رضي الله عنهم أجمعين عن الإمام المرتضى سيِّدنا عليٍّ كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه أنَّه قال: «إنَّه يكونُ في آخر الزَّمان علماءُ يُزَهِّدون النَّاسَ في الدُّنيا ولا يَزهَدون، ويُخوِّفون ولا يخافون، وينهون عن غشيان الولاة ولا ينتهون، يُؤْثِرون الدُّنيا على الآخرة، ويأكلون الدُّنيا بألسنتهم أكلاً، يقرِّبون الأغنياء، ويُبعدون الفقراء، يتغايرون على العلم كما يتغاير النِّساء على الرِّجال، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره، ذلك حظُّهم من العلم».

وقال حُذيفة رضي الله عنه: «إنَّ معروفَكم اليومَ مُنكَرُ زمانٍ قد مضى، وإنَّ مُنكَرَكُم اليومَ معروفُ زمانٍ يأتي، وإنَّكم لن تزالوا بخيرٍ ما عَرَفتُم الحقَّ، وكانَ العَالِـمُ[2] فيكم غيرَ مُستَخَفٍّ»[3].

وقال أيضاً: «يأتي زمانٌ يكونُ العَالِـمُ بينَهُم كالحِمَارِ الميتِ لا يلتَفِتُونَ إليه، يَسْتَخْفي المؤمنُ فيه كما يَستَخْفي[4] المنافقُ فينا اليومَ، ويكونُ المؤمنُ يومئذٍ أذلَّ من

---

(١) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق تـ(٣٢)هـ: تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وقدم المدينة في خلافة عمر رضي الله عنه، فأخذ عنه الصَّحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسُّنَّة عن الصَّحابة، وخرج إلى الشَّام فسكن حمص، وتوفي فيها عن مئة وأربع سنين. انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي ١/ ٥٢، و«الأعلام» للزركلي ٥/ ٢٢٨.

(٢) في الأصل المطبوع (العلم) وهو خطأ مطبعي؛ فقد ذكر هذا الأثر الإمام الغزالي في «الإحياء» وغيره بلفظ: «العالم».

(٣) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ١/ ١٠٨، وأبو طالب المكي في «قوت القلوب» ١/ ٢٢٧ عن حذيفة رضي الله عنه، ولم أجده عنه، بل رواه عن ابن سيرين عن عدي بن حاتم رضي الله عنهم: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٠/ ٩٢.

(٤) في الأصل المطبوع وردت «يستخف» من غير ياء في آخرها، قد يكون ضبطها (يَسْتَخِفُّ) من
=

الأَمَةِ»[1].

فتدبَّرْ أيُّها اللبيبُ تَرَ أن ذُلَّ الأُمَّة يكون من الاستخفاف بالعلماء، وذُلَّ العلماء يكون من الاستخفاف بالعلم، وعلى كلِّ حالٍ، فعلى الأمَّة ضربة لازبٍ إجلال العلماء؛ لأنَّهم أوعية شريعة رسول الله ﷺ، وهم العالِمون بها، جاء في الخبر: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ مَنْ عَرَفَ فِيْهِ الحَقَّ نَجا**»، قيلَ: فَأينَ العَمَلُ؟ قالَ: «**لا عَمَلَ يَوْمَئِذٍ، لا يَنْجُو فِيْهِ إِلَّا مَنْ هَرَبَ بِدِيْنِهِ مِنْ شَاهِقٍ إلى شَاهِقٍ**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُم بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا**»[3]، وفي لفظٍ: «**بِعُشْرِ مَا يَعْلَمُ نَجَا**»[4]، وقال أبو الدَّرداء رضي الله عنه: «إِنَّكُم لَنْ تَزَالُوا

=

الاستخفاف ولكن لا يستقيم بها المعنى في هذا الأثر، أو (يَسْتَخْفِ) من الخفاء، أي: التواري، ولكن من غير حذف الياء من آخرها (يستخفي)، وبالمعنى الأول خطأ مطبعي، والأصح والله أعلم المعنى الثاني (يستخفي).

(١) لم أجده عن حذيفة رضي الله عنه ورواه عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**يَأتي على النَّاس زمانٌ يستخفي المؤمنُ فيهم كما يستخفي المنافقُ فيكم اليومَ**»: الطبراني في «مسند الشاميين» رقم ٢٣٨، والديلمي في «الفردوس» رقم ٨٦٧٩.

(٢) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: البيهقي في «الزهد الكبير» رقم ٤٣٩، ورواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٥، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» ١/ ٢٢٩، والحارث في «بغية الباحث» رقم ٧٧٤، والديلمي في «الفردوس» رقم ٨٦٩٧، رووه بلفظ: «**يأتي على النَّاسِ زمانٌ لا يَسْلَمُ لذي دِينٍ دِينُهُ إلَّا مَنْ هَربَ بدينِهِ مِنْ شاهقٍ إلى شاهقٍ، ومِنْ جُحْرٍ إلى جحرٍ...**».

(٣) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب الفتن (٣٤)، باب (٣٤) رقم ٢٢٦٧، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، والطبراني في «الصغير» رقم ١١٥٦، وأبو نعيم في «الحلية» ٧/ ٣١٦، بلفظ: «**إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا**».

(٤) رواه عن رجلٍ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه مرفوعاً: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٢١٦٩٩، بلفظ: «**إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ عُلَمَاؤُهُ كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ مَنْ تَرَكَ فِيهِ عُشَيْرَ مَا يَعْلَمُ هَوَى - أَوْ قَالَ هَلَكَ - وَسَيَأْتِي عَلَى**

=

بِخَيْرٍ مَا أَحْبَبْتُم خِيَارَكُم، وَقِيْلَ فِيْكُم الحَقَّ فَعُرِفَ، وَوَيْلٌ لَكُم إذا كانَ العَالِـمُ كالشَّاةِ النَّطِيْحِ»[1].

وقد سُئِلَ شيخُ مشايخ الإسلام مولانا السَّيِّدُ أحمد الرِّفاعيُّ ﷺ عن لباب العلم وشرائف نتائجه فلخَّصَها بجوابه للسَّائل، فقال: يا مبارك، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران].

فوحِّدِ اللهَ بعلمك، وكن مسلماً بيقينك، تُحسب في عِدَادِ العلماء، وبَشِّرْ بالجنَّة الذين باعوا أنفُسَهم لله قائمين بالقِسط، لا يظلمون ولا يطغون، ولا عن طريقة النَّبيِّ ﷺ ينحرفون، ولله يغضبون ويرضون، ولعباد الله يرحمون، ومع الحقِّ لا مع الغرض يقفون، واعلم أنَّ كلَّ شيءٍ هالكٌ إلَّا وجهه، يُهلِكُ مَن عصاه، ويمحق من أَيِسَ من رحمته، ويَمُنُّ على من أطاعه وأحسن الظَّنَّ به، ومن عَرَف اللهَ فأطاعه نجا، ومن عرف الشَّيطان فعصاه سَلِم، ومن عرف الدُّنيا فزهدها قلبُهُ طابت عيشته وحَسُنَت عاقبتُهُ، ومن عرف الحقَّ فاتَّبعه فاز، ومن عرف الباطل فاجتنبه أَمِنَ، ومن عرف الآخرة فطلبها سَعِد، ومن غرَّتهُ الدُّنيا ندِم في عُقباه، ومن هذَّب نَفْسَه برأيه غلط، ومن هذَّبها بما جاء به رسول الله ﷺ هُدِي إلى الصَّواب، وكان من الآمنين يوم الحساب.

والعلم كلُّ العلم: الأخذ بما أتى به الرَّسولُ، والانتهاء عمَّا نهى عنه؛ وأدبُ العِلْمِ: الشَّفقةُ على خَلْقِ الله كلِّهم، وإرادة الخير لهم، والصَّبر في الله، والرِّضا من

=
النَّاسِ زَمَانٌ يَقِلُّ عُلَمَاؤُهُ وَيَكْثُرُ خُطَبَاؤُهُ مَنْ تَمَسَّكَ فِيهِ بِعُشَيْرِ مَا يَعْلَمُ نَجَا».

(١) رواه أبو نعيم «الحلية» ٧/ ٢٨٣.

الله، والشُّكر لله، والرُّجوع في جميع المآرب والمقاصد إلى الله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليِّ العظيم. انتهى كلامه العالي، وفيه كلُّ ما يبتغيه العالِم والعاقل.

مرحلة الخوف من الله

قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ خَافَ اللهَ خَافَهُ كُلُّ شَيءٍ، وَمَنْ لَـمْ يَخَفِ اللهَ خَوَّفَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ شَيءٍ**»[1]، وفي الآثار الشَّريفة: «**رَأْسُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ الله**»[2]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، فَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي**

---

(١) رواه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: القضاعي في «مسند الشهاب» رقم ٤٢٩، والبيهقي في «الشعب» رقم ٩٧٤، وقال: وقد روي هذا اللفظ عن واثلة بن الأسقع مرفوعاً غير أن إسناده مجهول، والديلمي في «الفردوس» رقم ٥٥٣٩، ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما: الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» ١/ ٢٢٩، ورواه من قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: البيهقي في «الشعب» رقم ٩٧٢.

وقال الحافظ المنذري في «الترغيب» رقم ٤٩٥٢: رواه أبو الشيخ في كتاب «الثواب» ورفعه منكر. وقال الإمام العراقي في تخريجه على «الإحياء» ٤/ ١٩٨: رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب «الثواب» من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جداً، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الخائفين» بإسناد ضعيف معضل.

(٢) رواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: البيهقي في «الشعب» رقم ٧٤٤، والحكيم التِّرمذي في «نوادر الأصول»: الأصل السادس والعشرون والمائتان ٢/ ٢٢٠، ورواه عنه موقوفاً: البيهقي في «الشعب» رقم ٧٤٣، وقال: هذا موقوفٌ، وقد روي من وجهٍ آخر ضعيف مرفوعاً إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

وقال شيخ مشايخنا الإمام السَّيِّد أحمد الرِّفاعيُّ ﷺ: الخوف سوط الله يُقوِّم به نفساً تعوَّدت سوءَ الأدب، ثم قال: فالعاقل يَخَاف قبل أن يُخَاف، ويَتَأَدَّب قبل أن يُؤَدَّب، فلن يحرق شهوات النَّفْس ويزيل آثار آفاتها إلَّا الخوف.

وقال العارف بالله ذو النُّون المصري[2] ﷺ: لا يُسقى المحبُّ كأسَ المحبَّةِ إلاَّ من بعد أن يَنْضُجَ قلبُهُ بالخوف.

والخائفون على أقسام:

منهم من يخاف منه تعالى على دنياه.

ومنهم مَن يخاف منه لأجل آخرته.

ومنهم مَن يخاف لمعرفته بعظمته سبحانه وقدرته وكبريائه وجماله وجلاله وسائر صفاته، وهذا أشرف الأقسام؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، وقال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَخْوَفُكُم للهِ تَعَالَى**»[3]، وقال شيخُ

---

(١) رواه عن أبي هريرة ﷺ: ابن حبان في «صحيحه»: كتاب الرقائق (٧)، باب التوبة (٢) رقم ٦٤٠، والبيهقي في «الشعب» رقم ٧٧٧، ورواه عن أنس بن مالك ﷺ: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٧٦، ورواه عن الحسن البصري ﷺ مرسلاً: ابن المبارك في «الزهد» رقم ١٥٧.

(٢) ذو النون ثوبان بن إبراهيم المصري، أبو الفياض، أو أبو الفيض تـ (٢٤٥)هـ: أحد رجال الطريقة؛ كان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك ﷺ، وكان حكيماً فصيحاً، وكان أحد الزُّهاد العُبَّاد المشهورين، من أهل مصر،كانت له فصاحة وحكمة وشعر، وتوفي بمصر، ودفن بالقرافة الصغرى. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ١/ ٣١٥، و«الأعلام» للزركلي ٢/ ١٠٢.

(٣) رواه عن أنس بن مالك ﷺ بلفظ: «... **وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ** ...»: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب النكاح (٦٧)، باب الترغيب في النكاح (١) رقم ٥٠٦٣، ورواه عن السَّيِّدة عائشة **رضي الله عنها** بلفظ: «... **فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**»: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب (٧٨)، باب من لم يواجه الناس بالعتاب (٧٢) رقم =

وقته سهلٌ أبو محمَّدٍ التُّستَريُّ ﷺ: المريد يخاف أن يُبْتَلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يُبْتَلى بالقطع؛ وذلك لعلمه بسرعة تقلُّب القلب.

قلت: قال أنسٌ ﷺ: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوْبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِيْنِكَ**»، فَقُلتُ: يا نَبِيَّ الله، آمنَّا بِكَ وبِمَا جِئْتَ بِهِ، فهل يُخَافُ عَلَيْنَا؟ قال: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[1]، وهذا من قبيل تمثيل المعاني بالصُّور فتدبَّر، والمعنى: إنَّ القلوب بين أُصْبُعَي القضاء والقدر.

ومن أقسام الخوف الشَّريفة الكاملة:

١- **خوف الصِدِّيقين:** وفيه محاسبة النَّفس على كلِّ نَفَسٍ، ومراقبة الرَّقيب في كلِّ وقتٍ، والورع عن الإقدام على الشُّبُهات من كلِّ شيءٍ، ومن أهمها: الخوض بالعلوم بغير يقينٍ، والعمل بغير فقهٍ، وسجن اللِّسان من أن يُدخِل في دين الله ما لم يَذْكُرْهُ تعالى لنبيِّه في كتابه، ولم يُشَرِّعْهُ رسولُهُ الأعظم ﷺ، ولم ينطق به خزائن الشَّرع الأئمَّة من السَّلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

٢- **ومنها الخوف على الإيمان:** قال يحيى الرَّازيُّ[2] قدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ: إنَّ الخوف على الإيمان علامةُ الغِبْطَةِ بدوام وجوده، وإنَّ الذين يُخشى عليهم - والعياذ بالله

=

٦١٠١، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الفضائل (٣٤)، باب علمه ﷺ بالله ...(٣٥) رقم ٢٣٥٦.

(١) رواه عن أنس ﷺ: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٢١٣١، والإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب القدر (٣٣)، باب ما جاء أنَّ القلوب بين أصبعي الرَّحمن (٧) رقم ٢١٤٠، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، ورواه عن جابر ﷺ: الحاكم في «المستدرك»: كتاب التفسير (٢٧) رقم ٣١٤٠، وقال الذهبي في «التلخيص»: على شرط مسلم.

(٢) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا تـ (٢٥٨)هـ: واعظ، زاهد، لم يكن له نظيرٌ في وقته، من أهل الري، أقام ببلخ، ومات في نيسابور. «الأعلام» للزركلي ٨/ ١٧٢.

تعالى - من سوء الخاتمة ثلاث طوائف:

الأولى: أهل البدع والزَّيغ في الدِّين؛ الذين يُحدِثون في دين الله من الأقوال والأفعال ما لم يكن منه.

والثَّانية: أهل الدَّعوى؛ الذين يرون أنفُسَهم وأعمالهم ويظنُّون الخَيرِيَّةِ على الخلق بأعمالهم.

والثَّالثة: المتجاهرون بالفسق والفجور واتِّباع الهوى وطاعة الشَّيطان؛ الذين يرون اتِّباعَ الشَّيطانِ أحبَّ إليهم من اتِّباع كتاب الله وطاعة رسوله ﷺ.

٣- ومن أقسام الخوفِ، الخوفُ من قسوة القلب وغفلته: فإنَّ القلب إذا طمَّته القسوة والغفلة؛ قاد صاحبه إلى ظلم العباد، واحتقار الباقيات الصَّالحات، والغرور بالفانيات، وأهان الحقَّ، وأحبَّ الباطل وأصحابه، وعدا على الله تعالى وآياته وكلماته، وأوامر رسوله ﷺ.

وقد ترى البعض يبكون وقلوبهم أقسى من الحجارة، فإذا بكت العين وقسا القلب، دلَّ ذلك على النِّفاق، ومتَّى رأيت العبد لا يزيده بكاؤه إلاَّ كِبراً وعُجْباً وظُلماً وقسوةً وغفلةً ورغبةً في الدُّنيا فاعلم أنَّ بكاءَه كان تصنُّعاً وزوراً.

وجاء في الخبر: «أنَّ بكاءَ عثمان في سَاقَيْهِ»، يعني: أنَّه طويل القيام، كثير التَّهجُّد والتِّلاوة في اللَّيل، وجاء في عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله عنه أنَّه: «إنْ لم تبكِ عيناهُ فقد بَكَى قَلبُهُ»، وإذا جَمع المرءُ بين بكاء العين وخشوع القلب وذِلَّة السِّرِّ وخضوعه لله تعالى فقد استكمل الحال المحمَّديَّ الأتمَّ، قال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء].

وأهل الكمال المحمَّديِّ مع خشوعهم وبكائهم في الله فهم أهل سكينةٍ ووقارٍ، وكذا كان رسول الله ﷺ؛ فإنَّه كان أخوفَ الخَلْقِ كلِّهم من الله، وأشدَّهُم حُبَّاً لله، ولم يكن في خشوعه كثير الانزعاج والقلق، وإنَّما كان خاشعاً باكياً وقوراً ﷺ،

وكان لِلَطافة طَوره، وعِزَّة حالِهِ، وجليل مشربِهِ مع الأعرابيِّ كأنَّه أعرابيٌّ، ومع الصَّبيِّ بمعناه؛ يتصابى له ويمازحه، ويرقُّ للضعفاء والنِّساء والعجزة والمساكين، يقارب الكلَّ في علومهم، ويخاطبهم بعقولهم، ويُظْهِرُ لهم من وَجده وحاله ما تحمله هممهم؛ ليعطيهم نصيبهم من فضله وذوقه والأنس به - أرواحنا لجنابه العظيم الفداء - يُوَفِّيهم حقوق الأنس؛ لكيلا تُصَدَّ قلوبُهم عن العلم بحاله الكريم بجليل هيبته فينقطعوا عن السُّؤال منه والأخذ عنه، وكذلك الأنبياء إخوانه - عليه وعليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام - ووُّراثهم الصِّدِّيقون والعارفون وأمناؤهم العلماء العاملون.

قال شيخ مشايخ الإسلام مولانا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيُّ رضي الله عنه وعنَّا به: من طالَبَ الخَلقَ بعِلمه وخاطبهم بعقله فقد بخسهم حقوقَهم، ولم يقم بحقِّ الله فيهم.

وكان يحيى بن معاذ ﷺ يقول: لا تُخرِجْ أحداً من دربه ولا تخاطبه بغير علمه فتتعب ولا ينتفع منك، ولكن اغرف له من نهره واسقه بكأسه.

قلت: وقد ترى أُناساً لضعفِ عقولِهم يأخذهم طارقُ خوفٍ فلا يقف أحدهم معه بما يليق له، فيُجاوز الحدَّ في المجاهدة، ويفرط في الجوع والسَّهر والصَّوم، وكلُّ ذلك مردودٌ وباطلٌ.

قال أنسٌ ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لاَ تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ اللهُ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشُدِّدَ عَلَيْهِم، فَتِلْكَ بَقَايَاهُم فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ** ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧] »[1].

---

(١) رواه عن أنس بن مالك ﷺ: الإمام أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب (٣٦)، باب في الحسد (٥٢) رقم ٤٩٠٤، وأبو يعلى في «المسند» رقم ٣٦٩٤، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» رقم ٢١٧٨، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ٢٥٩: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة.

وقال عروة[1] ﷺ: دَخَلَتِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها وَهِيَ بَاذَّةُ الْهَيْئَةِ فَسَأَلَتْهَا: مَا شَأْنُكِ؟ فَقَالَتْ: زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ، فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَذَكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ لَهُ، فَلَقِيَ رَسُولُ الله [ﷺ] عُثْمَانَ فَقَالَ: «**يَا عُثْمَانُ، إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهَا** - أي: على زَوْجَتِهِ - **فَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟! فَوَاللهِ إِنَّ أَخْشَاكُمْ للهِ وَأَحْفَظَكُمْ لِحُدُودِهِ لأَنا**»[2].

وقد أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بالاقتصاد: وهو الحال الوسط، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**سَدِّدُوْا وَقَارِبُوْا، وَعَلَيْكُم بِالقَصْدِ**»[3] أي: الوسَطِ مِنَ الأُمُورِ؛ «**فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِيْنٌ فَأَوْغِلْ فِيْهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُبَغِّضْ إلى نَفْسِكَ عِبَادَةَ الله**»[4]، أي: لا تعمل مُتجاوزاً للحدِّ فتضجرَ وتشمئزَّ نَفْسُك من عبادة الله، وهذه كانت سيرته ﷺ في نفسه وأهل بيته وسُنَّته في أصحابه رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله (٢٢ - ٩٣)هـ: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل في شيءٍ من الفتن، وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين، وعاد إلى المدينة فتوفي فيها، وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣/ ٢٥٥، و«الأعلام» للزركلي ٤/ ٢٢٦.

(٢) رواه عن السَّيِّدة عائشة **رضي الله عنها**: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٢٦٤١٨، وابن حبان في «صحيحه»: المقدمة، باب الاعتصام بالسنة... (٢) رقم ٩، والطبراني في «الكبير» رقم ٨٣١٩.

(٣) رواه عن أبي هريرة ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الرقاق (٨١)، باب القصد والمداومة على العمل (١٨) رقم ٦٤٦٣، وأبو يعلى في «المسند» رقم ٦٥٩٤. ولفظ أبي يعلى: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ تَبْلُغُوا**».

(٤) رواه عن جابر ﷺ: البيهقي في «السنن الكبرى»: باب القصد في العبادة (٦٥٠) رقم ٤٥٢٠، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم ١١٤٧، ورواه عن عمرو بن العاص ﷺ: البيهقي في «الشعب» رقم ٣٨٨٦، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣١/ ٢٦٦، ورواه عن عائشة رضي الله عنها قريباً منه: البيهقي في «الشعب» رقم ٣٨٨٥، ورواه عن أنس ﷺ مختصراً بلفظ: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**»: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٣٠٨٣.

مرحلة الرَّجاء

الرجاء من أعظم مراتب اليقين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:٢١٨]، وقد فَسَّرَ ﷺ المجاهدَ والمهاجر فقال: «**الـمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ الله** - أي: ألزمَها طاعَةَ الله ومنعها عن معصيته - **وَالـمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الخَطَايَا وَالذُّنُوْبَ**»(١).

دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ على رَجُلٍ في مَرَضِ مَوْتِهِ فَقَالَ: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، فَقَالَ: أَجِدُنِي أَخَافُ ذُنُوْبِي وَأَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّي، فَقَالَ: «**مَا اجْتَمَعَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا رَجَا، وَآمَنَهُ مِـمَّا يَخَافُ**»(٢)، وأوصى رسولُ الله ﷺ عند موته فقال: «**لا يَمُوْتُنَّ أَحَدُكُم إِلَّا وَهُوَ حَسَنُ الظَّنِّ بِالله ﷻ**»(٣)، وفي الحديث القدسي: «**أَنَا عَنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»(٤).

---

(١) رواه عن فَضَالَةَ بنِ عُبَيد رضي الله عنه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٢٤٤٥٨، وابن حبان في «صحيحه»: كتاب السير (٢١)، باب الهجرة (١٧) رقم ٤٨٦٢، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الإيمان (١) رقم ٢٤، والطبراني في «الكبير» رقم ٧٩٦.

(٢) رواه عن أنس رضي الله عنه: الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب الجنائز (٨)، باب (١١) رقم ٩٨٣، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد (٣٧)، باب ذكر الموت والاستعداد له (٣١) رقم ٤٢٦١، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»: رقم ١٥٨٧، وقال: إسناده صحيح، وأبو يعلى في «المسند» رقم ٣٤١٧.

(٣) رواه عن جابر رضي الله عنه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٤١٧١، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الجنة ونعيمها (٥١)، باب الأمر بحسن الظن ... (١٩) رقم ٢٨٧٧، وأبو داود في «السنن»: أول كتاب الجنائز (١٥)، باب ما يستحب من حسن الظن ...(١٧) رقم ٣١١٣، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد (٣٧)، باب التوكل واليقين (١٤) رقم ٤١٦٧، وابن حبان في «صحيحه»: كتاب الرقائق (٧)، باب التوبة (٢) رقم ٦٣٦.

(٤) رواه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٦١١٢، وابن حبان في =

وقد كان عبد الله بن مسعود ﷺ يحلف بالله أنَّ العبد لم يُحْسِنِ الظَّنَّ بالله إلَّا ويعطيه الله ما يريد؛ لأنَّ الخير كلَّه بيده[1].

وإذا أعطى العبد حسن الظَّنِّ، فقد أعطاه ما يظنُّه؛ لأنَّه هو الذي أعطاه حُسْنَ الظَّنِّ به، وأراد أن يُحقِّق له ظنَّه.

وقد سُئل الإمام الأكبر مولانا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيُّ ﷺ عن علامة الرَّاجين فقال: دَلَّنا على ذلك القرآنُ العظيمُ، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].

ثمَّ قال ﷺ: الرَّجاءُ غيرُ التَّمنِّي، وهو - أي: الرَّجاء - حُسْنُ الظَّنِّ بعد صالح العمل، والتَّمنِّي: إهمال العمل، والاغترار بالله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**الْكَيِّسُ: مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالأَحْمَقُ: مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى الله**»[2]. انتهى كلامه العالي واستدلاله الغالي.

ومن آداب الرَّجاء: الذُّلُّ لله بصالحِ العمل، وعدم رؤية النَّفس، وحسن الظَّنِّ به سبحانه، والرَّجاء ممتزجٌ بالدُّعاء امتزاج ماء الضِّياء بالعين؛ فإنَّ الرَّجاء طلبُ

=

«صحيحه»: كتاب الرقائق (٧)، باب حسن الظن بالله تعالى (٣) رقم ٦٣٣، والحاكم في «المستدرك»: كتاب التوبة والإنابة (٤٠) رقم ٧٦٠٣، وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي في «التلخيص»، والطبراني في «الكبير» رقم ٢١٠، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٣٢١: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجال أحمد ثقات.

(١) رواه خيثمة عن عبد الله بن مسعود موقوفاً: الطبراني في «الكبير» رقم ٨٧٧٢، والبيهقي في «الشعب» رقم ١٠١٤، ولفظ البيهقي: «والذي لا إله غيرُهُ، مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئاً قَطُّ بَعْدَ الإِيْمَانِ بِالله ﷻ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُحْسِنَ ظَنَّهُ بالله، والله الذي لا إله غيرُهُ، لا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِالله ظَنَّهُ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ؛ وذلك أَنَّ الخَيْرَ بِيَدِهِ».

(٢) مرَّ تخريجه صـ ٤٩.

الخير من الله تعالى بلسان السِّرِّ، والدُّعاء طلب الخير من الله باللِّسان النَّاطق، ولا يُجاب الدَّاعي إلاَّ إذا كان مُخلِصاً يدعو الله تعالى وهو موقنٌ بالإجابة، وهذا هو حُسْنُ الظَّنِّ بالله جَلَّتْ قُدْرَتُهُ.

قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَعَوْتُم فَكُوْنُوْا مُوْقِنِيْنَ بِالإِجَابَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لا يَقْبَلُ إِلَّا مِنْ مُوْقِنٍ**»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ دَاعٍ دَعَا مُوقِناً بِالإِجَابَةِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ أَوْ قَطِيْعَةِ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ يُجِيْبَ دَعْوَتَهُ فِيْمَا سَأَلَ، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوْءِ مِثْلَهَا، أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ**»(٢).

وقد قالوا: سُلَّمُ الرَّجاءِ وبابُ الدُّعاء: التَّوبةُ الصَّالحة؛ ولذلك فالرَّجاء والتَّوبة مرحلةٌ واحدةٌ في الطَّريق، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور]، أي: لعلَّكم تنالون ما رجَوتموه من الفلاح، وسألتموه من الخير والنَّجاح، وقال رسول الله ﷺ: «**التَّائِبُ حَبِيْبُ اللهِ، وَالتَّائِبُ**

---

(١) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ**»: الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ (٤٩)، باب (٦٦) رقم ٣٤٧٩، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الدعاء... (١٧) رقم ١٨١٧، والطبراني في «الأوسط» رقم ٥١٠٩، ورواه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بلفظ: «**الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ عز وجل أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ**»: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٦٦٥٥، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٥١: رواه أحمد وإسناده حسن.

(٢) رواه عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه نحوه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١١١٥٠، وأبو يعلى في «المسند» رقم ١٠١٩، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الدعاء...(١٧) رقم ١٨١٦، وقال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، والبيهقي في «الشعب» رقم ١١٢٨، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٥١: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار والطبراني في «الأوسط» ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي وهو ثقة، وقال المنذري في «الترغيب» رقم ٢٧٢٤: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة.

مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ»[1]، وإذا كان العبد حبيب ربِّه فلا ريبَ أنَّ الله يُحسن إليه بالنَّجاح والفلاح.

والتَّوبةُ: هي الرُّجوعُ عن الطَّريقِ المُبعِدِ عن الله تعالى إلى الطَّريق المقرِّبِ منه سبحانه، ومعناه: الرُّجوع عن اتِّباع الهوى إلى اتِّباع كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وذلك أوضح طُرُقِ السَّالكين، ومفتاح السَّعادة للطَّالبين، وباب النَّجاح للمؤمنين.

وزادُ التَّائبِ الاستغفارُ: فهو قوت السَّالك ومفزعه، قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[هود:٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء]، ولا يكون التَّائب مُحِقًّا في توبته صادقاً بها إلَّا أن يمقت نفسه على ما كان منها من ظُلمٍ ووِزْرٍ، وأن يندم على ما مضى منه، وأن يتَّبع طريق من أناب، فيشتغل بتهذيب النَّفس وتزكيتها بالقول والخُلُق والعمل؛ ليصلح ما أفسد، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]،

---

(١) رواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الإمام ابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد (٣٧)، باب ذكر التوبة (٣٠) رقم ٤٢٥٠، والبيهقي في «السنن الكبرى»: كتاب الشهادات (٨٢)، باب شهادة القاذف (٩) رقم ٢٠٣٤٨، والطبراني في «الكبير» رقم ١٠٢٨١، وقال المناوي في «فيض القدير» رقم ٣٣٨٥، ٣/ ٣٣٥: قال ابن حجر: حسن.

ورواه عن ابن عبَّاس له عنهما: البيهقي في «الشعب» رقم ٧١٧٨، ورواه عن أبي سعيد الأنصاري رضي الله عنه: الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» في الأصل الرابع والمائتان ٢/ ١٤١، ولفظهم: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».

وقال العراقي في تخريجه على «الإحياء» ٤/ ٨: أخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بالشطر الثاني دون الأول، وأما الشطر الأول فروى ابن أبي الدنيا في «التوبة» [رقم ١٧٧] وأبو الشيخ في كتاب «الثواب» من حديث أنس رضي الله عنه بسندٍ ضعيفٍ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُ الشَّاب التَّائبَ**»، ولعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» [رقم ٦٠٥] وأبي يعلى [في «المسند» رقم ٤٨٣] بسندٍ ضعيفٍ من حديث عليٍّ رضي الله عنه: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْـمُؤْمِنَ الْـمُفَتَّنَ التَّوَّابَ**».

وأن يتدارك وقتَه بالنَّدم ودوام حُزن القلب؛ ليكون مستيقظاً في شؤونه كلِّها، فيستبدل بحلاوة الغفلة حلاوة التَّنبه، وبحلاوة المعصية حلاوة الطَّاعة، وبحلاوة الكسل حلاوة العمل، وبحلاوة الإهمال حلاوة الذِّكر، وأن لا ينظر إلى صغر الخطيئة؛ بل ينظر إلى عظمة من عصاه سبحانه.

وعليه أن يخالط الذَّاكرين والصَّالحين، وأن يعظِّم العلماءَ وأهلَ الأحوال المباركة؛ ليكون له حصةً من قالهم وحالهم، وأن لا يَسُنَّ سُنَّةً سيئةً يُعمل بها من بعده فتكون وِزراً عليه، وأن يجهد أن يَسُنَّ سُنَّةً حسنةً؛ ليعودَ أجرُها إليه، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا مَنْ بَعْدِهِ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَثَلَ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيْءٌ**»، وقال - عليه الصَّلاة والسَّلام -: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُوْرِهِم شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سِيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِم شَيْءٌ**»[1].

وقال الحَبْرُ الأعظمُ تُرْجُمان القرآن سيِّدُنا عبد الله بنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ويلٌ للعالِـمِ مِنَ الأَتْباع يَزِلُّ زلَّةً فيرجع عنها، ويحتملها النَّاس ويذهبون في الآفاق.

وقد شبَّه العلماءُ زلَّةَ العالِمِ بانكسار السَّفينة تغرقُ ويغرق الخَلْقُ معها، وجاء في

---

(١) رواهما عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه: الإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب العلم (٤٧)، باب من سن سنة حسنة... (٦) رقم ١٠١٧، والنسائي في «السنن»: كتاب الزكاة (٢٣)، باب التحريض على الصدقة (٦٣) رقم ٢٥٥٤، و ابن ماجة في «السنن»: باب من سن سنة حسنة أو سيئة (١٤) رقم ٢٠٣، والإمام أحمد في «المسند» رقم ١٩١٧٩. ولفظ مسلم: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ؛ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ**».

الأخبار: «أَنَّ عَالِـمَاً فِي بَنِي إِسْرَائِيْلَ كَانَ يُضِلُّ النَّاسَ بِالبِدَعِ ثُمَّ تَابَ وَأَصْلَحَ عَمَلُهُ، فَأَوْحَى اللهُ إِلى نَبِيِّهِم: قَلْ لَهُ: إِنَّ ذَنْبَكَ لَوْ كَانَ فِيْمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَغَفَرْتُهُ لَكَ بَالِغَاً مَا بَلَغَ، وَلَكِنْ كَيْفَ بِمَنْ أَضْلَلْتَ مِنْ عِبَادِي فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ؟»[1].

وليُعلَمَ أن التَّباعد عن السُّنَن السَّيِّئة والاهتمام بالسُّنَن الحسنة لا يكون إلاَّ من كمال الخوف من الله تعالى، كما أنَّ الجُرأة على إحداث السُّنَن السَّيِّئة والإعراض عن السُّنَن الحسنة من الغفلة عن الله سبحانه، قال اللهُ تعالى: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ [المطففين]، أي: من الذُّنوب التي تتوالى، الذَّنْبُ على الذَّنْبِ حتَّى تَسْوَدَّ القلوبُ، فلا تَعْرِفُ معروفاً ولا تُنكِر مُنكراً، فَيَمْرَد[2] أصحابُ تلك القلوب على النِّفاق ويسكن فيها وتطمئنُّ به[3] - والعياذ بالله تعالى -.

وأزلق النَّاسِ في هذه الوهَدَات زُمَرُ المُتشيِّخة من الفقهاء والصُّوفيَّة: الذين انبعثوا مع هفوات آرائهم، وأعجبتهم طقطقةُ النِّعَالِ حولهم وكثرةُ المعتقدين والطُّلاب، فوسوس لهم الشَّيطان وخدعهم فأحدثوا في المذاهب والطُّرق الشَّريفة ما لم يقل به السَّلف، يريدون بذلك زيادة استمالة النَّاس من العامَّة،

---

(١) رواه عن خالد الربعي: ابن أبي شيبة في «المصنف» رقم ٣٥١٦٥.

(٢) مَرَدَ: المُرُودُ على الشيء: المُرُون عليه. «مختار الصحاح» مادة: (مرد).

(٣) ومصداق هذا القول قول النَّبيِّ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾**»، رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب تفسير القرآن ...(٤٨)، باب من سورة ويل للمطففين (٧٤) رقم ٣٣٣٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقول النَّبيِّ ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادّاً كَالْكُوزِ مُجَخِّياً لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»، رواه عن حذيفة رضي الله عنه: الإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإيمان (١)، باب رفع الأمانة ... (٦٤) رقم ١٤٤.

وهاهم بين ظهراني الأمَّة يكذبون على الله ويفترون على رسوله ﷺ، والله تعالى قال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام:٢١].

يخوضون في الدِّين، ويغشُّون المسلمين، ويأتون بالعَجَبِ العُجاب من المعتقدات الفاسدة والبضائع الخبيثة الكاسدة، ويُبيحون المحرمات، ويُحرِّفون معاني الأخبار والآيات، ويفسِّرون كلامَ الله بآرائهم، ويَجْذِبون جماهيرَ العامَّة من بُحْبُوحَة صِحَّتهم إلى وَهْدَة دائِهم، يتكلَّمون بالحلول والاتِّحاد[1]، ويبثُّون في الأرض الفساد والإلحاد، ويُكثرون من الشَّطحات والدَّعاوى العريضة والتُّرَّهات، فمثل أولئك عصابة الخدعة والمكر، والفرار منهم يجب كما يجب الفرار من المجذوم[2].

[الفرق بين الحال والمقام والوجد والتَّواجد]

وليُعلَم أنَّ ما يحصل في القلب من الخوف والرَّجاء والتَّوبة، والصَّبر والشُّكر، والحزن والفرح، والميل والإعراض، والحقد والصَّفح، والشَّوق والنّفرة، والحبِّ والبغض إن كان سريع الزَّوال سُمِّيَ حالاً؛ أي: من أحوال القلب، وإن كان بطيء الزَّوال، أو غير زائلٍ سُمِّيَ مقاماً؛ أي: من مقامات القلب.

---

(١) انظر التعليق رقم (٢) صـ ٢١.

(٢) يجمع هذا كله قول الإمام الرِّفاعيِّ ﷺ في «حكمه» رقم ١٣٨-١٣٩:
تَعَلَّقَ النَّاسُ اليَوْمَ بِأَهْلِ الحَرْفِ والكِيمياءِ، والوَحْدةِ والشَّطْحِ، والدَّعْوَى العَرِيْضَةِ؛ إيَّاكَ ومُقَارَبَةَ مِثْلِ هؤلاء النَّاسِ؛ فإنَّهم يقُودُونَ مَنِ اتَّبَعَهُم إِلَى النَّارِ، وغَضَبِ الجَبَّارِ، ويُدخِلُونَ فِي دِينِ الله ما لَيسَ مِنهُ.
وَهُم مِنْ جِلْدَتِنا، إذَا رَأَيتَهُم حَسِبْتَهُم سَادَاتِ الدُّعَاةِ إِلَى الله تَعَالَى؛ حَسْبُكَ اللهُ، إذا رَأَيتَ أَحَدَاً مِنهُم قُلْ: ﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ [الزخرف:٣٨].
جَاهِلٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الخِرْقَةِ يُلْحِقُ يَدَكَ بِيَدِ القَوم، ويَأمُرُكَ بِذِكْرِ الله، ومُلازَمَةِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، خَيْرٌ مِنْ تِلكَ الطَّائفةِ كُلِّهَا، فِرَّ مِنْهُم كفِرَارِكَ مِنَ الأَسَدِ، كفِرارِكَ مِنَ المَجْذُومِ.

فالمقام إن كان محموداً سُمِّي خُلُقاً حسناً، وإن كان مذموماً سُمِّي خُلُقاً سيِّئاً، إذ العمل الصَّالح يُنتِجُ حالاً محموداً، والعمل السَّيِّئ ينتج حالاً مذموماً، والحال المحمود يُنتج وَجْداً صادقاً، والمذموم يمرُّ على الخاطر بالأوهام فيحرك تواجداً كاذباً، فما كان عن هِزَّةِ القلب من غير قصدٍ كان وجداً صالحاً، وما كان عن تكلُّف وَهْمٍ كان تواجداً كاذباً.

والتَّواجد كالتَّباكي إن كان عن استعمال القلب واستخدام الفكر في أمر الآخرة، ومفارقة المستعارات، وحثِّ الخاطر على طلب الحقِّ، فذلك التَّواجد يُنتِجُ بكاءً أو تباكياً، وهو ممدوحٌ، يَدُلُّكَ على ذلك قول المصطفى ﷺ: «**اتْلُوْا القُرْآنَ وَابْكُوْا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكَوْا**»[1].

روى القاسم بن أبي بزَّة[2] أنَّ ابن عمر رضي الله عنهما قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ حتَّى إذا بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين]، فبكى حتَّى خرَّ ساقطاً وامتنع من القراءة[3].

وروى ابن عمر: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ قَارِئَاً يَقْرَأُ:** ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾

---

(١) رواه عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: ابن ماجه في «السنن»: كتاب إقامة الصلاة... (٥)، باب في حسن الصوت بالقرآن (١٧٦) رقم ١٣٣٧، والبيهقي في «السنن الكبرى»: كتاب الشهادات (٨٢)، باب البكاء عند قراءة القرآن (٧٠) رقم ٢٠٨٤٧، وأبو يعلى في «المسند» رقم ٦٨٩، رووه بلفظ: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا ...**».

(٢) القاسم بن أبى بزة أبو عاصم، وقد قيل: أبو عبد الله، واسم أبى بزة يسار، وكان من فارس، أسلم على يدي السائب بن صيفي فأقام بمكة وبها ولد له ابنه القاسم، وكان القاسم من المتقنين وقدماء مشايخ المكيين، مات سنة (١٢٥)هـ. مشاهير علماء الأمصار» لابن حبان رقم ١١٥٣، صـ ٢٣١.

(٣) رواه عن القاسم بن أبي بَزَّة، وهو قال: حدثني من سمع ابن عمر رضي الله عنهما: الإمام أحمد في «الزهد» رقم ١٠٦٩، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٣٠٥.

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ [المزمل]، **فَصَعِقَ**»[1] خَشْيَةً لله تَعَالَى.

قال الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣].

قال عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه: قَالَ لِي رَسُوْلُ الله ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، قَالَ: فَافْتَتَحْتُ سُوْرَةَ النِّسَاءِ فَقَرَأْتُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء]، قَالَ: فَغَمَزَنِي بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**حَسْبُكَ**»، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَانِ[2].

ونتيجة ما يُقال: الوَجْدُ والتَّواجد، والبكاء والتَّباكي إن كان الباعث على ذلك اتِّباع الشَّرع وخوف الله، أو محبَّته ومحبَّة رسوله ﷺ وَوُرَّاثِهِ ونُوَّابِهِ وعباد الله الصَّالحين فهو ممدوحٌ محمودٌ، وإن كان الباعث عليه اتِّباع الهوى كان مذموماً، فاجهد أي بني، أن تجعل مقاصدك وأعمالك كلَّها لله، والله لا يضيع أجر المحسنين.

---

(١) رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما: ابن النَّجار كذا عزاه له الإمام السيوطي في «جامع الأحاديث» رقم ٣٩٣٨٦، ورواه عن أبي حرب بن أبي الأسود مرسلاً: البيهقي في «الشعب» رقم ٩١٧.

(٢) رواه عن عبيد الله بن مسعود رضي الله عنه: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب فضائل القرآن (٦٦)، باب قول المقرئ للقارئ حسبك (٣٣) رقم ٥٠٥٠، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب صلاة المسافرين (٦)، باب فضل استماع القرآن ... (٤٠) رقم ٨٠٠.

مرحلة الصبر

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل]، وقال جلَّت قدرته: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾.

وفي الخبر عن النَّبيِّ الأطهر الأزهر ﷺ: «**مِنْ أَقَلِّ مَا أُوْتِيْتُم اليَقِيْنَ وَعَزِيْمَةَ الصَّبْرِ، وَمَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْهُمَا لَمْ يُبَالِ مَا فَاتَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ، وَأَنْ تَصْبِرُوا عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُم عَلَيْهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ يُوَافِيْنِي كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُم بِمِثْلِ عَمِلِ جَمِيْعِكُم، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ تُفْتَحَ عَلَيْكُم الدُّنْيَا بَعْدِي، فَيُنْكِرُ بَعْضَكُم [بعضاً] وَيُنْكِرُكُم أَهْلُ السَّمَاءِ عِنْدَ ذَلِكَ، فَمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ ظَفِرَ بِكَمَالِ ثَوَابِهِ**، ثم قرأ ﷺ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦]»[١].

وإنَّ من أشرف مراتب الصَّبر:

١- حبسُ النَّفْسِ عن أغراضها، ومن أهمِّها: إضرار المخلوقين، وهضم مقاديرهم وحقوقهم، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾[الأعراف:٨٥]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الصَّبرُ في القرآنِ على ثلاثة أوجهٍ: صبرٌ على أداء الفرائضِ، وصبرٌ عن محارمِ اللهِ، وصبرٌ في المصيبةِ عندَ الصَّدمةِ الأولى؛ فمن صَبَرَ

(١) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ١/ ٨٩، وقال الحافظ العراقي: لم أقف له على أصل؛ وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ شَيْئاً أَقَلَّ مِنَ اليَقِيْنِ، وَلا قَسَمَ شَيْئاً بَيْنَ النَّاسِ أَقَلَّ مِنَ الحِلْمِ**».

على أداءِ فرائضِ الله فله ثلاثمائة درجة، ومَنْ صبرَ عن محارم الله فله ستمائة درجة، ومَنْ صبرَ في المصيبةَ عند الصَّدمة الأولى فله تسعمائة درجة))[1].

وتنبَّه - أيُّها المحبُّ - تَرَ الصَّبر عن محارم الله أفضل من الصَّبر على أداء فرائض الله، وقد ترى الفاسق ربَّما يصبر على أداء فرائض الله، ولكن لا يصبر عن محارم الله، ورضي الله عن السَّيِّد سراج الدِّين الرِّفاعيِّ المخزوميِّ[2] فإنَّه قال:

لَيْسَ الشُّجَاعُ الَّذِي يَحْمِي فَرِيْسَتَهُ ... يَوْمَ القِتَالِ وَنَارُ الحَرْبِ تَشْتَعِلُ

لَكِنَّ مَنْ كَفَّ طَرْفَاً أَوْ ثَنَى قَدَماً ... عَنِ الحَرَامِ فَذَاكَ الفَارِسُ البَطَلُ

٢- ومِنْ أَشْرَفِ مَرَاتِبِ الصَّبرِ: الصَّبرُ على إعطاء أهل الحقوق حقوقهم قَلَّت

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ٤/ ٩١ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى قريباً منه عن سيدنا علي ﷺ مرفوعاً: الديلمي في «الفردوس» رقم ٣٨٤٦، ولفظه: «**الصَّبْرُ ثلاثةٌ: فصبرٌ على المصيبةِ، وصبرٌ على الطَّاعةِ، وصبرٌ عن المعصيةِ؛ فَمَنْ صَبَرَ على المصيبَةِ حتَّى يَرُدَّهَا بِحُسْنِ عَزَائِهِ كَتَبَ اللهُ له ثلاثمائة درجة ما بينَ الدَّرجَةِ إلى الدَّرجَةِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، وَمَنْ صَبَرَ على الطَّاعَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ ستمائة درجة ما بينَ الدَّرَجَةِ إلى الدَّرَجَةِ كما بينَ تُخُومِ الأَرَضِيْنَ إلى منتهى العرشِ مَرتينِ**».

وقال ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» صـ٢٩٤ـ: قد روي بإسناد ضعيفٍ من حديث عليٍّ مرفوعاً: «**إنَّ الصَّبرَ على المصيبة يُكتبُ به للعبدِ ثلاث مئة درجة، وإنَّ الصَّبرَ على الطَّاعةِ يكتبُ له به ستمائةِ درجة، وإنَّ الصَّبرَ عن المعاصي يُكتبُ له به تسعمائة درجة**» وقد خرَّجه ابنُ أبي الدنيا وابن جرير الطبري.

(٢) هو شيخ الإسلام، أبو المعالي السَّيِّد مُحَمَّد سراج الدِّين الرفاعي نسبة لأبيه ثم المخزومي نسبة لأمه وهي من نسل سيدنا خالد بن الوليد المخزومي القرشي ﷺ (٧٩٣ - ٨٨٥)هـ: ولد بواسط، وكان شيخ الإسلام في زمنه علماً وعملاً وتحقيقاً وتمكناً ورياسةً، خَدَمَهُ العلماء وأخذ عنه الصُّلحاء وأجرى الله على يديه خوارق العادات، وتوفي ببغداد رحمه الله تعالى، وله كتبٌ نافعةٌ منها: «البيان في تفسير القرآن»، و«سلاح المؤمن» في الحديث، و«صحاح الأخبار» في نسب السادة الفاطمية الأخيار، وغيرها. انظر: «روضة الناظرين» للوتري صـ١١٠-١١٣ـ، و«تنوير الأبصار» صـ٧٠-٧١ـ، و«هدية العارفين» ٢/ ٥٨.

أو جَلَّت، قَرُبُوا أو بَعُدُوا، سواء كانت الحقوق معنويةً أو ماديَّةً؛ فَإِنَّ من أهمل حقوق النَّاس ولو بدانقٍ أو بكلمةٍ أو بجلسةٍ، ولم يصبر على القيام بها، وإن خالفت غرض نفسه، فما هو من الحقِّ ولا من الشَّرع بشيءٍ، وهذا الشَّأن من مقام كفِّ الأذى عن الخَلْق، وهو مقام الخُلَّص من الصَّالحين.

٣- **ومن الصَّبر**: احتمالُ الأذى من النَّاس لوجه الله تعالى، وهو مقام المتوكِّلين الذين انصرفت هِمَمُهُم عن غير الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ** ﴿١٢﴾ ﴾[إبراهيم].

٤- **ومن عوالي مراتب الصَّبر**: الصَّبرُ على الغِنَى والعافية؛ فلا يستعين بنعمة الثَّروة أو بنعمة العافية على معصية الله تعالى، فحاجة العاقل إلى الصَّبر على هذه الأحوال فوق حاجته إلى الصَّبر على المكاره والفقر، قال سهلٌ ﵁: الصَّبرُ على العافية أشدُّ من الصَّبر على البلاء، والصَّبرُ على الغِنَى أشدُّ من الصَّبر على الفقر.

وكذلك قال أصحاب رسول الله ﷺ لَـمَّا فُتِحَتْ عليهم الدُّنيا وأثروا واتَّسعت معيشتهم: «ابتُلِيْنَا بِفِتْنَةِ الضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، وَابْتُلِيْنَا بِفِتْنَةِ السَّرَّاءِ فَلَمْ نَصْبِرْ»[1]؛ فعظَّمُوا شأنَ الاختبار بالسَّرَّاء على الاختبار بالضَّرَّاء، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ** ﴾ [المنافقون:٩].

٥- **ومن الصَّبر أيضاً**: الصَّبرُ على كتمان المصائب والفقر، وإخفاء أعمال السِّرِّ من كلِّ ما هو من البِرِّ.

٦- **ومنه**: الصَّبرُ عن حبِّ المدح والحمد، قال رسول الله ﷺ: «**الصَّبْرُ فِي ثَلاثٍ: الصَّبْرُ عَنْ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَالصَّبْرُ عَنْ شَكْوَى الـمُصِيْبَةِ، وَالصَّبْرُ عَلَى**

---

(١) رواه عن معاذ بن جبلٍ ﵁ موقوفاً: الخرائطي في «اعتلال القلوب» رقم ٢١٤.

الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1].

٧- **قلتُ: ومِنَ الصَّبر أيضاً**: الصَّبر على إيقاف النَّفْسِ في ساحة الخُمول مع التَّواضع والذِّلَّة لله، وإيثار الآخرة على الدُّنيا؛ تقرُّباً إلى الله تعالى وتحقُّقاً بوصف العبودية مع ترك المنازعة في أوصاف الرُّبوبيَّة.

٨- **ومنه**: الصَّبر على العيال في الكسب لهم من الحلال، والإنفاق عليهم بالوجه الوسط الشَّرعي، واحتمال الأذى منهم؛ فإنَّ في أمور العيال طرقاتٍ إلى الله تعالى؛ أدناها: الاهتمام بأمرهم، وأوسطها: تهذيبهم والإنفاق عليهم لله تعالى، وأعلاها: التَّوكُّل على الله بأمرهم، والرِّضا منه سبحانه في كلِّ ما يؤول إليهم.

٩- **ومن الصَّبر**: التَّدبر مع التَّحقُّق بمعنى قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ ﴾ [البقرة:٢١٦].

فإنْ أردتَ - أيُّها المحبُّ - فضيلةَ الصَّبرِ فالتَّحقْ بالصَّابرين، ولا تنس حُكْمَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[الأنفال]، واتَّعِظْ بكلِّ واردٍ إلهيٍّ، ولا تُبْصِرِ الواردَ الإلهيَّ كيف كان إلَّا خيراً، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْـمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السَّقَمُ ثُمَّ عَافَاهُ اللهُ: كَانَ كَفَّارَةً لِـمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ، وَمَوْعِظَةً فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، وَإِنَّ الْـمُنَافِقَ إِذَا مَرِضَ ثُمَّ أُعْفِيَ: كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ فَلَمْ يَدْرِ لِـمَ عَقَلُوهُ وَلَـمْ أَرْسَلُوهُ**»[2].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَا يُصِيبُ الْـمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلا هَمٍّ وَلا حَزَنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ**

(١) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» ١/ ٢٧٩: وقال: حديث مقطوع.

(٢) رواه عن عامر الرَّام ﵁: الإمام أبو داود في «السنن»: أول كتاب الجنائز (١٥)، باب الأمراض المكفرة للذنوب (١) رقم ٣٠٨٩، والبيهقي في «الشعب» رقم ٧١٣٠.

خَطَايَاهُ»[1].

قلت: والصَّبر في كلِّ ما يبرزه القَدَرُ للعبد هو تمام الأدب مع الـمُبرِز الحقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا صبر ظفر بالعناية من الله والرَّحمة والأجر العظيم، وكان من أهل المعيَّة، وكفى بها مَزِيَّةً.

ويجب على العاقل إذا لم يكن صابراً أن يتصبَّرَ ويتكلَّفَ للصَّبر؛ ليكون مع القوم وليدخل في عِدَادِهم، يقول القائل:

فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَـمْ تَكُونُوا مِثْلَهُم   إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالكِـرَامِ فَـلاحُ

١٠- ومن أشرف مراتب الصَّبر أيضاً: الصَّبر على ستر الكرامة وعلى كتمانها، قال شيخُنا الإمام الأكبر مولانا السَّيِّدُ أحمد الرِّفاعيُّ رضي الله عنه وعنَّا به: **الأولياء يستترون من الكرامات كاستتارِ المرأة من دم الحيض.**

[الرَّدُّ على البندنيجي والتَّحذير من
الدَّعاوى العرفانيَّة والرُّموزاتِ الـمُختَرَعة الخياليَّة]

تنبيه: رأيت جزءاً صغيراً للشَّيخ البَنْدَنِيجيِّ البغداديِّ[2] - رحمة الله عليه - جعله شرحاً على قصيدةٍ له عَينيِّة أرادَ أنْ ينسُجَ فيها بنسج العارفين، حالة كونه في درجة العاشقين، وأحَبَّ أن يدمج في شرحها رقائق العرفاء، فأوقفَتْهُ بضاعتُهُ في

---

(١) رواه عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة رضي الله عنهما: الإمام البخاري واللفظ له في «الصحيح»: كتاب المرض (٧٥)، باب ما جاء في كفارة المرض (١) رقم ٥٦٤١، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب البر والصلة (٤٥)، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه... (١٤) رقم ٢٥٧٣.

(٢) الشيخ علي بن عبد الملك بن أبي الغنائم البندنيجي، عماد الدين، ت(٦٥٦)هـ: صوفي، فقيه، ومؤرخ، وأديب، وكاتب، وشاعر، له: أرجوزة سماها «بغية المستعجل في نسب النبي وتواريخ الخلفاء»، و«شرح العينية»، وله شعر كثير. انظر: «موسوعة الكسنزان» للسيد محمد الحسيني ٢١/٢٣.

منزلتها ولم ترفعه عن رتبتها، ومطلع قصيدته:

أَبُثُّ مِنَ العِلْمِ اللَّدُنِّي مَا أَدعُو حَدِيْثاً بِسَجْعٍ لَيْسَ يَعْقُبُهُ الرَّدعُ

وقد تكلَّمَ في هذه القصيدة وشرحها بكلامٍ لم ينطبق على حُكم اللُّغة من حيث المعنى، ولا على نسق منهاج القوم من حيث المبنى، وهو مع صلاحٍ فيه لَمَّا كان عِشقُهُ فوقَ عِلمِه وقوَّةِ ناطقة لسانه، وسيلُ قَلَمِهِ دونَ ما يتلجلجُ في مخيِّلته، لم يقدر على إفراغ ما تصوَّرَهُ من المقاصد والمعاني في الأوراق، فمزج القيد بالإطلاق، والإيضاح بالإغلاق، وحار بين الانجماع والانطلاق، وادَّعى مراتبَ مقاماتٍ لم يصل إليها إلَّا أمَلُه، وغزارةَ عِلمٍ لم يَقْرُب من سُدَّتِها لا عزمُهُ ولا عملُه، ومن دعاويه قوله:

أُمِرْتُ بِتَبلِيغِ الحَقَائِقَ لِلَّذِي يَرُومُ اهْتِدَاءً مِنْ ذَوِيْهَا لَهُ وُسْعُ

ولم يعلم أنَّ التَّبليغ الذي يهدي الله به من يريد الهداية لا يكون إلَّا للنَّبيِّ ﷺ، والأمر من الله تعالى لا يكون إلَّا له، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [النور:٥٤].

والشَّيخ يقول في شرح هذا البيت: أُمِرتُ، المأمور: هو صاحب المنصب الإلهي، والتَّبليغ هو التَّوصيل، وصاحب التَّبليغ هو الأمين المأمون، لا تَسَعُهُ الخيانة من حيث الإعطاء من الحقيقة لغير أهلها، ولا يمكنه كتمانها عن أهلها، وفي البيت لو قال الشَّيخ:

أُمِرْتُ بِإِيْضَاحِ الدَّقَائِقَ لِلَّذِي على فَهْمِها والعِلمُ ليسَ لَهُ وُسْعُ

فهناك نقول: إنَّ الأمر العامَّ في هذا المقام من الشَّارع الكريم ﷺ بأمر الله كما نصَّ على ذلك في كتاب الله، أو هو أمرٌ خاصٌّ موافقٌ لمضمون الأمر العام، جاء في الرُّؤيا أو في الإلهام الصَّادق الذي لا يُصادِم حُكماً، ولا يباين نصَّاً، وإلاَّ فادِّعاء منصب التَّبليغ مزلقةٌ يعرفها العلماء المحقِّقون.

والشيخُ لَـمَّا كان في حالِهِ على صلاحٍ وعِشقٍ، وناطِقَتُهُ ناطقةُ عُشَّاقٍ غير

محققين، فقد يُقامُ لهُ عُذر، ولكنْ ألزَمَ المتمكِّنون من أهل الله رضي الله تعالى عنهم أصحابَهم وأشياعَهم وأتباعَهم بعدم التَّأليف في علوم القوم قبل استجماعِهم مراتبَ التَّمَكُّن في منهجيِّ الشَّرع والعرفان؛ ليكون أحدهم جامعاً فيطير إلى حظيرة القبول بجناحيِّ الشَّريعة والمعرفة، فيغدو أميناً ويرجع أميناً.

وقد تكلَّمَ الشَّيخُ على الكرامات فقسمها إلى قسمين: عقليٌّ وحِسِّيٌّ، كذا زعم، وأكمل زعمه بجعلِ الكرامةِ العقلية فوق الحِسِّيَّة، وهذا التَّقسيمُ عِنديٌّ من عند نفسه، والتَّرجيحُ من قبيل التَّقسيم؛ فإنَّ الكرامات التي سمَّاها حِسِّيةً صدر مثلها عن الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، ولم نسمع عن أحدٍ من أئمَّة الدِّين هذا التَّرجيح، وأيضاً: فلم يذكر الشَّيخ نوع الكرامات العقليَّة سِوى أنَّه زعم التَّصرُّف في الكون من الكرامات العقليَّة، والحال أنَّ التَّصرُّف يبرز عنه الفعل حِسَّاً، ولو لم يكن ذلك لم يُعقَل ذلك التَّصرُّف البتَّة، فإذا نتج عن تصرُّف الهِمَّة شيءٌ حِسِّيٌّ عُلِمَ ذلك التَّصرُّف، وإلاَّ فيكون تصرُّفاً خيالياً لا حقيقة له.

ومع ذلك، فقد عَدَّ الأكابرُ مِن أهلِ الله عدمَ التَّصرُّفِ وتركَ الأمر للمتصرِّف الحقيقي فوق التَّصرُّف؛ لأنَّ التَّركَ لله أدبٌ مطلَقٌ، والتَّصرُّفُ مشغلةٌ كونيَّةٌ، وقد قال قائلهم: تركنا الحقَّ يتصرَّفُ لنا، وإذا كان التَّصرُّفُ عن أمرٍ إلهيٍّ متدلٍّ إلى قلبِ النَّبيِّ ﷺ ومنهُ إلى الوليِّ، قام مشمولاً بالذُّلِّ لله والانكسار، مُجَلْبَباً بِهَجْرِ الدَّعوى والتَّباعدِ عن الشَّطح، وإذا كان يجمعُ الهِمَّة كان مشغلةً جالبةً للدَّعاوى العريضة، ورؤية التَّفوُّق للنَّفس على الغير، وقلَّ مَن يسلمُ من أهل البدايات مِن مثل هذه المزلقة.

فَتَمَسَّكْ - أيُّها المُحِبُّ - بأذيالِ أهلِ الذُّلِّ والانكسار الذين قهروا أنفسَهم فلم تَثُر فيها رعونة الدَّعوى، فأولئك المُحَمَّدِيُّونَ مَشْرَباً وقَدَماً وطَوراً رضي الله عنهم ونَفَعَنا والمسلمين بهم وبعلومهم.

وقد أكثر البندنيجي رحمة الله عليه من الدَّعاوى العرفانيَّة، والرُّموزاتِ الـمُختَرَعة الخياليَّة، والقولِ بنيلِ المناصبِ المعنوية العَلِيَّة، ولم يكن لكلامِهِ ضابطٌ علميٌّ أو عاصمٌ عقليٌّ، ولم يَزِنْهُ - لطيشِ عِشقِه، ولِضَعفِهِ في حالِهِ - بميزانٍ شرعيٍّ، ولم يوقِفهُ عند حدٍّ تمكينيٍّ معنويٍّ، ولبركةِ صلاحِهِ وعِشقِهِ، وحُسن ظنِّهِ بصَحَّةِ خيالِهِ النَّاشئ عن عربدة سكره، ضَرَبنا صفحاً عن ذكر كلماته، واكتفينا بالإشارة إليها.

وهو وأمثالُهُ مِن رجال البابِ كلُّهم على حالٍ حسنٍ، لا يلتفتُ العارفُ المتمكِّنُ إلى شِنْشِنَةِ[1] شطحاتِهم، ولا يهضمُ من مقاديرهم، ويُحسنُ الظَّنَّ بهم، وإنَّما الإشارة لمثل هذه الكلمات من واجبات العلم؛ فإنَّ كتمانه من الخيانة للشَّرع، والسُّكوت عنه من سوء الأدب في معاملة الحقِّ، والله المعين.

١١- **ومِن الصَّبرِ أيضاً:** الصَّبرُ عند عربدة سكر الحال عن إطلاق اللِّسان بالدَّعاوى العريضة، قال الإمام سهل ﷺ: من البلوى إطلاق اللِّسان بالدعوى.

قال شيخُ مشايخنا الإمام السَّيِّدُ أحمد الرِّفاعيُّ رضي الله عنه وعنَّا به: الدَّعوى أثر رعونةٍ في النَّفس لا يحتملها القلب، فيلقيها إلى اللِّسان فينطق بها الأحمق؛ وله في هذا المعنى عباراتٌ أُخر متقاربةٌ.

وتدبَّر ما ذكره العارف الشَّعرانيُّ[2] رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بـ«الكبريت

(١) الشِّنْشِنَة: الطبيعة والخَلِيقَة والسَّجِيَّة. «لسان العرب» مادة: (شنن).

(٢) هو الشيخ الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد(٨٩٨ - ٩٧٣)هـ: من علماء الصوفية، ولد في قلقشندة (بمصر)، ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: (الشعراني، ويقال: الشعراوي) وتوفي في القاهرة، له تصانيف، منها: «الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية»، و«الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر»، و«كشف الغمة»، و«لطائف المنن»، و«لواقح الأنوار في طبقات الأخيار»، يعرف بطبقات الشعراني الكبرى، و«لواقح الأنوار القدسية»، وغير ذلك. «الأعلام» للزركلي ٤/ ١٨١.

الأحمر»[1]، ناقلاً عن الشَّيخ العارف محيي الدِّين بن العربي[2] تغمَّده الله برحمته ونفع به - بشأن القطب الفرد الكبير العارف الشَّهير أبي محمَّد محيي الدِّين السَّيِّد الشَّيخ عبد القادر الجيلي[3] قدَّس اللهُ سرَّه وروحه ورضي عنه مع جلالة قدره وسُموِّ منزلته، فقس بين الإمام الجيلي والبندنيجي وتدبَّر، وهذا ما نقله الشَّعراني بنصِّه:

«قال - يعني: الشَّيخ محيي الدِّين - في الباب السَّابع والتِّسعين وثلاثمائة: إنَّما ظهر الشَّيخ عبد القادر الجيلي بالتَّصريف في الوجود والتَّأثير والدَّعاوى العريضة؛ لأنَّ مشهده من الحقِّ تعالى كان حضرة الاسم الظَّاهر، فأعطاه مقام الصَّولة والهمَّة

---

(١) صـ٤٨٧..

(٢) هو الشيخ العارف الكامل المحقق المدقق محمد بن علي بن محمد، الطائي الحاتمي المرسي، محيي الدين أبو بكر، ابن العربي نزيل دمشق ، الملقب بالشيخ الأكبر (٥٦٠ – ٦٣٨)هـ: كان ذكياً كثير العلم، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب، ثم تزهَّد وتعبَّد، وساح ودخل مصر والشام والحجاز والروم، وله في كلِّ بلدٍ دخلها مؤلفات، وقد حط عليه ابن عبد السلام بمصر، فلمَّا صحب الشَّيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه وعرف أحوال القوم، صار يترجم بالولاية والعِرفان والقطبيَّة، ولد في مرسية (بالأندلس)، ومات بدمشق ودفن في الصالحية، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها: «الفتوحات المكية»، و «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار»، و«ديوان شعر»، و«مفاتيح الغيب». انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني رقم ٢٨٩، ص ٢٧٤، و«الأعلام» للزركلي ٦/ ٢٨١.

(٣) سلطان الأولياء وإمام الأصفياء، أحد الأقطاب الأربعة، عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (٤٧١-٥٦١)هـ: مؤسس الطريقة القادرية قدَّس اللهُ سرَّه، من كبار الزهاد والصوفية، ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شاباً، سنة ٤٨٨ هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة (٥٢٨) هـ، وتوفي بها، له كتب منها: «الغنية لطالب طريق الحقِّ»، و«الفتح الرباني»، و«فتوح الغيب»، و«بالفيوضات الربانية». انظر: «طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ٥٢، صـ١٩٣ـ، و«الأعلام» للزركلي ٤/ ٤٧.

والشَّطح وإظهار العلو على أمثاله وأشكاله، بل على من هو أعلى منه في مقامه، قال: وهذا المقام وإن كان رفيعاً فثَمَّ ما هو أرفع منه، وهو مقام الأدب وإظهار الذُّلِّ والمسكنة». انتهى، وقد أطال في هذا الباب، وللشَّيخ محيي الدِّين في «الفتوحات» كلماتٌ كثيرةٌ من هذا القبيل، وعلى هذا إجماع القوم ﭫ.

فكُن - أيُّها الـمُحبُّ - في سَيرِكَ وسِيرَتِك محمَّديَّ الأدب أحمَدِيَّ المشرب، تحقَّقْ بالذُّلِّ والانكسار، وتباعد عن الشَّطح والدَّعاوى والعربدة في الأطوار، وَقِفْ مع الأدب أسير الحكم الشَّرعي الظَّاهر، ولا تنحرف عنه مقدار شعرةٍ، وخَلِّكَ من هذه المزالق، وتدبَّرْ حالَ نبيِّك وخُلُقَه وأدبه وما كان عليه، واكتفِ بتقليده، فهو شيخ طريق الله إلى يوم الدِّين، والحمد لله رب العالمين.

١٢- **ومن أشرف مراتب الصَّبر**: مرتبة الصَّبر عن الكلام في الذَّات والصِّفات، والوقوف مع ظواهر النُّصوص في العموم والخصوص، فكم زَلَقَ بمثل هذا الكلام زالقٌ، وكم فارقَ بالخوض فيه للحقِّ مفارقٌ، نعق ناعقهم فتدرجَ - والعياذ بالله تعالى - إلى القول بوحدة الوجود المطلقة، واندفع مع تلك المزلقة وزعم أنَّ علوم أهل الله تعالى هي عبارةٌ عن هذه الأغلاط السَّقيمة والكلمات الذَّميمة، وقفي[1] ما لم يعلم، وأراد أن يصعد إلى السَّطح بغير سُلَّم، وتكلَّم بما سكت عنه الأنبياء والمرسلون، وتباعد عن الخوض به الآل والصَّحابة والوارثون والصِّدِّيقون والمقرَّبون، حتَّى صار - والعياذ بالله - ملعبة الشَّيطان، وخبط عقله خابط النُّقصان، واخترع من مخيِّلته لقلقةَ الزُّور والبهتان، ووقف مع إبليس في مراتعه، وحَرَّف الكَلِمَ عن مواضعه، وهدم جدران الحقيقة، وسلك من طُرُق الزَّندقة والإلحاد أسوء طريقة، وادَّعى الوصلة ولكن إلى النَّار وبئس القرار،

(١) أي: اتِّباع واقتفاء ما لا علم له به من قول أو فعل.

وفارق منهاج السَّلف الأخيار.

وقد أدَّبنا رسولُ الله ﷺ وبلَّغنا الأحكامَ كلَّها، وتركنا على محجَّةٍ بيضاءَ، ليلُها كنهارها، ولم يأتِ في كتاب الله ولا في سُنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ما يشيرُ لهذه الأغاليط التي وضعها واضعهم حتَّى زَلَقَ - والعياذ بالله - فجعل الخَلْقَ عينَ الخَالقِ، والمرزوقَ هو الرَّازقُ، وخلط وغلط، ولم يكتفِ حتَّى زعم أنَّ زندقته هي الطَّريقةُ المُثلى، والمحجَّةُ الموصلة إلى الحضرة الكبرى، وجعل الكُفرَ سَعْياً مشكوراً، والإلحادَ طريقاً مبروراً، وظلمةَ الباطلِ نوراً.

[الدَّس على كتب الشَّيخ الأكبر رضي الله عنه]

والكثير من هذه الفرقة قام قائمهم وقعد قاعدهم منهمكاً بمُطالعة كُتُب الشَّيخ محيي الدِّين بن العربي طاب مرقده، ولا بدع؛ فكُتُب الشَّيخ كَثُرت فيها الدَّسائس من قِبَلِ ذوي الزَّيغ والبهتان وعصائب الشَّيطان[1]، وهذا الذي يطيب القول به لمن يريد براءة الذِّمة من القطع بما لم يعلم، والله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

(١) هذا ممَّا لا شكَّ فيه بوجود الدَّس في كتب الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر الإمام محيي الدين بن العربي قدَّس اللهُ سرَّه، وقد أثبت ذلك الكثير من أئمَّة المسلمين وعلمائهم، ومنهم الإمام الشعراني حيث قال في كتابه «اليواقيت والجواهر» صـ٢٢-٢٣. ما نصُّه: «وجميع ما عارَض من كلامه - أي: الشيخ محيي الدين - ظاهر الشَّريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوسٌ عليه كما أخبرني بذلك سيِّدي الشَّيخ أبو الطَّاهر المغربي نزيل مكَّة المشرَّفة، ثمَّ أخرج لي نسخةَ «الفتوحات» التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطِّه في مدينة قونية فلم أرَ فيها شيئاً ممَّا كنت توقَّفت فيه وحذفته حين اختصرتُ الفتوحات».

ومنهم السيد الشيخ محمد بن جعفر الكتَّاني في «ترجمة الشيخ الأكبر» صـ١٢٣. ما نصُّه: «وفي معروضات المفتي أبي السعود الحنفي أنَّه تيقَّن أنَّ بعض اليهود افترى عليه في كتابه هذا - أي: الفصوص - كلمات تباينُ الشَّريعة، وأنَّه تكلَّف بعض المتصلِّقين - أي: المتكلِّفين - لإرجاعها إلى الشَّرع، قال: فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات».

وقد نسبوا - أعني: الدَّسَّاسين - للشَّيخ ما لا يصحُّ لا عقلاً ولا شرعاً، ولا ينطبق على حكمةٍ نظريةٍ، ولا يوافق صحاح القواعد العرفانية، حتَّى تجرَّد لردِّ كلامه أُمَّةٌ من العلماء، وبعضهم ظنّاً بل جزماً بأنَّ كلَّ ذلك من كلامه، أفتوا بتكفيره، وقالوا فيه ما لا يُقال، وحكموا عليه بذلك فيما ظهر لهم بقوله الذي لا نشكُّ في دَسِّهِ عليه ما نصُّه:

[ذكر بعض النُّصوص المكفِّرة المدسوسة على الشَّيخ الأكبر وهو ﷺ منها بريء]

«إنَّ الله تعالى هو الوجود المطلق الذي ظهر بصور العالم، وتشكَّل بأشكاله، وتسمَّى أبا سعيدٍ الخراز[1] وغير ذلك من أسماء المحدَثات، وبأنَّ الحقَّ المنزَّه هو الخلق المشبَّه، والأمر الخالق هو المخلوق، والأمر المخلوق هو الخالق... وهو تعالى من حيث الوجود عين الموجودات... فظهر بصورة كَبْشٍ من ظهر بصورة إنسانٍ، وظهر بصورة وَلَدٍ، لا بل بحكم وَلَدٍ مَنْ هُو عَينُ الوالد...»[2].

«وإنَّ الممكنات على أصلها من العَدَمِ، وليس وجودٌ إلَّا وجود الحقِّ بصور أحوال ما هي عليه الممكنات في أنفسها وأعيانها»[3].

«فَهُوَ هوَ لا غيَرُهُ، فكلُّ ما نُدْرِكُهُ فهو وجودُ الحقِّ - أي: مُتلبِّساً وظاهراً - في أَعْيَانِ المُمْكِنَاتِ، فَمِنْ حيثُ هُوِيَّةِ الحقِّ هو وُجُودُهُ، ومِنْ حيثُ اختلافِ الصُّورِ

---

(١) أحمد بن عيسى البغدادي الخرَّاز، أبو سعيد (٢٨٦)هـ: شيخ الصوفية، وهو من أَئِمَّة القوم وجلة مشايخهم، وقد صحب سرياً السَّقطي، وذا النون المصري، ويقال: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، له تصانيف في علوم القوم منها: «كتاب الصِّدق، أو الطَّريق إلى الله». انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي رقم ٢٠٧، ١٣/ ٤١٩، و«الأعلام» للزركلي ١/ ١٩١.

(٢) «فصوص الحكم» في الفص الإدريسي صـ٦١ـ٦٥.

(٣) «الفصوص» في الفص اليعقوبي صـ٨١.

فِيهِ هُوَ أعيانُ المُمْكناتِ»[1].

«فهو السَّارِي في مُسَمَّى المخلوقاتِ والمُبدعات، ولو لم يكنِ الأمرُ كذلكَ ما صحَّ الوجود، فهو عَينُ الموجودِ، فهو على كلِّ شيءٍ حفيظٌ بِذَاتِهِ، ولا يَؤُدُهُ حِفْظُ كلِّ شيءٍ ... فَقُلْ في الكونِ ما شِئْتَ؛ إنْ شِئتَ قُلتَ: هو الخَلْقُ، وإنْ شِئتَ قُلتَ: هو الحقُّ، وإن شئت قلت: هو الحقُّ الخَلْقُ»[2].

«فَمِنْ نَفْسِهِ عَرَفَ نَفْسَهُ، وليست نفسُه بِغَيرٍ لِـهُوِيَّةِ الحقِّ، ولا شَيءَ من الكون ممَّا هو كائنٌ ويكونُ بغيرٍ لِـهُوِيَّةِ الحقِّ، بل هو عَينُ الحقِّ، فهو العارفُ والعالِـمُ والـمُقِرُّ في هذه الصُّورةِ، وهو الذي لا عارفٌ ولا عالِـمٌ، وهو الـمُنْكِرُ في هذه الصُّورةِ الأخرى»[3].

وبقوله في الكلمة العيسوية: «فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[المائدة:١٧]، فجمعوا بين الخطأ والكفر في تمام الكلام كلِّه لا في أجزائه، وإنَّما قلنا الجمع بين الخطأ والكفر في تمام الكلام لا في أجزائه؛ لأنَّه – أي: الجمع بينهما – لا يتحقَّق بقولهم المسيح هو الله، أو الله هو المسيح فقط؛ فإنَّه إن حمل على أنَّ هوية الحقِّ سبحانه هي التي تعيَّنت وظهرت بالصُّورة المسيحية كما ظهرت بصور العالم كلِّها من غير أن يلاحظ فيه معنى الحصر فهو صدقٌ لا شكَّ فيه، وإن لُوحِظَ فيه معنى الحصر فهو كفرٌ وسترٌ لـما هو الحقُّ عليه من عموم سريانه في الموجودات كلِّها، وإن حُمِل على أنَّ الـهُويَةَ الإلهيَّة حالَّةٌ في الصُّورة المسيحيَّة فهو أيضاً كفرٌ؛ إذ ظهورها في الأشياء ظهور المطلق في المقيَّد، لا ظهور الحال في المحلِّ، فليس فيه إلَّا الكفر على بعض التَّقادير.

---

(١) «الفصوص» في الفص اليوسفي صـ٨٧..

(٢) «الفصوص» في الفص الهودي صـ٩٦..

٣ ((الفصوص)) في الفص الشعيبي صـ١٠٨..

وكذلك الجمع بينهما لا يتحقَّق بقولهم ابن مريم فقط؛ لأَنَّه ابن مريم بلا شكٍّ، فليس فيه كفرٌ ولا خطأ أصلاً». انتهى، كذا في «تفصيلات الجامي»[1].

وأيضاً: قال داود القيصري[2] في «شرحه»: «أي: جمعوا بين الكفر وهو ستر الحقِّ بالصُّورة العيسويَّة، وبين الخطأ وهو حصرُ هُويَّة الله في الكلمة العيسويَّة، والمرادُ بقوله في تمام الكلام، أي مجموع قولهم: إنَّ الله هو المسيحُ ابن مريم، جمعوا بين الكفر والخطأ لا بقولهم: هو الله، ولا بقولهم ابن مريم؛ لأنَّ قولهم هو الله أو الله، هو صادقٌ من حيث إنَّ هُوِيَّةَ الحقِّ هي التي تعيَّنت وظهرت بالصُّورة العيسويَّة، كما ظهرت بِصُورِ العالَـمِ كُلِّه، وقولهم المسيح ابن مريم أيضاً صادقٌ؛ لأَنَّه ابن مريم بلا شكٍّ، لكن تمام الكلام ومجموعه غير صحيحٍ؛ لأنَّه يفيد حصر الحقِّ في صورة عيسى، وهو باطلٌ؛ لأنَّ العالم كلَّه، غيباً وشهادةً، صورته لا صورة عيسى فقط». انتهى.

وبقوله أيضاً: «فكان عَتَبُ موسى أخاهُ هارونَ عليهما السَّلام لـما وقعَ الأمرُ في إنكاره وعدم اتِّساعه؛ فإنَّ العارفَ من يرى الحقَّ في كلِّ شيءٍ، بل يراهُ عينَ كلِّ

[1] ((شرح الجامي على فصوص الحكم)) صـ٣٣٥. والشيخ الجامي هو: عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، نور الدين (٨١٧ – ٨٩٨)هـ: مفسر، فاضل، ولد في جام (من بلاد ما وراء النهر) وانتقل إلى هراة، وتفقه، وصحب مشايخ الصُّوفية، وحج سنة (٨٧٧)هـ، فطاف البلاد، وعاد إلى هراة فتوفي بها، له: ((تفسير القرآن))، و ((شرح الفصوص))، و ((الدرر الفاخرة)) في التصوف والحكمة، وغير ذلك. ((الأعلام)) للزركلي ٣/ ٢٩٦.

[2] داود بن محمود بن محمد، شرف الدين القيصري تـ(٧٥١)هـ: أديب من علماء الرُّوم من أهل قيصرية،
تعلم بها وأقام بضع سنوات في مصر، وعاد إلى بلده، فدعي للتدريس في (إزنيق) وكثر تلاميذه فيها، وصنف كتباً كثيرةً، منها: «مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم» ويعرف بمقدمة شرح الفصوص، و«شرح الخمرية لابن الفارض»، و«رسالة في أحوال الخضر». انظر: «الأعلام» للزركلي ٢/ ٣٣٥.

شيءٍ ...»[1].

«والعارف يخلق بالهمَّة ما يكون له وجودٌ من خارج محلِّ الهمَّة، ولكن لا تزالُ الهمَّةُ تَحفَظُهُ، ولا يؤودها حفظه، أي: حفظ ما خلقته ... فمن حيث الحفظ لما خلق له أن يقول: أنا الحق.

فَإِنْ قُلتَ هذا الحقُّ قَدْ تُكَ صَادقاً وإنْ قُلتَ أَمراً آخراً أنتَ عابِرُ»[2]

«فإيَّاكَ أنْ تتقيَّدَ بِعَقْدٍ مخصوصٍ وتَكْفُرَ بما سِواهُ؛ فَيَفُوتُكَ خَيرٌ كثيرٌ، بل يَفُوتُكَ العِلمُ بالأَمْرِ على ما هو عليه»[3].

«إلَّا أنَّ صاحب هذا الـمَعْبُودِ الخاصِّ جاهلٌ بلا شكٍّ في ذلك؛ لاعتراضه على غيره فيما اعتقده في الله»[4].

«والسَّعيد من كان عند ربِّه مرضيَّاً، وما ثَمَّة إلَّا من هو مرضيٌّ عند ربِّه؛ لأنَّه الذي يُبْقِي عليه رُبُوبِيَّتَهُ فهو عنده مَرْضِيٌّ فهو سعيدٌ»[5].

«فالكلُّ مصيبٌ، وكلُّ مصيبٍ مأجورٌ، وكلُّ مأجورٍ سعيدٌ مرضيٌّ عندَ ربِّه، ولما كان الأمر في نفسه على ما قررناه؛ لذلك كان مآلُ الخَلْقِ إلى السَّعادة على اختلافِ أنواعها»[6].

«ثمَّ لتعلم أنَّه ما يقبض الله أحداً إلَّا وهو مؤمنٌ، أي: مُصَدِّقٌ بما جاءَتْ به

---

(١) «فصوص الحكم» في الفص الهاروني صـ١٧٩ـ.

(٢) «فصوص الحكم» في الفص الإسحاقي صـ٧٢-٧٤ـ، وفي المطبوع «وإن قلت أمر أخر أنت عابر»، وفي «الفصوص»: أمراً آخراً؛ لذلك أثبت ما في «الفصوص».

(٣) «الفصوص» في الفص الهودي صـ٩٩ـ.

(٤) «الفصوص» في الفص المحمدي صـ٢١٢ـ.

(٥) «الفصوص» في الفص الإسحاقي صـ٧٥ـ.

(٦) «الفصوص» في الفص الهودي صـ٩٩ـ.

الأخبار الإلهيَّة، وأعني: من الـمُحْتَضَرِيْنَ ... والـمُحْتَضَرُ ما يكون إلَّا صاحب شهودٍ، فهو صاحب إيمانٍ بِمَا ثَمَّة فلا يُقبضُ إلَّا على ما كان عَلَيْهِ»[1].

«فَلَمْ يَبْقَ إلَّا صادقُ الوعدِ وَحْدَهُ ... وما لِوَعِيْدِ الحَقِّ عَيْنٌ تُعايَنُ

وإنْ دَخَلَوا دَارَ الشَّقاءِ فإنَّهُم ... على لَذَّةٍ فيها نَعِيمٌ مُبايِنُ

نَعِيمُ جِنَانِ الخُلدِ والأَمْرُ واحِدٌ ... وبينهما عِنِدَ التَّجَلِّي تَبَايُنُ

يُسمَّى عذاباً مِنْ عُذُوْبَةِ طَعمِهِ ... وذاكَ لَهُ كالقِشْرِ والقِشرُ صَايِنُ))[2]

«الأعيان ما شمَّت رائحة من الوجود... وإنَّ الممكنات على أصلها من العدم ... فقد علمت مَنْ يَلْتَذُّ وَمَنْ يَتَأَلَّـمُ»[3]. انتهى.

[الرد على من أنكر بأن حقائق الأشياء ثابتة]

وأيضاً: حكموا عليه بإنكاره حقائق الأشياء التي اجتمع على ثبوتها الخارجي العلماء والعقلاء، بل اتَّفق على إثباتها جميع الملل والنِّحل؛ لأنَّ كُلَّا مِنَ الحسِّ والعقل والشَّرع يشهدُ بأنَّ حقائقَ الأشياءِ ثابتةٌ، والعِلْمُ بها مُتَحقِّقٌ، فما أنكرها عِناداً إلَّا السُّوفسطائيَّة[4] والوجوديَّة، فالعِناديَّة: أنكروها رأساً، والوجوديَّة:

(1) «الفصوص» في الفص الموسوي صـ١٩٨ـ.

(2) «الفصوص» في الفص الإسحاقي صـ٧٨ـ.

(3) «الفصوص» في الفص اليعقوبي صـ٨١ـ.

(4) السوفسطائية: سوفسطاء: اسمٌ للحكمة المموهة والعلم المزخرف، وهي يكون ظاهرها مُحَلَّى بصورة الصِّدق والحقِّ، وباطنها باطلةٌ وكاذبةٌ؛ لأنَّ سوفا: معناه العلم والحكمة، واسطا: معناه المزخرف بالباطل والغلط باطنه، وهم أقسام منها: العنادية، والعندية، فالعنادية - سموا بذلك لعنادهم في الحقائق -: وهم ينكرون حقائق الأشياء، ويزعمون أنها أوهامٌ كالنقوش المختلفة على الماء، خيالاتٌ باطلة.

والعندية - سموا بذلك لنسبتهم الحقائق إلى عند أنفسهم -: وهم ينكرون ثبوت حقائق الأشياء في الخارج، ويزعمون أنها تابعةٌ للاعتقادات حتَّى إن اعتقدنا الشّيء جوهراً فجوهر، وعرضاً =

أنكروها فيما عدا الوجود المطلق كما حقَّقه السيالكوتي[1] في حاشيته على «شرح العقائد» قال: «إنَّ العناديَّة يعاندون العقلاء الجازمين بثبوت الأشياء من الواجب والممكن، يدَّعون الجزم بعدم ثبوت نسبة أمرٍ إلى آخر في نفس الأمر حتَّى نسبة التَّميُّز، فلا تكون الحقائق إلاَّ أوهاماً وخيالاتٍ كالسَّراب، فليس في الحقيقة ربٌّ ولا عبدٌ ولا نبيٌّ ولا مرسلٌ؛ لأنَّ الكلَّ راجعٌ إلى أصلٍ واحدٍ في الحقيقة هو الوجود المجرَّد العاري عن التَّكثر، وإنَّما التَّمايز إنَّما هو بحسب التَّعيّنات الوهمية، كما ذهب إليه الصُّوفيَّة الوجوديَّة[2]». انتهى.

فإذاً يتعين أنَّ مذهب الوجوديَّة أنَّ جميع الحقائق سوى الوجود المطلق أوهامٌ وخيالاتٌ كالسَّراب، فليس عندهم في الحقيقة سوى الوجود المطلق، لا عبدٌ ولا نبيٌّ ولا مرسلٌ ولا شرائع ولا كتب منزلة كما نقلوا عن الشَّيخ محيي الدِّين في رسالةٍ له: «من عرف نفسه؛ نبيُّهُ هو، ورسوله هو، ورسالته هو، وكلامه هو، أرسل نفسه بنفسه من نفسه إلى نفسه». انتهى.

=

فعرض، أو قديماً فقديم، أو حادثاً فحادث، فيكون كل من النقيضين حقاً بالنظر إلى معتقده، وليس في نفس الأمر شيء حقاً عندهم فلا اعتبار لهم. انظر: «حاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية» صـ٢٣-٢٥ـ، و«حاشية رمضان أفندي على شرح العقائد النسفية» صـ٣٢-٣٣ـ.

(١) عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي البنجابي تـ(١٠٦٧)هـ: علامة الهند وإمام العلوم وترجمان المظنون فيها والمعلوم، كان من كبار العلماء وخيارهم، مستقيم العقيدة صحيح الطريقة صادعاً بالحقِّ مجاهراً به الأمراء الأعيان، وكان رئيس العلماء عند سلطان الهند، له تآليف، منها: «قائد السيالكوتي»، و«حاشية على تفسير البيضاوي» لم تكمل، و«زبدة الأفكار» حاشية على شرح العقائد النسفية. انظر: «خلاصة الأثر» للمحبي ٢/ ٣١٨، و«الأعلام» للزركلي ٣/ ٢٨٣.

(٢) سيأتي التعليق على معنى الوجودية صـ، التعليق رقم .

أليست هذياناتهم هذه ودسائسهم على الشَّيخ وأمثاله كلها إلحادٌ وزندقةٌ[1] وإبطالٌ لجميع الشَّرائع وإفسادٌ في دين الإسلام؟ لأنَّه معلومٌ بالبداهة أنَّ ثبوت ذوات الأنبياء وشرائعهم، وثبوت الجنَّة والنَّار، والثَّواب والعقاب في دار الجزاء إنَّما يبتني على ثبوت الحقائق في الخارج، وإذا انتفى ثبوتها فيه انتفى ثبوت ذوات الأنبياء عليهم السَّلام وغيرهم من الأمور المذكورة بالضَّرورة، فلا يتأتى حينئذٍ إثبات رسولٍ ومرسلٍ إليه، فيلزم من ذلك بطلان جميع الأمور الدِّينيَّة والتَّكاليف الشَّرعيَّة.

وأما القول بإقرار الأديان وادِّعاء الإيمان بالرُّسل تستُّراً وتلبيساً، مع نفي الحقائق وسلب الوجود عن الأشياء المستلزم إبطال الشَّرائع، فتناقضٌ ظاهرٌ، ومحالٌ باهرٌ، بل هو عين الزَّندقة والإلحاد المنافيان للشَّرائع والأديان، فانظرْ وأنصفْ إنْ كنتَ أهلاً للإنصاف.

فلمَّا عَجَزُوا عن إقامة البرهان، وسوق الأدلَّة إلى إثبات المرام بُهِتُوا وتحصَّنوا مع ارتكاب أنواع المحالات الفضيحة في ترويج تلك الأباطيل الشَّنيعة، بادِّعاء الكشف والعِيان، كما قال سعد الدِّين التَّفتازانيُّ[2] – رحمه الله – في «رسالته»:

(١) الزِّنْدِيق: هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، و العرب تعبر عن هذا بقولهم ملحد أي: طاعن في الأديان، وقال في البارع: (زِنْدِيقٌ) و(زَنَادِقَةٌ) و(زَنَادِيقُ) وليس ذلك من كلام العرب في الأصل، وفي التهذيب: و(زَنْدَقَةُ الزِّنْدِيقِ) أنه لا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الخالق. «المصباح المنير» مادة: (زندق).

[2] مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى، سعد الدين (٧١٢ – ٧٩٣)هـ: من أئمة العربية والبيان والمنطق،

ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها، ودفن في سرخس،

وكان في لسانه لكنة، من كتبه: ((شرح العقائد النسفية))، و ((حاشية على شرح العضد على مختصر =

«ويُرَوِّجون تلك السَّفسطة النَّافية لدين الإسلام، ولزوم الأحكام بإحالتها على الكشف، ويتفوَّهون بأنَّ درجة الكشف وراء طور العقل، وأنت خبيرٌ بأنَّ مرتبة الكشف نيل ما ليس له العقل ينال، لا نيل ما هو ببديهة العقل محال، ولا ينبغي أن يُتوهم أن ذلك من قبيل ما ليس له العقل ينال، بل هو مستحيلٌ وللعقل في إبطاله تمكُّنٌ ومجالٌ.

ثم إنَّ ما يناله الكشف ولا يناله العقل عبارة عندهم عن الممكن الذي الطَّريق إليه العِيان دون البرهان، لا المحال الممتنع الوجود في الأعيان، إذ الكشف لا يجعل الممتنع متَّصفاً بالإمكان موجوداً في الأعيان».

وقال أيضاً في محلٍّ آخر من تلك «الرِّسالة»: «فكيف يَحِلُّ لمسلمٍ أن يُسمِّيَ بالتَّصوُّف هذه الزَّندقة؟ وأولئك الكفرة الزَّنادقة بالمتصوِّفة؟ بل التَّصوُّف في لسان القوم: عبارةٌ عن التَّخلُّق بالأخلاق النَّبويَّة، والتَّمسُّك بقوائم الشَّريعة المطهَّرة المحمَّديَّة في العِلميَّة والعَمليَّة[1]، لا عن عقيدة المعطِّلة[2] والسُّوفسطائيَّة والدَّهريَّة[3].

=

ابن الحاجب)) في الأصول، و ((التلويح إلى كشف غوامض التنقيح)). انظر: ((الأعلام)) للزركلي ٧/ ٢١٩.

(١) أي: في الفروض والواجبات، فالفرض؛ لازمٌ علماً: أي يلزم اعتقاد حقيقته والعمل بموجبه؛ لثبوته بدليل قطعي، حتَّى يكفر من أنكره، ويفسق تاركه بلا عذر إكراهٍ ولا استخفاف.
والواجب؛ لازمٌ عَمَلاً كالفرض، لا عِلماً على اليقين؛ لثبوته بدليلٍ ظنِّي، حتَّى لا يكفر جاحده، ويفسق تاركه تهاوناً. انظر: «إفاضة الأنوار على أصول المنار» للحصكفي صـ١٨٣ـ.

(٢) هو تعطيل الرب ﷻ عن صفات الكمال، كجعل علمه ﷻ غير محيطٍ، وقدرته غير مؤثِّرةٍ. «حواش الحامدية على السنوسية» صـ٢٢١ـ.

(٣) الدهرية: هم بعض القائلين بأن الأجسام قديمةٌ بذواتها محدثةٌ بصفاتها، وهم يسندون الحوادث إلى الدهر ويبالغون فيه حتى كأنَّهم لا يثبتون صانعاً وراءه. انظر: «المواقف» للعضد الإيجي
=

وممَّا يزيد لضلال أولئك الملحدين كشفاً وإيضاحاً، ولحال أولئك المبطلين هتكاً وافتضاحاً: أنَّهم يجمعون في إثبات تلك الزَّندقة الملعونة بين إقامة الحجَّة والبرهان، وبين ادِّعاء ظهورها عليهم بالكشف والعِيان، مع أنَّه من المعلوم عند أهل العرفان أنَّ التَّعبير عن المعلوم بالكشف والعيان ليس في حيِّز الإمكان؛ لقصور العبارة عن بيان هذه الحال، وتعذُّر الكشف عنها بالمقال، فلا يمكن إيداعه في الكتب والرَّسائل، فضلاً عن إثباته بالحُجَجِ والدَّلائل، وناهيك ببديهة العقل الحاكمة على بطلان زندقتهم التي أصولها المكابرات، وفروعها الضَّلالات والمحالات التي لم يُسمع بمثلها من الكفرة الأقدمين، لا من المجوس ولا من المشركين». انتهى.

وكما قال السَّيِّد الشَّريف[1] في «حاشية التَّجريد»: «ذهب جماعةٌ من الصُّوفيَّة إلى أن ليس في الواقع إلاَّ ذاتٌ واحدةٌ، وهي حقيقة الوجود، ولها تقيداتٌ بقيودٍ اعتباريَّةٍ، بحسب ذلك تتراءى؛ أي: تُظَنُّ موجودات متمايزة، فيتوهم من ذلك تعددٌ حقيقيٌّ، وليس كذلك، بل الكلُّ حقيقةٌ واحدةٌ كالبحر في تَمَوُّجِه، فيتوهَّمُ الصَّغيرُ الذي لا يعقل أنَّ ذلك المرتفع والمنخفض غير الماء، أمَّا العاقل فلا يخفى عليه أن ليس هناك إلاَّ بحرٌ وتعيَّن وأنَّ هذه الحالةَ أمورٌ اعتباريَّةٌ، فكذلك ليس في الوجود سوى الله تعالى، وأنَّ هذه الصُّورَ المرئيَّة، والكثرةَ المشهودةَ أمورٌ اعتباريَّةٌ وخيالاتٌ وهميَّةٌ، ليس لها حقيقة مغايرة لحقيقة الحقِّ.

=

٢/ ٦٣٨، و«حاشية الكستلي» صـ٧٥.

(١) السيد علي بن محمد بن علي، المعروف بالشَّريف الجرجاني(٧٤٠ – ٨١٦)هـ: العلامة المحقق الحنفي، من كبار العلماء بالعربية، ولد في جرجان وتوفي في شيراز، له نحو خمسين مصنفاً، منها: «التعريفات»، و«شرح مواقف الإيجي »، و«شرح السراجية» في الفرائض. انظر: «الأعلام« للزركلي ٥/ ٧، و«هدية العارفين» ١/ ٣٨٧.

أقول: هذا خروجٌ عن طور العقل؛ فإنَّ بداهته شاهدةٌ بتعدد الموجودات تعدُّداً حقيقيَّاً، وأنَّها ذواتٌ وحقائقٌ مختلفةٌ بالحقيقة دون الاعتبار فقط». انتهى.

وأيضاً قال في «شرح المواقف»: «إنَّ حقائق الموجودات متخالفةٌ بالضَّرورة، وما يُقال أنَّ الكلَّ ذاتٌ واحدةٌ تتعدَّد بحسب الأوصاف لا غير، فالمتقيِّدون بطور العقل يعدُّونه مكابرةً لا يُلتفت إليها». انتهى.

وقال بعضهم: قال أصحاب الذُّوق الوهمي: إذا تعارض الكشف وظاهر الشَّرع، قدمنا الكشف؛ لأنَّ الخبر ليس كالمعاينة؛ ولم يدروا أنَّ أخبار الله ورسوله فوق مرتبة عيان الخلق، فكيف بالكشف الذي هو محلُّ اللبس؟!.

وقال الإمام الطَّحاويُّ[1] رحمه الله: «إنَّ العِلمَ عِلمَان: علمٌ في الخَلْقِ موجودٌ، وعلمٌ في الخَلقِ مفقودٌ، فإنكار العِلم الموجود كفرٌ، وادِّعاء العِلم المفقود كفرٌ، ولا يثبت الإيمان إلَّا بقَبُول العِلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود»[2]. انتهى.

أراد بالعلم المفقود: عِلْمَ القدر والغيب الذي طواه الله تعالى عن أنامه ونهاهم عن مَرَامِه، وأراد بالعلم الموجود: علم الشَّريعة، أصولها وفروعها، فمَنْ أنكر شيئاً ممَّا جاء به الرُّسل كان من الكافرين، وكذا من ادَّعى علم الغيب. انتهى.

وأيضاً قال شارح «عقيدة الطَّحاوي»[3]: «وهذا القول الذي هو ظاهر الفساد

---

[1] أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر (٢٣٩ - ٣٢١)هـ: الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتوفي بالقاهرة،وهو ابن أخت المزني، من تصانيفه: «شرح معاني الآثار»، و«مشكل الآثار»، و«أحكام القرآن»، و«معاني الآثار». انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي رقم ١٥، ١٥/ ٧٥، و«الأعلام» للزركلي ١/ ٢٠٦.

(٢) «العقيدة الطحاوية» صـ٩٤ـ.

(٣) «شرح الطحاوية في العقيدية السلفية» صـ٢١ ـ، للشيخ علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي (٧٣١ - ٧٩٢)هـ: كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، له =

قد قضى بقومٍ إلى القول بالحلول والاتِّحاد، وهو أقبح من كفر النَّصارى في الاعتقاد؛ فإنَّ النَّصارى خصُّوه بالمسيح من الكائنات، وهؤلاء عَمُّوا جميع الكائنات، ومن فروع هذا التَّوحيد عندهم - والعياذ بالله - أنَّ فرعونَ وقومه كاملو الإيمان، عارفون بالله تعالى على التَّحقيق والإيقان...

ومن فروعه: أنَّه لا فرق في التَّحريم والتَّحليل بين الأمِّ والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزِّنا والنِّكاح، فكلٌّ من عينٍ واحدةٍ، بل هو العين الواحدة.

ومن فروعه: أنَّ الأنبياء ضيَّقوا على النَّاس - تعالى اللهُ عمَّا يقول الظَّالمون عُلُوّاً كبيراً -». انتهى.

كأنَّه أشار إلى أقوالٍ دُسَّت على الشَّيخ محيي الدِّين من أنَّه قال في «الفصوص»: من ادَّعى الألوهيَّة فهو صادقٌ في دعواه، ومن أنَّه أباح المكث للجنب والحائض في المسجد، وأنَّه يقول بقدم العالم، ومن أنَّه قال: ضيَّق ابن أبي كبشة أمر الدُّنيا على الموحدين، وأنَّ فرعون خرج من الدُّنيا طاهراً مُطهَّراً[1]، كما نقل ذلك عماد الدِّين ابن كثير[2] بسنده عن العلامة تقيِّ الدِّين السُّبكيِّ[1] عن شيخ الإسلام ابن دقيق

=

كتب، منها: «التنبيه على مشكلات الهداية» فقه، و«النور اللامع فيما يعمل به في الجامع»، أي: جامع بني أمية. انظر: «الأعلام» للزركلي ٤/ ٣١٣.

(١) لقد دس هذا القول على الشيخ الأكبر في «الفصوص » الفص الموسوي صـ١٩٧-١٩٨ـ، وقال الإمام الشعراني في «اليواقيت والجواهر» صـ٣٣ـ مانصه: «ومن دعوى المنكر أنَّ الشيخ يقول بقَبُول إيمان فرعون، وذلك كذبٌ وافتراءٌ على الشيخ؛ فقد صرَّح الشَّيخ في الباب الثاني والستين من «الفتوحات» [١/ ٣٧٧] بأنَّ فرعون من أهل النَّار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين، و«الفتوحات» من أواخر مؤلَّفاته فإنَّه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين».

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين (٧٠١ - ٧٧٤)هـ: حافظٌ مؤرخٌ فقيهٌ، ولد في قريةٍ من أعمال بصرى الشَّام، وانتقل مع أخٍ له إلى دمشق =

العيد[2] القائل في آخر عمره: لي أربعون سنة ما تكلَّمت بكلمةٍ إلاَّ وأعددت لها جواباً بين يدي الله تعالى.

قال الإمام الجزري[3] رحمه الله بعد كلامٍ: وبالجملة، فالذي أقوله وأعتقده وسمعته مِـمَّن أثق به من شيوخي الذين هم حجَّةٌ بيني وبين الله تعالى: أنَّ من صحَّ عنه هذا الكلام وأمثاله ممَّا يخالف الشَّرع المطهَّر، وقاله وهو في عقله، ومات وهو معتقدٌ ظاهره، فهو أنجس من اليهود والنَّصارى؛ فإنَّهم لا يَستحِلُّون أن يقولوا ذلك، ولا يُلتَفَت إلى قول من قال: إنَّ هذا الكلام المخالف لظاهر المرام

=

سنة (٧٠٦)هـ، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، وتناقل النَّاس تصانيفه في حياته، من كتبه: «البداية والنهاية»، و«تفسير القرآن الكريم». انظر: «الأعلام» للزركلي ١/ ٣٢٠.

(١) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السُّبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين (٦٨٣ - ٧٥٦)هـ: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب «الطبقات»، ولد في سبك (من أعمال المنوفيه بمصر) وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام، وولي قضاء الشام سنة (٧٣٩)هـ، واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها، من كتبه: «السيف المسلول على من سب الرسول»، و«شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، و«الابتهاج في شرح المنهاج». انظر: «الأعلام» للزركلي ٤/ ٣٠٢.

(٢) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد (٦٢٥ - ٧٠٢)هـ: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، وهو محدث مجتهد، وولي قضاء الديار المصرية سنة (٦٩٥)هـ، فاستمر إلى أن توفي (بالقاهرة)، له تصانيف، منها: «إحكام الأحكام»، و«الإمام في شرح الإلمام»، و«شرح الأربعين حديثاً للنووي». انظر: «الأعلام» للزركلي ٦/ ٢٨٣.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري (٧٥١ – ٨٣٣)هـ: شيخ الإقراء في زمانه، ومن حفاظ الحديث، ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى مصر مراراً، ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها، ومات فيها، من كتبه: «النشر في القراءات العشر»، و«غاية النهاية في طبقات القراء»، و«ملخص تاريخ الإسلام». انظر: «الأعلام» للزركلي ٧/ ٤٥.

ينبغي أن يؤوَّل بما يوافق أحكام الإسلام؛ فإنَّه غلطٌ من قائله، وكيف يؤوَّل قولهم ؟!!

الـرَّبُّ حَـقٌّ وَالعَبْـدُ حَـقٌّ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الـمُكَلَّفْ

وقولهم: ما عرف الله إلَّا المعطِّلة والـمُجَسِّمة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١]، فهذا دليل المعطِّلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى]، دليل المجسِّمة.

وقولهم: ما عبد من عبد إلَّا الله؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقولهم في فرعون: قبضه الله تعالى طاهراً مُطهَّراً لم يقترف ذنباً، والله تعالى يقول: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾[القصص].

ثمَّ إنَّما يؤوَّل كلام المعصوم، ولو فُتِحَ بابُ تأويلِ كلِّ كلامٍ ظاهره الكفر لم يكن في الأرض كافرٌ. انتهى.

والحقُّ يقال: الذي عليه أهل الورع من علماء الدِّين أنَّه لا يُحْكَم على ابن عربي رحمه الله نفسه بشيءٍ؛ لأنَّا لسنا على يقينٍ من صدور مثل هذه الكلمات منه، ولا استمراره عليه إلى وفاته، ولكنَّا نحكم على مثل هذا الكلام بأنَّه كفرٌ.

[ردُّ القول بأنَّ الصُّوفيَّة اصطلحوا على ألفاظٍ مخالفةٍ للشَّرع أرادوا بها غير المعاني المتعارفة منها]

وقد تجرَّأ بعضهم فقال: هذه الكلمات من اصطلاحات الصُّوفيَّة، تواضعوا على ألفاظٍ وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها.

فأجاب بعض الفضلاء عن تلبيس هذا الـمُلَبِّس بقوله: إنْ أراد هذا المغفَّل بالصُّوفيَّةِ الصُّوفيَّة الحقيقيَّة المسلمين التَّابعين للكتاب والسُّنَّة، فزُورٌ وبهتانٌ؛ لأنَّهم إنَّما اصطلحوا على ألفاظٍ مطابقةٍ في تفسيرها لقواعد الإسلام وأحكام الشَّرع، غير مخالفةٍ لشيءٍ منها على ما هو في «البرهان المؤيد»، و«الرسالة القشيرية» ونحوهما.

وإن أراد بالصُّوفيَّة هؤلاء الملاحدة فإنَّنا قد اطَّلعنا على اصطلاحاتهم المخالفة لقواعد الإسلام، بل لقواعد جميع الملل والأديان، واختبرنا مذهبهم حقيقة الاختبار فكلُّه فاسدٌ، وإلى الوهم والخيال راجعٌ وعائدٌ، والسَّادة الصُّوفيَّة أهل المراتب العليَّة هم كما قال الشَّرف المقري[1] رحمه الله تعالى:

على الحقِّ كانوا ليسَ فيهم لِوَحْدَةٍ ولا لِـحُلُولِ الحقِّ ذِكرٌ لذاكرِ

ويا ليت شعري هل يجوز لأحدٍ أن يصطلح على ما يخالف الشَّرع واللُّغة ويوجب كفر صاحبه، ويصير سبباً لفتح باب الشَّر والفساد لسائر الملاحدة والزَّنادقة المبطلين؟ فويلٌ ثمَّ ويلٌ لـمن يدَّعي العِلمَ ويُظهِر الفضل فينخدع ويغتر بمثل هذه الشُّبهات الرَّكيكة الوهميَّة، والتَّلبيسات الإلحاديَّة الزِّنديقيَّة، ولم يُفَرِّق بينهما وبين الاصطلاحات الإسلاميَّة.

[هل الكلمات المخالفة للشريعة من قبيل المتشابه في الكتاب والسُّنَّة؟!]

وقال بعضهم: إنَّ كلامَهُم شبيهٌ بالمتشابه في الكتاب والسُّنَّة؛ مَنْ حَمَلَهُ على ظاهره كفر، وله معنى سوى المعنى المتعارف.

---

[1] إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن علي بن عطية الشغدري، الشاوري، الشرجي اليماني، ويعرف بابن المقري، شرف الدين، أبو محمد (٧٥٤ – ٨٣٧)هـ: فقيه، أديب، شاعر، مشارك في كثير من العلوم، من مصنفاته: «عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي»، و«مختصر الحاوي الصغير للقزويني وشرحه»، و«مختصر الروضة للنووي»، و«ديوان شعر». انظر: «الضوء اللامع» ١/ ٤٥٠، و«الأعلام» للزركلي ١/ ٣١٠.

وقال بعض العلماء في جوابه: بأنَّ المتشابه هو الكلام الذي فيه اشتباه الطَّرفين يشبه المردود بظاهره، ويَحْتَمِل المقبول بتأويلٍ مطابقٍ لظاهره، وهذا لا يَتَأَتَّى في أكثر اعتباراتهم، بل هي نصٌّ صريحٌ في أنَّ الحقَّ هو الوجود المطلق، وأنَّ العالم صورته وهويَّته.

وأيضاً: هل يجوز لأحدٍ غير الشَّارع أن يتكلَّم بكلماتٍ متشابهةٍ مخالفةٍ للشَّرع، ويداوم عليها، ويكتبها في الكتب، ويدوِّنها في الزُّبر[1]، ويُحَرِّض النَّاسَ على قَبولها والعمل بها؟ كلا، لا يجوز ذلك لغير الشَّارع ﷺ أبداً.

[هل الكلمات المخالفة للشَّريعة المطهَّرة من أمور القلب، وتصرف عن الحقيقة إلى المجاز؟!]

ولا تغترَّ - أيُّها المحبُّ - بقول من يقول: إنَّ هذه الكلمات من أمور القلب، فذلك جهلٌ أو عنادٌ؛ لأنَّ الألفاظ قوالب المعاني وموضوعةٌ لها، والمعاني إنَّما تؤخذ من الألفاظ، وإلَّا لَـمَا ثَبَتَ كفرُ أحدٍ ولا إيمانه، مع أنَّ العلماء والعقلاء اجتمعوا على أنَّ مذاهب الرِّجال تُعرَف من كلامهم في كتبهم، وإلَّا فَقَدْ فُقِدَ الأمنُ مِنْ كلِّ شيءٍ.

قال سعد الدِّين التَّفتازانيُّ رحمه الله تعالى: «صرف الكلام عن ظاهره وجواز تأويله وحمله على المجاز إنَّما يمكن إذا لم يصرح المتكلِّم بأنَّ مقصوده حقيقة الكلام، ولم يقم على إثباتها البرهان، فعند التَّصريح وإقامة الدَّليل على إثبات مفهومه الصَّريح، يصير محكماً في إفادة الحقيقة، غير قابلٍ للتَّأويل وحمله على المجاز، وذلك كتصريح الملاحدة الوجوديَّة بأنَّ الله تعالى هو الوجود المطلق، المنبسط في الظَّاهر، ثمَّ تلفيقهم المغالطة في صورة البرهان على إثباته، ثم تفريعهم

---

(١) الزِّبْر: بالكسر الكتاب، والجمع زُبُور كقِدْرٍ وقُدُور. «مختار الصحاح» مادة: (زبر).

عليه بأنَّ كلَّ من عَبَدَ الأصنام فقد عَبَدَ الله، وكلَّ من ادَّعى الألوهيَّة فهو صادقٌ في دعواه؛ فلذلك بعدما صار محكماً بالتَّصريح وإقامة الدَّليل لا يقبل التَّجوُّز والتَّأويل.

وبهذا يظهر لك بطلان ما يقوله الذَّابُّون عن هؤلاء الملاحدة أن ليس مراد الوجودية ما تفهمه العامَّة، بل لهم تأويلٌ لا يفهمه إلَّا الخاصَّة». انتهى.

وقولهم: لعلَّ له تأويلاً، عين الفساد في الدِّين أن يتكلَّم شخصٌ بكلامٍ هو كفرٌ وإلحادٌ في ملَّة الإسلام ويُرَغِّبُ فيه ويدعو إليه، ثم يقال: لعلَّ له تأويلاً عند أهل الباطن، وهل باطن دين الإسلام يخالف ظاهره؟ فإنْ قالوا: كلاهما حقٌّ، يقال لهم: هذا مخالفٌ لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس:٣٢]، وأيضاً مخالِفٌ لإجماع المسلمين أنَّ الحقَّ واحدٌ في الاعتقاديَّات التي يكفرُ مخالفُ الحقِّ فيها؛ ولهذا أجمع أهل زمان الحلاج(١) على قتله مع أنَّ كلامه أقرب إلى إمكان التَّأويل من كلام غيره.

---

(١) الحلاج هو أبو مغيث الحسين بن منصور من أهل البيضاء، وهي بلدٌ بفارسٍ، نشأ بواسط العراق ، وصحب الجنيد البغدادي وغيره، وقد اختلفت في أمره وكَثُر به القال والقيل في عصره، وذهب الشيوخ بعده في شأنه إلى مذاهب كثيرة: فمنهم من كفَّره، ومنهم من عظَّمه، ومنهم من اعتذر له وعذره، وشاع عنه وذاع وملأ الدَّفاتر والأسماع أنَّها كانت تصدر عنه ألفاظٌ يردُّها ظاهر الشَّرع، وينبو عنها السَّمع مثل قوله: أنا الحقُّ، وقوله: ما في الجبَّة إلا الله، وقد اعتذر له عن هذه الألفاظ ومثلها الإمام أبو حامد الغزالي في «مشكاة الأنوار»، وذكره القشيري في «رسالته» بين المشايخ الأخيار إلا أنَّه صرَّحَ بخطيئاته، ولَـمَّح بشبهاته.
وقد أفتى الإمام الجنيد البغدادي - قُدِّسَ سِرُّهُ ورضيَ اللهُ عنهُ - بقتله مع مَنْ أفتى.
وعدَّه جماعةٌ من القوم بين الأولياء كالشيخ عبد القادر الجيلاني وأبي العباس بن عطاء، ومحمد بن حنيف، وأبو القاسم النصراباذي، وأثنوا عليه، وصَحَّحوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين، حتَّى إنَّ الشَّيخ عبد القادر ﷺ ذكر أنَّه عارفٌ، وقال: لو كنتُ في زمنه لأخذْتُ بيده، وقال محمد بن حنيف: الحسين بن منصور عالِمٌ ربَّانيٌّ، والإمام الرِّفاعيُّ من الَّذين يقولون بولايته، ويعتقدون خطأه، وقد صرَّح في كتابه «البرهان» بذلك ما نصُّه: «ينقلون عن الحلاَّج أنَّه =

[صدور كلمة أو كلمتين حال السُّكر والشَّطح قد يمكن، لا تأليف كتابٍ وتأسيس قواعد]

وقولهم: صدور ذلك عنهم يكون في حال السُّكر والغَيْبَةِ، وهم غير مؤاخذين؛ لأنَّهم غير مكلَّفين في ذلك الحال.

والجواب: قد تقرَّر أنَّ صدور مثل كلمةٍ أو كلمتين أو نحو ذلك حال السُّكر والشَّطح قد يمكن، لا تأليف كتابٍ وتأسيس قواعد، وتفريع فروعٍ مبنيَّةٍ عليها، وترتيب مقدماتٍ وبراهين بزعمهم، كتأسيس أنَّ الحقَّ سبحانه هو الوجود المطلق الظَّاهر في صورة الموجودات، وأنَّ الموجودات عَيْنُهُ وهويَّتُهُ، ثمَّ تفريع أنَّ من عَبَدَ شيئاً فإنَّما عَبَدَ الله، فأيُّ مسلمٍ يحل له أن يسمع مثل هذا ثمَّ يقول لعلَّ له تأويلاً، أو لعلَّه قاله القائل حال سكره، أو أن يعتقد أنَّ القوم أهل الله يقولون أو يعتقدون مثل هذا الكلام وحاشاهم، بل هم مبرَّؤون من كلِّ ذلك، وقائل ذلك هالكٌ.

[عدم التَّكليف بما وراء طور العقل]

فالحاصل: أنَّ القائلين بالوحدة المطلقة لهم اعتقادٌ خارجٌ عن الشَّرع والعقل، وهم مصرِّحون بذلك ويقولون: إنَّ متابعة العقل حجابٌ، وكذلك العلم

=

قال: أنا الحقُّ ! أخطأ بوهمه، لو كان على الحقِّ ما قال: أنا الحقُّ. يذكرون له شعراً يُوهم الوَحدة، كلُّ ذلك ومثله باطلٌ، ما أراه رجلاً واصلاً أبداً ...» إلى آخر ما قال.

ومن المعلوم أنَّ علماء بغداد أجمعوا على قتله وصلبه، وكتب القاضي بإباحة دمه، ورُفِعت الفتاوى إلى الخليفة، فأذن في قتله فقتل ببغداد بباب الطاق يوم الثلاثاء، وأُحْرق بالنَّار، وأُلقي رماده في الدِّجلة، ونُصِب الرأس ببغداد، وأُرسل إلى خراسان ليراه أصحابه الَّذين افْتُتِنُوا به، وكان قتله في سنة تسع وثلاثمائة، وقد ظهرت على يديه الكرامات العديدة، فالَّذي اعْتَقَدَهُ: قال بكرامته، ومن لم يعتقده: قال إنَّ الَّذي ظهر منه سحرٌ وشعبذةٌ. انظر: «قلائد الزبرجد» للسيد أبي الهدى صـ٢٥٠ ـ، و«الطبقات الكبرى» للشعراني رقم ٢١٠، صـ ١٦١ ـ، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/ ١٤٠.

الاستدلاليُّ، وإنَّما يُنال العلم الذي يدَّعونه بالذَّوق لا بتقليد الأنبياء، ولا ببراهين الحكماء، يريد بذلك قائلهم: أنَّ نظر العقل قاصرٌ عن إدراك الأمور كما هو حقُّها، فكذلك الأخبار أيضاً قاصرةٌ عنه؛ لأنَّه لا يمكن الوصول إليها إلَّا بالذَّوق لا بالوحي، فلذلك أَلسِنَة الأنبياء والرُّسل قاصرةٌ عنها، فلم يبقَ العلمُ الكامل والإدراك التَّامُّ إلَّا في التَّجلِّي والكشف! فهذا إنكارٌ لجميع الشَّرائع وصريحٌ في عدم قبولها، كما قال الكثير من الوجوديَّة: كُمَّلُ الأولياءِ يأخذون العِلمَ من المعدن الذي أخذ منه الأنبياء والرُّسل من ذلك المعدن، فالعِلمُ الذي أُخِذَ بواسطة الرُّواة والأسانيد ليس بعِلمٍ! وهذا الضَّلالُ البعيد، والعصيان الذي ما عليه من مزيد.

وقَدَحَ بعضُ الفضلاءِ أنَّ هذه الضَّلالةَ المستحيلة في العقول سرت في جماعةٍ من المسلمين نشئوا في الابتداء على الزُّهد والخلوة والعبادة، فلَمَّا حصلوا من ذلك على شيءٍ، صَفَت أرواحُهم، وانكشفت لهم ما كانت الشَّواغلُ الشَّهوانيَّة مانعةً من انكشافه، وقد طرق أسماعهم من خُرافات رهبان النَّصارى أنَّه إذا حلَّ روح القدس في شيءٍ نطق بالحكمة، وظهر له أسرار ما في هذا العالم مع تَشَوُّق النُّفوس إلى المقاصد العليَّة، فذهبوا إلى هذه المقالة السَّخيفة، فمنهم من صرحَّ بالاتِّحاد على المعنى الذي قالته الرُّهبان وزادوا عليهم ولم يقتصروه على المسيح كما ذهبت إليه غلاة الرَّوافض في سيِّدنا الإمام عليٍّ - رضي الله تعالى عنه - من الحلول، ولهم في ذلك كلماتٌ يعسر تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم، بل منها ما لا يقبل التَّأويل، ولهم في التَّأويل خلطٌ وخبطٌ كلَّما أرادوا أن يقربوا من المعقول ازدادوا بعداً، حتَّى إنَّهم استنبطوا قضيَّةً حلَّت لهم الرَّاحة، وقنعوا في مغالطة الضَّرورة بالمغيب وهي أنَّ ما هم فيه يزعمونه وراء طور العقل، وأنَّه يُفهم بالوجدان، ولا يقدر على الإيضاح به اللِّسان، والحال أنَّ التَّكليف في أمر الدِّين لم يجئ إلاَّ بمقدار الوسع، والوسع: هو الوسع العقلي لا غير، والله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا

﴿إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾[البقرة:٢٨٦]؛ أي: طاقتها ووسع عقلها، والنَّبيُّ ﷺ لم يمتحن الأمَّة بما تعيى به العقول.

فعلى هذا؛ ما كان وراء طَور العقل لم يكن من الدِّين، وهذه أحكام الدِّين التي يجب اعتقادها دائرةٌ على محور العقل، ولا يضرُّ بعض الأحكام عدم وصول بعض العقول لفهمها ولحقائق أسرار الشَّرع فيها، بل الغاية من هذا المعنى أنَّ العقول الكاملة - أعني: عقلاء العلماء العاملين، وأهل العرفان واليقين - محيطةٌ بفهم حقائق الأحكام المُعتقَدة.

ولذلك قال شيخنا شيخ مشايخ الإسلام القطب الغوث الأكبر الإمام السَّيِّد أحمد الرِّفاعيُّ رضي الله عنه وعنَّا به: **كلُّ دينٍ لم يُحِطْ بالعقل فليسَ بدينٍ، وكلُّ عقلٍ لم يُحِطْ بالدِّين فليس بعقلٍ**؛ أي: ليس بعقلٍ كاملٍ.

وقد أوردنا في هذا المقصد كلمات العلماء الأعلام احتجاجاً على قواصر الأفهام؛ كيلا يزعم أحدهم أنَّ قولنا محض انتصارٍ لمذهبنا في طريقتنا العليَّة الرِّفاعيَّة بالرَّدِّ على الوجوديَّة.

ومن كلام علماء الدِّين ﷺ تَعْلَم - أيُّها المحبُّ - صحَّة مذهب السَّادة الرِّفاعيَّة أنصار السُّنَّة السَّنِيَّة، فتمسَّك بهديهم، وسِرْ بطريقهم، وخذ بقولهم، ودع شَقَاشِق[١] أهل الوحدة المطلقة؛ فإنَّها عينُ الزَّندقة، ولا تُفْرِط ولا تُفَرِّط، وبرِّئِ القوم الذين اشتهروا بالصَّلاح والعِرفان من نسبة الأقوال المكفرة إليهم وحملها

---

(١) الشِّقْشِقةُ: لَهاةُ البعير ولا تكون إلا للعربيّ من الإبل، وقيل: هو شيء كالرِّئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج والجمع الشَّقاشِقُ، ومنه سُمّي الخطباء شَقاشِقَ، شَبَّهوا المِكْثار بالبعير الكثير الهَدْرِ، وفي حديث عليٍّ رضي الله عنه: إنَّ كثيراً من الخُطَبِ من شقاشِق الشيطان؛ فجعل للشيطان شَقاشِقَ، ونسبَ الخطبَ إليه لِما يدخل فيها من الكذب، قال أَبو منصور: شبّه الذي يَتَفَيْهَقُ في كلامه ويَسْرُده سَرْداً لا يبالي ما قال من صِدْقٍ أو كذب بالشيطان. «لسان العرب» مادة: (شقق).

عليهم، وقل بدسِّها في كتبهم وعلى ألسنتهم؛ فقد وضع الوضَّاعون على لسان الشَّارع المأمون ﷺ، وتَحقَّقْ بظاهر الشَّرع الشَّريف، واعمل به اتِّباعاً للعلماء العاملين أكابر الدِّين، ودع ما يَرِيْبُك إلى ما لا يريبك، وقِفْ مع السُّنَّة، وتباعد عن الفتنة، واهجر المارقين والضَّالِّين، واندمج في الصَّالحين الصَّادقين، وإنَّ الله لـمع الـمتَّقين.

مرحلة الشُّكر

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[إبراهيم]، وقال ﷻ: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[النساء:١٤٧]، وقال تبارك وتقدَّس: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[البقرة:١٥٢].

وقال النبي ﷺ: «**الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ**»[1]، وقال ابن مسعود ﵁: الشُّكر نصفُ الإيمان.

[شكر القلب]

قال شيخ الإسلام مولانا الإمام السَّيِّد سراج الدِّين الرِّفاعيُّ ثمَّ المخزوميُّ ﵁: الشُّكر معرفة العبد أنَّ النِّعم من المولى وحده لا شريك له فيها، ولا ظهير له عليها؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَا مَسَّتْ عَبْدَاً نِعْمَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا مِنَ اللهِ إِلَّا كُتِبَ لَهُ شُكْرُهَا وإِنْ لَـمْ يَـحْمَدْ**»[2].

قلت: ومن المعلوم أنَّ الأسباب مع ثبوتها والوسائط مع صحَّتها وعدم القول بجحودها فهي من آثار حِكْمَةِ الـمُنعِم الحقيقي وأحكامه؛ وسِرُّ العطاء وأثر

---

(١) رواه عن أبي هريرة ﵁: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٧٧٩٣، والإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٣٨)، باب (٤٣) رقم ٢٤٨٦، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الصيام (٧)، باب فيمن قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر (٥٥) رقم ١٧٦٤، وابن حبان في «صحيحه»: كتاب البر والإحسان (٦) رقم ٣١٥.

(٢) رواه عن السيدة عائشة رضي الله عنها: الحاكم في «المستدرك»: كتاب الدعاء والتكبير... (١٧) رقم ١٨٩٤، وقال: هذا حديث لا أعلم في إسناده أحداً ذكر بجرح، والطبراني في «الأوسط» رقم ٢٦٧٦، والبيهقي في «الشعب» رقم ٤٣٧٩.

المعطي سبحانه ظاهران دالّان على جلالة قدسه سبحانه، فمِنْ أدب الحقِّ: شهودُ سِرِّ الـمُنعِم في النِّعمة، وشأن الـمُعطي الحقيقي عند كلِّ عطاءٍ؛ ليرى العبد النِّعمة عنده منه والعطاء عنه، وهذا شكر العارفين والصِّدِّيقين وهو شكر القلب.

[شكر اللِّسان]

وأمَّا شكر اللِّسان: فهو حُسْنُ الثَّناء على الله والحمد لله، وإظهار نعمته وإحسانه بالقول، جاء في الخبر أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لرجلٍ: «**كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟**»، فَقَالَ: بِخَيرٍ، فَأَعَادَ النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام السُّؤَالَ ثَانِيَةً: «**كَيْفَ أَنْتَ؟**»، فَقَالَ: بِخَيرٍ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الثَّالِثَةَ: «**كَيْفَ أَنْتَ؟**»، فَقَالَ: بِخَيرٍ، أَحْمَدُ اللهَ وَأَشْكُرُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَذَا الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ**»[1]؛ يعني: إظهار الحمد والشُّكر والثَّناء.

وكان السَّلف يتساءلون عن أحوالهم إذا التقَوا لِيَبُثَّ كلٌّ منهم الحمد والشُّكر، فيكونوا شركاء الحامد والشَّاكر في حمده وشكره.

[الشُّكر على المنع]

ومن الشُّكر: شكره سبحانه على مَنْعِهِ؛ إيماناً بحكمته، وأنَّه لا يريد لعبده إلَّا الخير، ولا بدع؛ فالقليل من الحبيب كثيرٌ، ومَنْعُهُ: حكمةٌ تَؤُوْلُ إلى خيرٍ في الدُّنيا أو إلى خيرٍ في الآخرة، أو إلى جمعٍ بين الخيرين.

فمن المنع تعيَّن العطاء بعدُ، فصار المنع عطاءً، واليسير كثيراً، وذُلُّ العبد إلى الله حالة المنع عِزٌّ له وشرفٌ؛ إذ العبد الخالص الموقن الـمُوَفَّق يشكر في القبض والمنع

(١) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ٤/ ١٠٦: وقال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني في «الدعاء» [رقم ١٩٣٩] من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعاً نحوه، قال في الثالثة: أحمد الله، وهذا معضلٌ، ورواه في «المعجم الكبير» من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السُّؤال وقال: أحمد الله إليك، وفيه راشد بن سعد ضعَّفه الجمهور لسوء حفظه، ورواه مالك في «الموطأ» [كتاب السَّلام (٥٣)، باب جامع السَّلام (٣) رقم ٥] موقوفاً على عمر رضي الله عنه بإسنادٍ صحيحٍ.

كما يشكر في البسط والعطاء.

ومن الشُّكر: أنْ لا يُظهِرَ فاقَتَه وفَقْرَه واحتياجه إلى غير مولاه الذي يعطيه ويكفيه ويلي تدبيره ويتولاَّه، وهو الخبير بحاله يسمعه ويراه، وهو أعلم بما يصلحه منه، ومن الإشارة الصَّريحة لهذه الحكمة الصَّحيحة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الشورى:٢٧].

ومن الشُّكر: أن لا يستعين العبد على معصيته تعالى بنعمه.

ومن الشُّكر: حمده تعالى على كلِّ حالٍ موقناً العبد بفضل فوائد المَكارِه والبلاء على فوائد المسرَّات والآلاء، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ القِيَامَةِ: لِيَقُمِ الـحَمَّادُوْنَ، فَيَقُوْمُ زُمْرَةٌ، فَيُنْصَبُ لَهُم لِوَاءٌ فَيَدْخُلُوْنَ الجَنَّةِ**»، قِيْلَ: فَمَنِ الـحَمَّادُوْنَ؟ قَالَ: «**الَّذِيْنَ يَشْكُرُوْنَ اللهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ**»، وفي روايةٍ أخرى: «**الَّذِيْنَ يَشْكُرُوْنَ اللهَ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**»(١).

وحقيقة الشُّكر: العبادة الخالصة للمعبود، والذِّكر بالإيقان دون جحودٍ، وقد قام ﷺ حتَّى تورَّمت قدماه فقيل له: لِـمَ تَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلا أَكُوْنُ عَبْدَاً شَكُوْرَاً**»(٢).

[من آداب الشُّكر]

وللشُّكر آدابٌ كثيرةٌ: أدناها أن ينظر العبد إلى مَنْ دونه في الدُّنيا، فَيُعَظِّم نعمة الله في دنياه عليه، وأن يَنْظُر إلى من هو فوقَهُ في أمر الآخرة فيزداد عبادةً وذكراً لله

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» ٤/ ١٠٢: وقال الحافظ العراقي: أخرجه الطبراني [في «الكبير» رقم ١٢٣٤٥]، وأبو نعيم في «الحلية» [٢/ ٢٩٢]، والبيهقي في «الشعب» [رقم ٤٤٨٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «**أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْـجَنَّةِ الْـحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**»، وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور.

(٢) مرَّ تخريجه صـ ٣٣.

تعالى[1].

ومن آداب الشُّكر: أن يمقت العبدُ نفسَه ويزدري[2] بها لعدم انتهاضها في محبَّة الله وطاعته وجليل خدمته كلَّ الانتهاض، كالموفَّقين الذين عَرَفُوا بالذَّوق السَّليم فقدان المستعارات، وماتوا قبل الموت، فَكُشِفَ لهم الغطاء، وأعرضوا عن بضائع الفناء، وأخذوا بتجارة البقاء، واعترفوا بتقصيرهم عن شكره ﷻ، فتواضعوا له، وذلُّوا لعظمته، وخضعوا لسلطانه.

ومن الشُّكر: شكرُ الخلق على ما يبديه الله من الخير والبِرّ على أيديهم قَلَّ أو كَثُرَ؛ فإنَّ من لم يَشكُرِ النَّاسَ لم يشكرِ اللهَ[3]؛ ويجب الشُّكر للنَّاس ولو على البشاشة والبِشْرِ، وفي الخبر الشَّريف: «**كُفْرَانُ النِّعْمَةِ كُفْرٌ**»[4].

ومن الشُّكر: الشُّكر على العافية والسَّلامة والأمن وراحة القلب والبدن.

ومنه: الشُّكر على جمع الحال، وصلاح الأهل والعيال، وحسن أخلاق الجيران

---

(١) روى الإمام ابن حبان في «صحيحه»: كتاب البر والإحسان (٧) رقم ٣٦١، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**انْظُرْ إِلَى مَنْ تَحْتَكَ وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللهِ عِنْدَكَ**».

(٢) الازْدِراء: الاحْتِقارُ والانْتِقاصُ والعَيْبُ. «لسان العرب» مادة: (زري).

(٣) روى الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب البر والصلة (٢٨)، باب ما جاء في الشكر... (٣٥) رقم ١٩٥٤، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لا يَشْكُرِ النَّاسَ لا يَشْكُرِ اللهَ**».

(٤) رواه عن طلحة رضي الله عنه بلفظ: «**مَنْ أُولِيَ مَعْرُوفًا فَلْيَذْكُرْهُ، فَمَنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ**»: الطبراني في «الكبير» رقم ٢١١، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» رقم ٨٣٦، وقال: إسناده حسن.

ورواه عن جابر رضي الله عنه بلفظ: «**مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ ...**»: الإمام الترمذي في «الجامع»: كتاب البر والصلة (٢٨)، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه (٨٧) رقم ٢٠٣٤.

والخدام، وصفاء طوايا الأصدقاء والخلان.

ومنه: الشُّكر على الانخراط بسلك الأحباب الصَّالحين، ومرافقة العلماء العاملين، والأصحاب الزَّاهدين، وأهل المعرفة واليقين، والبُعد عن المبتدعين.

[الشُّكر على سلامة العقيدة، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى امتنَّ على الطّائفة الرّفاعيّة بسلامة العقيدة]

ومنه: الشُّكرُ على سلامة العقيدة من الزَّيغ والضَّلالة والتَّحقُّق بالاعتقاد السَّليم الذي أَمَرَنا به صاحبُ الرِّسالة ﷺ.

وقد امتنَّ الله تعالى على أهل الطَّائفة الرِّفاعيَّة الزَّكيَّة بسلامة العقيدة، فاتَّبعوا أثر شيخهم سيِّد الطَّوائف، قدوة أهل الأذواق والمعارف، بحر الحقائق واللَّطائف، مولانا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله عنه وعنَّا به؛ فَطَهُرَتْ سرائِرُهم، وأشرقت بنور الحقِّ بصائِرُهم، وذهب على هذا المنهاج المبارك غائِبُهم وحاضرهم.

قالوا بالتَّوحيد الذي لا يُشاب بشركٍ، والإفراد الذي لا يخامره شكٌّ، طريقتهم إفراد القدم عن الحَدَث، وتنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته، وحراسة جانب التَّوحيد وصحَّة العقيدة على ما كان عليه السَّلف الصَّالح، مع التَّبرِّي من الزَّيغ والبدعة، وكلِّ ما يخالف صريح السُّنَّة.

وأعمالهم الشَّريفة طاهرةٌ، وأسرارهم في طريق الحقِّ طيِّبةٌ وباهرةٌ، قامت أحوالهم على شؤونٍ لها معانٍ يعرفها العارفون، ولم تبتعد عن الحال الشَّريف المحمَّديِّ طرفة عينٍ، ولم يُدخلوا أحداً في البين، انقطعوا إلى الله عن سواه، وقالوا في جميع أطوارهم: لا إله إلا الله.

قال شيخ مشايخ الإسلام، مولانا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيُّ رضي الله عنه وعنَّا به:

طريقنا طريق شيخنا الجنيد أبي محمَّدٍ[1] ﷺ وهو: إفراد القِدَم عن الحدث، وتنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته عن سِمات الحدوث، والأخذ بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وآله الهداة المرضيُّون رضي الله عنهم أجمعين، لا نُحرِّف في المعتقدات ولا نُبدِّل، هذا طريق أهل الحقِّ، وإنَّما إثمه على الذين يُبَدِّلونه، ومن بَدَّل فقد زلَّ وضلَّ، ولا يكون المُحرِّف وجيه الوجه عند الله تعالى، والله ولي المتقين. انتهى.

ويعجبني كلمات لسيِّدنا الإمام الجدِّ الأمجد السَّيِّد سراج الدِّين الرِّفاعيِّ المخزوميِّ ﷺ أشار بِهِنَّ إلى الطَّريقة العَلِيَّة الرِّفاعيَّة، فقال:

طَرِيْقَـةُ الغَـوْثِ الكَبِـيْرِ الأَمْجَـد ... أَحْمَدَ نَسْلِ الـمُصْطَفَى رَبِّ اليَـدِ

طَرِيْقَــةُ السُّــنَّةِ وَالكِتَــابِ ... وَالآلِ أَهْـلِ الحَـقِّ وَالأَصْـحَابِ

طَرِيْقَـةُ الخُشُـوْعِ وَالخُضُـوْعِ ... وَالـذُّلِّ بِـالإِخْلاصِ للدُّمُـوْعِ

طَرِيْقَــةُ القُـرْآنِ وَالشَّرِيْعَـةِ ... وَإِنَّهَــا لَنِعْمَــتِ الذَّرِيْعَــةِ

طَرِيْقَــةُ المَعَــارِفِ الجَزِيْلَــةِ ... وَالصِّـدْقِ وَالخَصَـائِلِ الجَمِيْلَـةِ

---

(١) الإمام الجنيد أبو القاسم بن محمد بن الجنيد، النهاوندي الأصل، البغدادي القواريري الخزاز ﷺ، قيل: إنَّ أباه كان قواريرياً – يعني: زجَّاجاً –، وكان هو خزَّازاً، وكان شيخ العارفين وقدوة السَّالكين وعلم الأولياء في زمانه، ولد ببغداد بعد العشرين ومائتين، وتفقَّه على أبي ثور، واختصَّ بصحبة السَّري السَّقطي والحارث المحاسبي وأبي حمزة البغدادي، وعدَّه العلماء شيخ مذهب الصوفيَّة؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسُّنَّة، ولكونه مصوناً من العقائد الذَّميمة، محميَّ الأساس من شبه الغُلاة، سالماً من كلِّ ما يوجب اعتراض الشَّرع، وكان يفتي وله عشرون سنة، وقيل كان على مذهب سفيان الثَّوري وقيل على مذهب أبي ثور صاحب الشافعي ﷺ، وتوفي سنة (٢٩٨)هـ، ودفن عند قبر خاله سري السقطي، له: «رسائل» منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد، والغناء، ومسائل أخرى، وله: «دواء الأرواح» رسالة صغيرة. انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي صـ٥٥، و«الأعلام» للزركلي ٢/ ١٤١.

طَرِيْقَـةُ القَـوْلِ بِـرَدِّ الشَّـطْح وَالأَخْذِ مَا بَيْنَ الوَرَى بِالنُّصْح
طَرِيْقَـةُ البُعْـدِ عَـنِ الإِلحَـاد مثـل حلـولٍ سـاءَ وَاتِّحَـادِ
طَرِيْقَـةُ الهُـدَى وَصِدْقِ الحَـال وَالزُّهْـدِ قَلْبَـاً وَاحْتِقَـارِ المَـالِ
طَرِيْقَـةُ النَّفْـعِ لِكُـلِّ النَّـاسِ بِـلا رِيَـاءٍ وَبِـلا وُسْـوَاسِ
طَرِيْقَـةٌ يُحِبُّهَـا الرَّسُـوْلُ وَتَرْتَضِـيْهَا البَضْـعَةُ البَتُـوْل
طَرِيْقَـةٌ مُوْصِلـةٌ لله قَـالَ بِـذَا جَمِيْـعُ أَهْـلِ الله

قلت: قال إمام الطَّريق سيِّدنا الغوث الأكبر الرِّفاعيُّ: أقرب النَّاس إلى الزَّندقة المتصوِّفة المشغولون عن العبادات بالخوض في الكلام على الذَّات والصِّفات، اللَّهمَّ إيماناً كإيمان العجائز.

وقال ﷺ: قل لمدَّعي الوَحْدة المطلقة: أنت محوز عن غيرك بجهتك ومكانك، وهو منزَّهٌ عن الجهة والمكان، وأنت محاطٌ بثوبك، وهو بكلِّ شيءٍ محيطٌ، وأنت مُسوَّر بالعجز في كلِّ شيءٍ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ فَكَذِّبْ وهمك كما كذَّبك وجودك؛ لتدخل في عِداد المؤمنين الصَّادقين، فكلُّ ما يطرأ عليه الحدث من جانبٍ فهو حادثٌ، فاتَّقِ اللهَ ونزِّه ربَّك؛ فإنَّ التَّوحيد إفرادُ القِدَم عن الحَدَث. انتهى.

[خلاصة العقيدة عند السَّادة الرِّفاعيَّة التي لا بدَّ منها ولا غنى عنها]

فالطَّائفة الرِّفاعيَّة دأبها صرف الهمَّة لحراسة جانب التَّوحيد مع سلامة العقيدة وطهارتها من وصمة الزَّيغ والانحراف عن طريق السُّنَّة، وسألخِّص لك خلاصة ما هم عليه في العقيدة التي لا بدَّ منها، ولا غنى عنها.

يقول رجال هذه الطَّائفة رضي الله تعالى عنهم:

الحمد لله، نؤمن بالله، ونشهد أنَّه لا شريك له، لا في السَّماء ولا في الأرض، تنزَّه وتقدَّس عن أن يشاركه فيهما أحدٌ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢].

ونؤمن بما جاء به عن الله الأنبياءُ والمرسلون، وننزِّهه في ذاته وصفاته عن النَّظير في الدُّنيا والآخرة ونقدِّسه عن الجهات ومجانسة الحادثات.

ونؤمن بكتابه كلِّه بأنَّه من عنده، أنزله على عبده، ونَرُدُّ تفصيل علم تأويله إليه، وننزِّهه عمَّا دلَّ عليه ظاهره، ونفوِّض المعنى المراد منه إليه تعالى وتقدَّس.

ونؤمن بنبيِّه المصطفى ﷺ، ونشهد بأنَّه رسولُ الله، وأفضل المرسلين، والرَّحمة العامَّة للعالمين، ونؤمن بإسرائه عليه الصَّلاة والسَّلام إلى السَّموات العُلا بالرُّوح والجسم، ونؤمن بأنَّه رأى ربَّه بعين بصره وبصيرته، دنى فتدلَّى فكان قاب قوسين أو أدنى، وأنَّه ﷺ محمَّد بنُ عبد الله بنِ عبد المطَّلب بن هاشم، قرشيٌّ عربيٌّ، بَشَرٌ فضَّلهُ الله على خلقه كلِّهم، واختاره لجنابه واصطفاه لذاته، وأعطاه الوسيلة الكبرى، والشَّفاعة العظمى، وقدَّمَه على النَّبيِّين والمرسلين في الآخرة والأولى.

ونعتقد أنَّه هو وإخوانه النَّبيُّون والمرسلون معصومون عن الكبائر مطلقاً، ونبوَّته عليه الصَّلاة والسَّلام باقيةٌ، وشريعته ناسخةٌ، وأبواه في الجنَّة.

قال القطب الغوث العارف الشَّريف، شيخنا وسيِّدنا، السَّيِّد محيي الدِّين أحمد أبو العبَّاس ابن الرِّفاعيِّ رضي الله عنه ونفعنا والمسلمين بعلومه وبركاته: أَجْمَعَ أولياءُ الله العارفون به واتَّفقوا على أنَّ أبوي النَّبيِّ ﷺ في الجنَّة، ولهما عند الله المنزلة الرَّفيعة، والرُّتبة الشَّريفة، وهما رضي الله عنهما من أهل الإيمان، ولا يشكُّ في ذلك إلَّا من اسودَّ قلبُه، وساء مع نبيِّه الكريم أدبُه، وكذلك آباءُ الأنبياءِ والمرسلين وأمَّهاتهم، فكلُّهم من أهل الإيمان، ونبيُّنا ﷺ عمود نسبه الشَّريف من آبائه وأمهاته الطَّاهرين من أبيه السَّيِّد عبد الله الأنور وأمِّه السَّيِّدة آمنة الطَّاهرة إلى سيِّدنا أبي البشر آدم وأمِّ البشر حواء عليهم السَّلام كلُّهم مؤمنون موحِّدون، تسلسل فيهم الخير والبركة والإيمان والتَّوحيد ونكاح الإسلام، وحَفِظَهُمُ اللهُ من سفاح الجاهلية ومن عبادة الأصنام والشِّرك، واتَّفقت كلمة القوم على أنَّ من

خالف هذا القول يكون مؤذياً لرسول الله ﷺ، مفارِقاً طريق الصَّواب.

الـخَيـــرُ في الهـــادِي وَفِي آبَائِـــهِ ... وَأُمَّهَاتِـــهِ الخِيَـــارِ الـــبَرَرَه

عِصَابَـــةٌ مِـــنْ كُـــلِّ شِرْكٍ وَخَنَـا ... مَصُـــونَةٌ محفوظَـــةٌ مُطَهَّـــرَه

جـاءَ بِـذَا الكِتَـابُ وَالسُّـنَّةُ والـ ... أَخْبَـــارُ وَالرِّوَايَـــةُ الـــمُعْتَبَرَه

وَمَـــنْ يَـرَى تَنْقِيْصَـــهُم عَقِيْـدَةً ... فَهُـو مِـنَ القَـوم اللِّئَـام الفَجَـرَه

الأَنْبِيَـــاءُ عَرَفَـــتْ إِعْظَـــامَهُم ... وَالأَوْلِيَـــاءُ وَالكِـــرَامُ السَّـــفَرَه

انتهى.

ويقولون: نعتقد أنَّ الله تعالى أرسلَ قَبْلَ رسولِه ونبيِّه المصطفى رسلاً: أوَّلهم آدم عليه السلام، وخاتمهم محمَّدٌ ﷺ، وكلُّهم جاؤوا بالحقِّ، وتكلَّموا بالصِّدق، وبلَّغوا الرِّسالة، وصَدَقُوا فيما بَلَّغُوا عن ربِّهم عز وجل، وكلُّ ما أُنزل عليهم من الكتب والصُّحف حقٌّ، وأنَّ المعراج حقٌّ، وأنَّ الصَّالحين مع علوِّ منزلتهم وقربهم من ربِّهم لا يسقط عنهم شيءٌ من الفرائض الواجبات من الصَّلاة والزَّكاة والحجِّ والصِّيام وغير ذلك، ومَنْ زعم أنَّه صار وليّاً وسقط عنه الفرائض فقد كفر، وأنَّ الوليَّ كبقلةٍ تحت شجرة النُّبوَّة، وأنَّ عذاب القبر حقٌّ، وأنَّ مُنكراً ونكيراً حقٌّ، وأنَّ سؤالهما حقٌّ، وأنَّ البعث حقٌّ، والعرض حقٌّ، والحساب حقٌّ، وأنَّ الجنَّة ونعيمها حقٌّ، والنَّار وعذابها حقٌّ، وأهل الجنَّة يرون ربَّهم بعينهم من غير إدراكٍ ولا إحاطةٍ ولا كيفيَّةٍ ولا مقابلةٍ ولا على مكانٍ ولا في جهةٍ، وأنَّ قراءة الكتب حقٌّ، يؤتى المؤمن كتابه بيمينه والكافر بشماله، والميزان حقٌّ، والصِّراط حقٌّ، وحوض الكوثر حقٌّ، والشَّفاعة للنَّبيِّ ﷺ حقٌّ، وشفاعة المؤمنين حقٌّ.

ومحبَّة أصحاب رسول الله ﷺ على العموم حقٌّ، وكلُّهم على هدى، وأنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ وخليفته، وخلافته حقٌّ، وبعده خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حقٌّ، وبعده خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حقٌّ، وبعده خلافة عليِّ بن

أبي طالبٍ كرم الله وجهه ورضي الله عنه حقٌّ.

وأفضل الخلق بعد نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ: أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، ثم عمر ثم عثمان ثم عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين.

وأنَّ الأولياء حقٌّ، ذَكَرَهم الله في كتابه الـمُنَزَّل على نبيِّه المرسَل ﷺ، نؤمن بإكرام الله تعالى لهم، ونعتقد صدور الكرامة عنهم أحياءً أمواتاً نفعنا الله بهم أجمعين.

وخُلاصة أقوال السَّادة الرِّفاعيَّة في معرفة قدر النَّبيِّ ﷺ: هي تعظيمه وتوقيره، واتِّباع أمره، والفناء في محبَّته، والتَّوسل به إلى الله تعالى، والعمل بما كان عليه هو وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

قال صاحب الطَّريقة سيِّدنا الغوث الأكبر الرِّفاعيُّ رضي الله عنه: اطلبوا الله بمتابعة رسول الله ﷺ، إيَّاكم وسلوكَ طريق الله بالنَّفس والهوى؛ فمن سلك الطَّريق بنفسه ضلَّ في أوَّل قدمٍ.

أي سادة، عظِّموا شأن نبيِّكم، هو البرزخ الوسط الفارق بين الخَلق والحقِّ، من اتَّصل به اتَّصل، ومن انفصل عنه انفصل، قال عليه صلوات الله وتسليماته: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِـمَا جِئْتُ بِهِ**»[1].

---

(١) ذكره الإمام النووي في «الأربعين» رقم ٤١ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ رويناه في كتاب «الحجة» بإسنادٍ صحيحٍ، وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» صـ٥٢٥ـ: يريد بصاحب «كتاب الحجة» الشَّيخَ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشَّافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب «الحجة على تاركي المحجة»... ثم إنَّ الحافظ ابن رجب ضعَّفه، وبيَّن وجوه تضعيفه، وأمَّا الحافظ ابن حجر فقد أشار في «الفتح» ١٣/ ٣٤٥ إلى ثبوته، وجعله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فقال: «وأخرج البيهقي في «المدخل»، وابن عبد البر في «بيان العلم» عن جماعةٍ من التابعين، كالحسن وابن سيرين وشُريح والشَّعبي والنَّخعي بأسانيد جياد ذمّ القول بالرأي المجرَّد، ويجمع ذلك كلَّه حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه: «**لا يؤمنُ أَحَدُكُم حتَّى**
=

أي سادة، اعلموا أنَّ نبوَّة نبيِّنا ﷺ باقيةٌ بعد وفاته كبقائها حَالَ حياتِهِ إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومن عليها، وجميع الخلق مخاطبون بشريعته النَّاسخة لجميع الشَّرائع، ومعجزته باقيةٌ وهي القرآن، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[الإسراء:٨٨].

أي سادة، من ردَّ أخباره الصَّادقة، كَمَنْ ردَّ كلام الله تعالى، آمنَّا بالله، وبكتاب الله، وبكلِّ ما جاء به نبيُّنا محمَّدٌ رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ و سَلَّمَ.

وقال رضي الله عنه وعنَّا به: جُمِعَ كلُّ أحكام الفناء في النَّبيِّ ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]؛ **معرفة النَّبيِّ ﷺ بابُ** معرفة الله، فمتى عرف العبد حقيقة نبيِّه عرف ربَّه.

ومعرفة حقيقته العظيمة لها طريقان:

طريقٌ لفظيٌّ: وهو المنقول المحفوظ من سيرته وخصاله وأحكام شريعته وجليل شأنه.

وطريقٌ معنويٌّ: وهو سرٌّ كشفيٌّ ينتجه العمل بأعماله والقول بأقواله، والأخذ الأكمل في الحركات والسَّكنات بسنَّته عليه من الله أشرف الصَّلاة وأكرم السَّلام.

وقال ﷺ: سارت رُكبانُ النَّاس بما ناسب أهواءهم، ووقفت عقائدُهم مع كلِّ ما جانس طباعهم، إيَّاكم وهذه الطَّاعة؛ فإنَّها النَّار الموقدة؛ قال نبيُّنا عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِـمَا جِئْتُ بِهِ**»[1].

من لم يجعل الهوى عبداً ذليلاً مسخراً لدى سلطان الشَّريعة الذي شرعه نبيُّه

=

يكونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِـمَا جئتُ بِهِ»، أخرجه الحسن بن سفيان وغيرُه، ورجاله ثقات، وقد صححه النووي في آخر الأربعين».

(١) مرَّ تخريجه صـ ١٤١.

ورسوله فأين هو من الإيمان؟ فأعينوني على أنفسكم بمتابعة نبيِّكم سيِّدنا ومرشدنا ووسيلتنا إلى ربِّنا وهادينا مُحَمَّدٍ ﷺ. انتهى.

وخلاصة أقوالهم نفعنا الله بهم في الآل والأصحاب رضي الله عنهم: هي محبَّةُ أهل بيت النَّبيِّ ﷺ محبَّةً كاملةً، وإجلال مقامهم، وإعظام قدرهم، هذا مع حفظ الأدب وإتقان الحُرمة لأصحابه الكرام، وصدق الوُدِّ لهم رضوان الله عليهم أجمعين.

قال سيِّدنا الغوث الأكبر صاحب الطَّريقة الإمام الرِّفاعيُّ رضي الله عنه:

أهل بيت النَّبيِّ ﷺ طريق سِرِّه الطَّاهر عليه الصَّلاة والسَّلام: فمن أراد نهلةً من سرِّه الطَّاهر فلا بُدَّ له من صدق المحبَّة لأهل البيت والتَّوسل بهم إليه عليه الصَّلاة والسَّلام.

وأمَّا أصحابه رضوان الله عليهم فهم طريق أمره: فمن أراد الظُّهور بأمره والعمل بما كان عليه فلا بدَّ له من محبَّة أصحاب النَّبيِّ ﷺ، والتَّمسُّك بآثارهم.

ولا يلحق العبد بنبيِّه إلَّا إذا جمع بين الأمرين؛ لأنَّ من أساء سرَّ النَّبيِّ وآذاه في أهله، أو كَذَّبَ أَمْرَهُ، وآذاه بتقبيح أصحابه؛ فهو من المبعودين، وإن أتى بواحدٍ من الوصفين فلا طريق له على نبيِّه البتة.

أي سادة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

الصَّحابة رضي الله عنهم كلُّهم على هدى، يجب الإمساك عمَّا شجر بينهم، وذكر محاسنهم ومحبَّتهم، والثَّناء عليهم رضي الله عنهم أجمعين، فأحبُّوهم وتبرَّكوا بذكرهم، واعملوا على التَّخلُّق بأخلاقهم، إنَّ هؤلاء القوم قد عفا الحقُّ سبحانه عنهم ولا يؤاخذهم بما جرى بينهم، وإنَّهم يتواهبون ويدخلون الجنَّة، معاوية اجتهد وأخطأ، وله ثواب اجتهاده، والحقُّ مع عليٍّ وله ثوابان، وعليٌّ أكبر من أن يختصم في الآخرة مع معاوية على الدُّنيا، ولا ريب بمسامحته له، وكلُّهم على هدى،

وساحة الكرم وسيعة رضي الله عنهم أجمعين.

[ملخص أقوال السَّادة الرِّفاعيَّة في المبايعة وتلقين الذِّكر]

وسنلخص أقوال السَّادة الرِّفاعيَّة في المبايعة وتلقين الذِّكر:

أما المبايعة: فقد نبَّه عليها القرآن، قال تعالى لحبيبه عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١٠﴾[الفتح].

وقال عبادة بن الصَّامت[1] رضي الله عنه: «**بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْـمَنْشَطِ وَالْـمَكْرَهِ، ونَقُولُ الْـحَقَّ حَيثُ كنا، ولا نَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لائِمٍ**»[2]، وورد هذا الحديث عن عبادة رضي الله عنه على نسقٍ آخر[3].

ومن هذا يُدرَك بالبداهة أنَّ الحبيب الكريم عليه أفضل الصَّلاة والتَّسليم كان يبايع أصحابه الكرام رضي الله عنهم، والقرآن شاهدٌ بذلك، وقد أمرهم الله تعالى بالقيام

(١) هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد، شهد بدرًا وقال ابن سعد: كان أحد النقباء بالعقبة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وشهد فتح مصر، ومات بالرملة سنة (٣٤)هـ. «الإصابة في تمييز الصحابة» رقم ٤٤٩٥، ٣/ ١٤٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الأحكام (٩٧)، باب كيف يبايع الإمام الناس (٤٣)، رقم ٦٧٧٤، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإمارة (٣٣)، باب وجوب طاعة الأمراء...(٨) رقم ٤٧٤٥.

(٣) وهو ما رواه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأحكام (٩٧)، باب بيعة النساء (٤٩) رقم ٦٧٨٧، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الحدود (٢٩)، باب الحدود كفارات لأهلها (١٠) رقم ٤٤٣٦ واللفظ له، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا وَلاَ تَزْنُوا وَلاَ تَسْرِقُوا وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى الله، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى الله إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**».

بواجب العهد في الكلام القديم، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[النحل:٩١]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

المبايعةُ: حدٌّ من حدود الحقِّ يقف عنده أهل الصِّدق الذين صَدَقُوا ما بايعوا الله عليه، وعاهدوا الله فخافوا سؤاله وعظَّموا جلاله، فتغلَّب على قلوبهم سلطان الهيبة، وأخذهم من علَّة نفوسهم إلى حضرته العليَّة، فانطمست قوابس أوهامهم بأشعة أنوار عظمته، فإذا سوَّل لهم الشَّيطان خروجاً أو دخولاً وقفوا ذاكرين الله قائلين: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء]، أولئك الذين قالوا: ربُّنا الله ثمَّ استقاموا، وانحجبت بصائرهم عن غيره، فأبصروه بها وعن الأغيار تعاموا، وعلى طريق رضاه قعدوا، وإلى داعيه قاموا، وما البيعةُ إلَّا بيعُ النَّفسِ وقطع علائقها والأَعِنَّة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

فإن انطبع المبايع على الصِّدق، ودخل حضرة قوم تجرَّدوا من علائق رطبهم ويابسهم، فقد لُوحِظَ من النَّبيِّ ﷺ بمعونة: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦].

وعلى ذلك يقوم منار الأمر، ويتمُّ نظام الخير، وتصِحُّ الوصلة إلى الله، ويأخذ القلب عن الله، قال الله لحبيب الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[الفتح:١٠]، وإنَّ بيعة الإمام المبين، والصَّادق الأمين عليه الصَّلاة والسَّلام نافذةٌ ساريةٌ باقيةٌ هي هي، تتلقَّاها الأنفاس السَّليمة، وتعقد عليها الأكُفُّ الكريمة، لا تبديل لكلمات الله، وأهل الله نُوَّاب رسول الله ﷺ.

[ملخص أقوال السَّادة الرِّفاعيَّة في الزِّيِّ والخِرقَة]

وسنلخص أقوالهم في الزِّيِّ وفي الخِرقَةِ، صحَّحَ الجلال السُّيوطي[1] قُدِّسَ سِرُّه

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي (٨٤٩ – ٩١١)هـ، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، نشأ في القاهرة يتيماً مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل، منزوياً عن أصحابه جميعاً كأنَّه لا يعرف أحدًا منهم، فألف أكثر كتبه، وبقي على ذلك إلى أن توفي، من كتبه: «الإتقان في علوم القرآن»، و«الجامع الصغير»، و«جمع الجوامع، ويعرف بالجامع الكبير»، و«الحاوي للفتاوى» وغير ذلك. انظر: «الأعلام» للزركلي ٣/ ٣٠١ .

وإليك ما صححه الإمام السيوطي في «الحاوي للفتاوى» ٣/ ١٤٩، قال:

مسألة: أنكر جماعةٌ من الحفَّاظ سماع الحسن البصري من عليٍّ بن أبي طالب، وتمسَّك بهذا بعض المتأخرين فخدش به في طريق لبس الخرقة، وأثبته جماعةٌ وهو الرَّاجح عندي لوجوهٍ، وقد رجحه أيضاً الحافظ ضياء الدِّين المقدسي في «المختارة»؛ فإنَّه قال: الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي، وقيل: لم يسمع منه، وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر في «أطراف المختارة».

الوجه الأول: إنَّ العلماء ذكروا في الأصول في وجوه التَّرجيح أنَّ المُثْبت مقدم على النافي؛ لأنَّ معه زيادة علم.

الثاني: إنَّ الحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر باتِّفاق، وكانت أمُّه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها، فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصَّحابة يباركون عليه، وأخرجته إلى عمر فدعا له: «**اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَحَبِّبْهُ إلى النَّاس**»، ذكره الحافظ جمال الدين المِزِّي في «التهذيب»، وأخرجه العسكري في كتاب «المواعظ» بسنده، وذكر المزي أنَّه حضر يوم الدَّار وله أربع عشرة سنة، ومن المعلوم أنَّه من حين بلغ سبع سنين أُمِرَ بالصَّلاة، فكان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان إلى أن قتل عثمان، وعليٌّ إذ ذاك بالمدينة؛ فإنَّه لم يخرج منها إلى الكوفة إلَّا بعد قتل عثمان، فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين مَيَّز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة؟ وزيادة على ذلك أنَّ علياً كان يزور أمهات المؤمنين ومنهن أم سلمة، والحسن في بيتها هو وأمه.

الوجه الثالث: إنَّه ورد عن الحسن ما يدلُّ على سماعه منه، أورد المزِّيُّ في «التهذيب» من طريق أبي نُعيم، قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا، حدثنا أبو حنيفة محمد بن صفه الواسطي، حدثنا محمد بن موسى الجرشي، حدثنا ثمامة بن عبيدة، حدثنا عطية بن =

لبس الحسن البصري ﷺ الخرقة من الإمام عليٍّ بن أبي طالبٍ كرم الله وجهه، كما صَرَّح بذلك الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني في «طبقاته الوسطى».

وبطريق الاستئناس، ذكر جماعةٌ أنَّ عمر بن الخطاب وعليّاً رضي الله عنهما ألبسا أويساً القَرَنِي[1] خرقةً بإذنٍ نبويٍّ.

قلت: وإن صحَّ هذا فلا يكون إلا استئناساً للقوم؛ لأنَّ خرقة الصُّوفيَّة تصل إليهم أسانيدها عن الحسن البصري ﷺ، فلذلك يكون ما صحَّحه الحافظ السُّيوطيُّ دليلاً وحُجَّةً للقوم عموما؛ وذلك لأنَّ علياً كرّم الله وجهه كساه رسولُ الله ﷺ بشيءٍ من أثوابه الشَّريفة، فعلى هذا اتَّصلت أسانيد الخرقة[2].

=

محارب عن يونس بن عبيد، قال: سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد إنَّك تقول، قال رسول الله ﷺ، وإنَّك لم تدركه، قال: يا ابن أخي، لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحدٌ قبلك، ولولا منزلتك منِّي ما أخبرتك إنِّي في زمانٍ كما ترى - وكان في عمل الحجاج - كلُّ شيءٍ سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن عليٍّ بن أبي طالبٍ، غير أنِّي في زمانٍ لا أستطيع أن أذكر علياً.

(١) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بن ناجية ابن مراد (٣٧)هـ: هو القدوة الزاهد، سيد التابعين في زمانه أحد النساك العباد المقدمين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، وفد على سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ثم سكن الكوفة، وشهد وقعة صفين مع عليٍّ ﷺ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٦/ ١٦١، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ٤/ ١٩-٢٠، و«الأعلام» للزركلي ٢/ ٣٢.

(٢) قال السيِّد المؤلف رحمه الله تعالى في «رفرف العناية» صـ١٤٩ـ في لبس الخرقة ما نصه: وقد تعيَّن عندنا في هذه الطَّريقة الصُّحبة ولبس الخرقة، ولا عبرة بإنكار بعض الأفاضل أو جُلُّهم لهذا؛ فإنَّ رجال الأخبار كَثُرَ اختلافُهم وقَلَّ فيما يباين مشاربهم وائتلافهم، وكفى حجَّةً للقوم إطباق الصَّالحين والزَّاهدين والمتمكِّنين في أمري الحقيقة والشَّريعة على هذا، وناهيك منهم بالإمام الجنيد والأئمَّة الأعلام السَّريّ والكرخيّ والطَّائيّ وأشباههم ﷺ، وقد أنكر الكثير من الحفَّاظ أخذ الإمام الحسن البصريّ بل وسماعه أيضاً عن سيِّدنا أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ - كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه - والحال أنَّ الإمام كمال الدِّين المِزِّيّ ذكر في كتابه «تهذيب الكمال» [رقم الترجمة ١٢١٦، ٦/ ٩٨] وهو و«الأطراف»[٩/ ٢٨٥] ممَّا أفنى عمره فيهما في ترجمة سيِّدنا الحسن
=

ولبس الخرقة الرِّفاعيَّة خاصةً هو لبس العِمامَةَ السَّوداء لا غير، وبها طفحت الأحاديث الصِّحاح[1]، والأمر غنيٌّ عن الإيضاح.

ومن حيث المعنى، فإنَّما حقيقته التَّزيي بزِيِّ المرشد في الأفعال والأحوال، وقد وصفوا هذا الأمر بوصف الكسوة وعظَّموا شأنه، وجعلوه كالمحسوس، وأتبعوه بالمحسوس أيضاً؛ ليتعيَّن عند من سلك طريق القوم أنَّ الشَّرط عندهم أن يتزيَّ صاحبهم بزِيِّهم، فمن تزيَّ بزيِّهم ترتَّب عليه العمل بأعمالهم، والتَّخلُّق بأخلاقهم، والوقوف معهم في أحواله.

قال سيدنا أحمد الكبير الرِّفاعيُّ ﷺ لفقيرٍ رأى عليه جُبَّة صوفٍ: يا ولدي، انظر بِزِيِّ مَنْ تَزَيَّيت، وبخلعة من تَلَبَّستَ، لبست لباس الأنبياء والمرسلين، وتزيَّيت بزيِّ الأولياء والصَّالحين، فاحفظ حقَّ زِيِّهم بالتَّخلُّق بأخلاقهم، والعمل بأعمالهم.

وإنَّ للقوم خوافي حكمٍ قلبيَّةٍ في إلباس الخرقة يطوونها حال الإلباس للمريد، فيصلح الله تعالى شأنه كما طوى رسولُ الله ﷺ الأمنَ والإيمان في بردته الشَّريفة

=

البصري عند ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم: فمنهم عقيل بن أبي طالبٍ وأخوه عليّ، ولم يحك فيه خلافاً، وعلى كلٍّ من شيوخ الحسن رمز، فعلى أخذه عن عليٍّ - سلام الله ورضوانُهُ عليه - رمز التِّرمذي والنَّسائي، وعلى أخذه عن عقيل ﷺ رمز النَّسائي وابن ماجه، وممَّا روي عنه من طريق سيِّدنا عليٍّ: «**أَفْطَرَ الحَاجِمُ والمَحْجُومُ**» رواه النَّسائيُّ خاصَّةً، وحديث: «**رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثلاثَةٍ ...**» من طريق عليٍّ - كرَّم اللهُ وجهَهُ - رواه عنه التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ.

(١) روى الإمام مسلم في «الصحيح» عن جابر بن عبد الله ﷺ: كتاب الحج (١٥)، باب جواز دخول مكة بغير إحرام (٨٤) رقم (١٣٥٨) قال ﷺ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ**». وأيضاً في نفس الباب برقم (١٣٥٩) عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ عَنْ أَبِيهِ: «**أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ**».

التي ألبسها كعباً الصَّحابيَّ[1] صاحب (بانت سعاد)، وهناك وراثةٌ محمَّديَّةٌ أخذها أهل القلوب عن الرَّسول المحبوب ﷺ.

[حكم تلقين كلمة التَّوحيد]

وخلاصة ما تكلَّموه وبيَّنوه في حكم تلقين كلمة التَّوحيد، قالوا: هو إفراغ سرٍّ من قلب المرشد إلى قلب المسترشد، وفيه شمةٌ محمَّديَّةٌ لا بد أن تفعل في القلب فعلاً يؤثِّر فيه، فيقلبه عن حالة الغفلة إلى الانتباه، وعن حالة الرِّياء إلى الإخلاص بإذن الله؛ وهذا سرُّ التَّسلسل المحمَّديِّ.

قال سيِّدنا صاحب الطَّريق رضي الله عنه في كتابه «البرهان المؤيد»[2]: «صحَّتْ أسانيد الأولياء إلى رسول الله ﷺ، تَلَقَّنَ منه أصحابه كلمة التَّوحيد جماعةً وفُرَادى، واتَّصلت بهم سلاسل القوم.

قال شداد بن أوسٍ[3]: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟**» –

---

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى بضم أوله، المزني الشاعر المشهور، صحابي معروف، وأخرج ابن قانع من طريق الزبير بن بكار عن بعض أهل المدينة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب، قال: لما انتهى إلى كعب بن زهير قتل ابن خطل، وكان بلغه أن النبي ﷺ أوعده بما أوعد به خطل، قيل لكعب: إن لم تدارك نفسك قتلت، فقدم المدينة فسأل عن أرق أصحاب رسول الله ﷺ، فدل على أبي بكر رضي الله عنه، فأخبره خبره فمشى أبو بكر وكعب على أثره وقد التثم حتى صار بين يدي النبي ﷺ، فقال: رجل يبايعك فمد النَّبيُّ ﷺ يده فمدَّ كعبٌ يده فبايعه وأسفر عن وجهه، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

نبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

فكساه النَّبيُّ ﷺ بردةً له، فاشتراها معاوية من ولده فهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد. انظر: «الإصابة» لابن حجر رقم ٧٤١٠، ٤/ ٤٧٤.

(٢) صـ ٦٢ ـ.

(٣) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي بن أخي حسان بن ثابت أبو يعلى، ويقال أبو عبد الرحمن، شهد أبوه بدراً واستشهد بأحدٍ، وروى بن أبي خيثمة من حديث عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه، قال: =

يَعْنِي من أَهْلَ الْكِتَابِ - قُلْنَا: لا يَا رَسُولَ الله، فَأمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ، وَقَالَ: «**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا، وقُلْنَا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لله، اللَّهمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وإِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**أَلا أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ**»[1]، هذا وجه تلقينه صلوات الله وسلامه عليه أصحابه جماعةً.

وأمَّا تلقينه عليه الصَّلاة والسَّلام جماعةً منهم فُرادى، فقد صحَّ أنَّ علياً رضي الله عنه سأل النَّبيَّ ﷺ فقال: يَا رَسُوْلَ الله، دُلَّنِي عَلَى أَقْرَبِ الطُّرُقِ إلى الله، وَأَسْهَلِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَأَفْضَلِهَا عِنْدَ الله تَعَالَى، فَقَالَ ﷺ: «**أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِيْنَ السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ، وَلا إِلهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِم لا إِلهَ إِلَّا اللهُ**».

ثُمَّ قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: «**لا تَقُوْمُ السَّاعَةُ وَعَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَنْ يَقُوْلُ: اللهُ اللهُ**»، فَقَالَ ﷺ: كَيْفَ أَذْكُرُ يَا رَسُوْلَ الله؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «**غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْ أَنْتَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَأَنَا أَسْمَعُ**»، فَقَالَ ﷺ: «**لا إِلهَ إِلَّا اللهُ**» ثَلاثَ مَرَّاتٍ مُغْمِضَاً عَيْنَيْهِ رَافِعَاً صَوْتَهُ وَعَلِيٌّ يَسْمَعُ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: لا

=

شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم ومن النَّاس من أوتي أحدهما، قال بن سعد: مات سنة ثمان وخمسين وهو بن خمس وسبعين، وكانت له عبادة واجتهاد في العمل. انظر «الإصابة» للعسقلاني رقم ٣٦٤٦، ٢/ ٤٨٢.

(١) رواه عن شداد بن أوس رضي الله عنه: الإمام أحمد في «المسند» رقم ١٧٢٥١، والبزار في «المسند» رقم ٣٤٨٣، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الدعاء...(١٧) رقم ١٨٤٤، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ٢٤: رواه أحمد والطبراني والبزار ورجاله موثقون. وقال المنذري في «الترغيب» رقم ٢٢٥٩: رواه أحمد بإسنادٍ حسنٍ.

إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ[1].

وعلى هذا تسلسل أمر القوم، وصحَّ توحيدهم، وتجرَّدوا عن الأغيار بالكلِّيَّة، وأسقطوا وهم التَّأثير من الآثار، وردُّوها بيد اعتقادهم الخالص إلى الـمؤثِّر».

قلت: وما أهملوا الأسباب، بل رأوها من جملة آثار الـمُسبِّب، فَعَرَفُوها بمُبرزها سبحانه، وأعطوا كلَّ أثرٍ حَقَّه، فالآثار التي تنتج الخير تُشكَر، والتي تأتي بالشَّرِّ والمنكر تُنكَر؛ أي: تُرَدُّ اتِّباعاً للنُّصوص، وموافقةً للحُكْم، وقياماً مع الشَّرع.

---

(١) لم أجد هذا الحديث عن سيِّدنا عليٍّ ﷺ، في متون وكتب الحديث، ووجدت بعضاً من هذا الحديث عن عمرو بن العاص وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك ﷺ بألفاظٍ قريبةٍ منه وهي:

- روى عن عمرو بن العاص ﷺ: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٦٥٨٣، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم ٥٤٨، والحاكم في «المستدرك»:كتاب العلم (٢) رقم ١٥٤، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رجال أحمد ثقات. ولفظه: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحاً ﷺ لَـمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلاَةُ كُلِّ شَيءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ الْـخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ ...»** الحديث.

- روى عن أبي سعيد الخدري ﷺ: النَّسائي في «السنن الكبرى»: كتاب عمل اليوم والليلة (٨١) رقم ١٠٩٨٠، وابن حبان في «صحيحه»: كتاب التاريخ (٦٠)، باب بدء الخلق (١) رقم ٦٢١٨، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الدعاء والتكبير...(١٧) رقم ١٩٣٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، قال رسول الله ﷺ: **«قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، قَالَ: لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلا اللهُ»**.

- روى عن أنس ﷺ: الإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإيمان (١)، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (٦٦) رقم ١٤٨، والتِّرمذي في «الجامع»: كتاب الفتن (٣٤)، باب (٣٥) رقم ٢٢٠٧، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ اللهُ»**.

ولكلِّ حقيقةٍ سرٌّ أقامه فيها خالقها؛ فقد جعل الشِّتاءَ ماطراً، والصَّيفَ قاشعاً، والنَّارَ مُحرقةً، والماء ريّاً، والنَّهار معاشاً، واللَّيل لباساً، والشَّمسَ مُوضِحةً، والعتمةَ ساترةً، وهكذا وصف وعَدَّ، خَلَقَ وأمدَّ، وأوقف كلَّ أثرٍ مع حدٍّ، ولم يصل إلى غاية العلم بجنودها أحدٌ، وقد أَمَدَّ المرسلين بالمعجزات، والأولياء بالكرامات، واصطفى من المرسلين عليهم أفضل الصَّلوات والتَّسليمات خاصةً اختارهم لركبان النُّبوَّة أساتذةً، وفي قوافلها أئمَّةً وجهابذةً، وكذا اختار من الأولياء أُناساً أعطاهم وحباهم وأعلاهم، وصان بعنايته حِماهم، وتولَّاهم وولَّاهم، فَفَضْلُ الجميع مقرَّرٌ لا يُنكَر، وشأن الكلِّ منهم يُعظَّم ويوقَّر.

وأعظم حضرات النُّبوَّة: الحضرة المحمَّديَّة المعظَّمة المكرَّمة، وأعظم حضرات الأولياء: الحضرة المتحقِّقة بالإرث المحمَّديِّ، والخُلُقِ الطَّاهر النَّبويِّ، وهذه الحضرة في القرون الوسطى حضرة شيخ الكلِّ في الكلِّ، مولانا وسيِّدنا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله عنه وعنَّا به، فهو صاحب هذه المأدبة الشَّريفة الحافلة ببراهينه السَّارية - إن شاء الله - إلى يوم الدِّين.

مرحلةٌ في معرفة شأن شيخنا خاتمة الصِّدِّيقين، سيِّد كُمَّل الأولياء المتمكِّنين مولانا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله عنه وعنَّا به

قال الإمام العارف بالله تعالى وليُّ الله الشَّيخ الهمام الحجَّة عبد العزيز بن أحمد الدِّيْريني[1] ﷺ في «غاية التَّحرير»[2]: «حدَّثنا شيخُنا سلطان العلماء أبو محمَّدٍ عزُّ الدِّين الشَّيخ عبد العزيز بن عبد السَّلام السلمي الدِّمشقي ثم القاهري الشَّافعي[3] قدَّس الله سرَّه قال: رأيت الشَّيخ أبا المحامد عليّاً البَغداديَّ الصُّوفيَّ ببغداد، وكنت أحطُّ على الصُّوفيَّة، وكان أبو المحامد من أصحاب القطب السَّيِّد أحمد ابن

(١) عبد العزيز بن أحمد، الشَّيخ الإمام العالم الصَّالح القدوة المسلِّك عزُّ الدِّين الدميري الأصل الفقيه الشَّافعي، العالم الأديب، الصُّوفي الرِّفاعي، المعروف بالدِّيرينيّ، نسبة إلى دِيرين بدال مكسورة بعدها ياء ساكنة (٦١٢ - ٦٩٤)هـ: كان رجلاً متقشِّفاً من أهل العلم، يتبرك النَّاس به، وكان كثير الأسفار في قرى مصر، يفيد النَّاس وينفعهم، وله نظمٌ كثيرٌ في عدَّة فنون، ومشاركةٌ في علومٍ شتَّى، وللشَّيخ عزِّ الدِّين عبد العزيز المذكور كراماتٌ وأحوالٌ، وقبره يزار بديرين، وكان رحمه الله تعالى مِمَّن جمع بين العلم والعمل، من كتبه: «التيسير» في علم التفسير، و«أرجوزة» تزيد على ٣٠٠٠ بيت، و«الدرر الملتقطة» في المسائل المختلطة، و«طهارة القلوب» وغيرها. انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٨/ ١٩٩، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة رقم ٤٧٤، ٢/ ١٨١، و«الأعلام» للزركلي ٤/ ١٣.

(٢) صـ١١-١٢.

(٣) عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء (٥٧٧ - ٦٦٠)هـ: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ في دمشق، تولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، ولما سَلَّم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة صفد للفرانج اختياراً أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه، ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاَّه صاحبها الصَّالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكَّنه من الأمر والنهي، ثم اعتزل ولزم بيته، وتوفي بالقاهرة، من كتبه: «التفسير الكبير»، و«قواعد الأحكام في إصلاح الأنام»، و«الغاية في اختصار النهاية» فقه. انظر: «الأعلام» للزركلي ٤/ ٢١.

الرِّفاعيِّ ﵁، فداخلني من هيبته وحاله شيءٌ أصلح سرِّي وحَسَّن نيَّتي بشأن القوم، والحقُّ أنَّ سيِّدي أحمد ابن الرِّفاعيِّ على قدم جدِّه رسول الله ﷺ.

وقال أيضاً: حدَّثنا شيخُنا أبو المعالي شيخ الإسلام العارف الكبير الشَّيخ عبد السَّلام القليبي[1] قدَّس الله سرَّه ونفعنا به قال: كان شيخنا إمام الأولياء، سيِّد الوقت، السَّيِّد أحمد الرِّفاعيُّ ﵁ أنموذجاً عن جدِّه رسول الله ﷺ؛ فإنَّه كان متمسِّكاً بسنَّته، قائماً بإحياء طريقته، مؤيِّداً لشريعته، طَرَح هوى نَفْسِه تحت الأقدام، وتمسَّك كلَّ التَّمسُّك بكلِّ ما جاء عنه عليه الصَّلاة والسَّلام.

وحَدَّث عن الشَّيخ الأقطع أنَّه قال: خُلُقُ شيخنا سلطان الأولياء والعارفين السَّيِّد أحمد ابن الرِّفاعي ﵁ مشتقٌّ من خُلُقِ جدِّه سيد الوجود ﷺ، وإلَّا فَمِنْ أين لبشرٍ لم يُمْنَحْ بنفحةٍ محمَّديةٍ قدرة وطاقة على مثل أخلاقه ﵁ ؟». انتهى.

وقال الإمام الهمام عبد الكريم الرَّافعيُّ الشَّافعيُّ القزوينيُّ[2] قدَّس الله روحه في

---

(١) عبد السلام بن سلطان تقي الدِّين أبو محمد، المغربي الأصل والمولد، القليبي الدَّار والوفاة، المالكي ﵁ ت(٦٥٨)هـ: الشَّيخ الإمام العارف بالله القدوة الفقيه الفاضل الزَّاهد صاحب الكرامات، أخذ عن العارف الرِّفاعي وغيره، قدم من المغرب إلى القاهرة وسكنها مدةً، ثم انتقل إلى قليب بجزيرة بني نصر من الوجه البحري من أعمال القاهرة، تجاه النحرارية، وكان فقيهاً عالماً، عارفاً بالله، وله كرامات مشهورةٌ عنه، وكانت وفاة الشَّيخ عبد السَّلام بقليب، وقبره يزار بقليب رحمه الله تعالى. انظر: «طبقات المناوي الكبرى» رقم ٥٥٦، و«المنهل الصافي» لابن تغري ٢/ ١٢٠.

(٢) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني (٥٥٧ - ٦٢٣)هـ: الإمام الجليل أبو القاسم الرافعي نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي ﵁، كان الإمام الرافعي متضلِّعاً من علوم الشَّريعة تفسيراً وحديثاً وأصولاً، مترفِّعاً على أبناء جنسه في زمانه نقلاً وبحثاً وإرشاداً وتحصيلاً، وأما الفقه فهو فيه عمدة المحقِّقين وأستاذ المصنِّفين، وكان - رحمه الله تعالى - ورعاً زاهداً تقيَّاً نقيَّاً طاهرَ الذَّيل مراقباً لله ﷻ، له السِّيرة الرَّضية المرضيَّة، والطَّريقة الزَّكية، والكرامات الباهرة، قال النووي: الرَّافعي من الصَّالحين المتمكِّنين كانت له كراماتٌ كثيرةٌ، كان له مجلسٌ بقزوين للتفسير والحديث، وتوفي فيها، من مصنفاته: «الفتح العزيز» في شرح الوجيز، و«الشرح الصغير»، =

مختصره الذي سماه «سواد العينين»[1]: «حدَّثني الشَّيخ الإمام أبو شجاعٍ الشَّافعيُّ[2] فيما رواه قائلاً: كان السَّيِّدُ أحمد الرِّفاعيُّ ﵁ عَلَماً شامخاً، وجبلاً راسخاً، وعالِماً جليلاً محدِّثاً فقيهاً مفسِّراً، ذا رواياتٍ عالياتٍ وإجازاتٍ رفيعاتٍ، قارئاً مجوِّداً، حافظاً مُجيداً، حُجَّةً رحلةً متمكِّناً في الدِّين، سهلاً على المسلمين، صعباً على الضَّالِّين، هيِّناً ليِّناً، هشَّاً بشَّاً، ليِّن العريكة، حَسَنَ الـخَلْق، كريمَ الـخُلُق، حُلْوَ المكالـمة، لطيف المعاشرة.

لا يملُّهُ جليسُهُ ولا ينصرف عن مُـجَالِسِهِ إلَّا لعبادةٍ.

حَـمُولاً للأذى، وفيَّاً إذا عاهد، صبوراً على الـمَكاره، جواداً من غير إسرافٍ، مُتواضعاً من غير ذِلَّةٍ، كاظماً للغيظ من غير حقدٍ، أعلمَ أهل عصره بكتاب الله وسنَّة رسوله، وأَعْمَلَهُم بها.

بحراً من بحار الشَّرع، سيفاً من سيوف الله، وارثاً أخلاق جدِّه رسول الله ﷺ».

[الأصول التي قامت عليها طريقة الإمام الرِّفاعيِّ ﵁]

وقد قامت طريقة هذا السَّيِّد السَّند بإحياء أحكام السُّنَّة، وإفاضة الأخلاق

=

و«المحرَّر»، و«شرح مسند الشافعي»، و«سواد العينين» في مناقب أحمد الرفاعي، وغيرها. انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٨/ ٢٨١، و«الأعلام» للزركلي ٤/ ٥٥.

(١) صـ ٥٥ ..

(٢) محمد بن منجح بن عبد الله الفقيه القاضي أبو شجاع (٥٠٥ - ٥٨١)هـ: الصَّوفي الواعظ، تفقه على أبي محمد بن عبد الله بن أبي بكر الشاشي؛ وأجاز له ابن طاهر المقدسي، وله شعرٌ حسنٌ، وتفقَّه أيضاً بالجزيرة على الأستاذ أبي القاسم البزري، وخرج إلى الشام، وولي قضاء بعلبك، ثم عاد إلى بغداد، وتوفي فيها. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٩/ ١٢٨، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٦/ ٤٠١.

المحمَّديَّة في الأمَّة: وهي إفرادُ القِدَم عن الحَدَث، وتنزيهُ الله تعالى في ذاته وصفاته، وحراسةُ جانبِ التَّوحيد وصحَّة العقيدة، والتَّبري من الزَّيغ والبدعة، وصرفُ الهمَّة إلى الله تعالى مع سلامة العقيدة وطهارتها من وصمة الانحراف عن طريق الشَّرع المتين، وموافقةُ السَّلف الصَّالح في عقائدهم، وتقديسُ الله تعالى في ذاته وصفاته عن النَّظير في الدُّنيا والآخرة، وتنزيهه تعالت قدرته عن الجهات ومجانسة الحادثات، والإيمانُ بكتابه كلِّه بأنَّه من عنده أنزله على عبده، ورَدُّ تفصيلِ عِلْم تأويله إليه، وتنزيهُهُ عمَّا دلَّ ظاهرُه عليه، وتفويض المعنى المراد منه إليه ﷻ.

ومعرفةُ قدر النَّبيِّ ﷺ ومقادير إخوانه الأنبياء والمرسلين بالتَّعظيم والتَّوقير، واتِّباعُ أَمْرِ النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، والتَّمسُّك بشريعته الباقية النَّاسخة، والفناءُ في محبَّته والتَّوسل به إلى الله تعالى، والعملُ بما كان عليه هو وآله وأصحابه الكرام عليه وعليهم الصَّلاة والتَّحيَّة والسَّلام، ومحبَّةُ أهل بيته الكرام محبَّةً كاملةً، وإجلال مقامهم وإعظام قدرهم، وحفظ الودِّ لأصحابه مع كمال الأدب معهم والحرمة لهم رضي الله عنهم.

ومحبَّةُ أولياء الله أجمعين، وتعظيم عباد الله الصَّالحين، وإخلاصُ الودِّ للمسلمين، والرَّحمة بالمخلوقين، وحُسنُ الخُلُق وصفاء النِّيَّة ودوام الذِّكر، والإكثار من الصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ.

والإيمانُ بكرامات الأولياء واعتقاد صدورها عنهم أحياءً وأمواتاً؛ إذ الـمُكْرِم هو الله ﷻ.

وطرحُ الغفلة والإكثار من ذكر الموت والرِّفق بالنَّاس، وصحَّة الصَّفا والوفا واحتمال الأذى والرِّضا من الله تعالى، والغَيرَةُ له ولكتابه ولنبيِّه ولِـمَا جاء به ﷺ.

والوفاءُ بالعهود، والوقوف عند الحدود، والرِّضا بالموجود، والصَّبر على المفقود، وردُّ الأمور إلى الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام الإمام العزُّ الفاروثيُّ[1] قدَّس اللهُ سرَّه: «كان جدِّي الشَّيخ أبو الفرج عمر الفاروثيُّ[2] رحمه الله يقول: جمع الله لسيِّدنا السَّيِّد أحمد ﷺ

(١) في«إرشاد المسلمين» صـ٩٩-١٠٣ـ، وهو أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج بن أحمد بن سابور بن علي بن غنيمة بالضم والفتح (٦١٤ - ٦٩٤)هـ: الإمام المقرئ الواعظ المفسر الخطيب عزُّ الدِّين أبو العباس الفاروثي الواسطي، ولد في واسط، وقرأ القراءات على والده وعلى الحسين بن الحسن بن ثابت الطيبي، وسمع في بغداد وواسط وأصفهان ودمشق من خلقٍ، وذكر في كتابه «النفحة المسكية» صـ١٣ـ أنَّه لبس الخرقة الرِّفاعيَّة عن شيخين الأول: هو شيخه ووالده الشَّيخ إبراهيم، وهو عن والده الشَّيخ عمر الفاروثي، وهو عن شيخه سلطان أئمَّة العارفين السيِّد أحمد الرفاعي ﷺ، والشَّيخ الثاني: هو الشيخ السيِّد شمس الدِّين محمَّد الرِّفاعي، وهو عن عمِّه أبي إسحاق محيي الدِّين إبراهيم الأعزب سبط الإمام الرفاعي ﷺ، وألبسه الشَّيخ شهاب الدِّين السُّهْرَوَرْدِي أيضاً خرقة الصُّوفيَّةِ، ولبس منه الخرقة خلقٌ، وقرأ عليه القراءات جماعاتٌ، وقدم دمشق وولي مشيخة الحديث في الظَّاهرية وتدريس النَّاصريَّة والنَّجيبيَّة وولي خطابة الجامع ثم عزل منها فسافر إلى واسط وبها توفي، قال الذهبي: كان فقيهاً، سلفياً، مفتياً، مدرساً، عارفاً بالقراءات ووجوهها وبعض عللها، خطيباً واعظاً زاهداً عابداً صوفياً، صاحب أورادٍ وأخلاقٍ وكرمٍ وإيثارٍ ومروءةٍ وفتوةٍ وتواضعٍ وعدم تكلُّفٍ، وكان كبير القدر وافِر الحُرمة له القَبول التَّام من الخواصِّ والعوامِّ، وله محبَّةٌ في القلوب، ووقعٌ في النُّفوس، وله نوادر وحكاياتٌ حلوةٌ، وكان ظريفاً في لبسه وخطابته، حلو المجالسة طيِّب الأخلاق، لطيف الشَّكل. له: «إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين»، و«النفحة المسكية». انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة رقم ٤٥٧، ٢/ ١٥٩، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٨/ ٦، و«الأعلام» للزركلي ١/ ٨٦ .

(٢) عمر أبو الفرج بن أحمد بن سابور بن علي بن غنيمة الفاروقي الواسطي تـ (٥٨٥)هـ: الشيخ الكبير، شيخ وقته في العلوم الشَّرعية، وإليه انتهت رياسة العلم والطَّريق بواسط وبطاح العراق، شهد اليد الشَّريفة النَّبويَّة حين مُدت لشيخه السيِّد أحمد ﷺ، وكان من أخصِّ أتباعه، وأصحابه المقرَّبين منه، صحبه وانتفع به، وروى عنه، وكان من أعيان مجلسه، وكان السيِّد أحمد الرِّفاعي ﷺ يعظِّمه ويثني عليه، وقال له مرةً: تَوَّب إن شئت لنفسك، وإن شئت لشيخك، وعليَّ الضمان - بإذن الله - أن لا يغلبك أحدٌ من أهل هذا الجمع، وقال فيه أيضاً: ولدي عمر ما فيه نَفَسٌ لغير الله. ومناقبه مشهورة ﷺ، توفي ودفن برواقه بـ (الفاروث) قرية قرب أم عبيدة - رحمه الله ونفعنا به -. انظر: «إرشاد المسلمين» لعز الدين الفاروثي صـ١١٩-١٢٠ـ.

الأضدادَ:

جاءته الدُّنيا راغمةً فأنفقها على النَّاس وبقيت عن نفسه النَّفيسة ممسوكةً كشأن جدِّه رسول الله ﷺ.

وبلَّغه الله من مراتب العِزِّ أشمخَ مرتبةٍ حتَّى تواضع بين يديه الخلفاء، وهابه ملوكُ واسط وسلاطين فارس، وخشع بحضرته الأولياءُ والعلماء، وهو في نَفْسِه ذليلٌ منكسرٌ، يخدم ضيفَه، ويَخصِفُ نعلَه[1]، ويجمع الحطب ويشدُّه بحبلٍ مُدَّخرٍ له عند بعض خُدَّامه، فيحمله بنفسه إلى بيوت الأرامل والمساكين وأصحاب الحاجات، ويُقَدِّمُ للعميان نعالهم، ويقودهم إذا لقي منهم أناساً إلى محلِّ مطلوبهم، يكرم الشُّيوخ، ويرأف باليتيم، ويبكي لحال الفقراء، ويفرح لفرحهم، ويتواضع لهم كلَّ التَّواضع ويعدُّ نفسه منهم، ويقول في المحافل: **إنْ غَدَتْ أصحابُ الحِرَفِ، وذهبَ كلُّ أهلِ حرفةٍ زمرةً زمرةً، فأنا فقيرٌ وفي زمرة الفقراء.**

وكان يُعظِّمُ العلماءَ والفقهاء ويَحتَرِمُهم ويأمر بتعظيمهم واحترامهم، ويقول: **هؤلاء أركان الأمَّة وقادتها.**

ويُجِلُّ المشايخ ويُبجِّلُهم ويقول: **هؤلاء سادات قوافل النَّجاح**؛ ويكثر من الثَّناء على الصَّالحين، ويُرَغِّب الفقراء بمحبتهم.

وكان هيِّناً هَشَّاً بَشَّاً، متواضعاً حليماً سليماً، مُتحمِّلاً للأذى، صبوراً على المكاره، لا يحرد لنفسه ولا ينتصر لها.

وكان شديداً في الدِّين، صعباً على الضَّالِّين، قَوِيَّ الشَّكيمة[2] إذا انتُهكَتْ محارِمُ الله، كالسَّيف القاطع على أصحاب البدعة، وإذا رأى سُنَّةً أُضيعَتْ وبدعةً

---

(١) يَخْصِفُ نعله: أَي كان يَخْرُزها من الخَصْفِ الضم والجمع. «لسان العرب» مادة: (خصف).

(٢) شَديد الشَّكيمَة: إذا كان شَدِيد النَّفْس أَنِفاً أَبِيّاً. «مختار الصحاح» مادة: (شكم).

أُظْهِرَتْ يغضبُ حتَّى لا يقابله أحدٌ، ويهتزُّ كما تهتزُّ الشَّجرة إذا عبث بها الرِّيح العاصف، ويقول: **ما تهاون قومٌ بالسُّنَّة، وأهملوا قمع أهل البدعة، إلَّا وسلَّط الله عليهم العدوَّ فأذلَّـهم في عزِّهم، وأذاقهم الله مرارة الفقر في الغنى، والضَّعف في القوَّة، وشتَّت عليهم أمرهم، وألقى عليهم الحيرة في تدبيرهم؛ وما انتصر قومٌ للسُّنَّة، وقمعوا البدعة وأهلها، إلاَّ ورزقهم هيبةً من عنده، ونصرهم حين اضطرارهم، وجمع عليهم أمرهم.**

وكان يحبُّ جَمْعَ القلوب على إمام المسلمين، ويرى طاعة الولاة ويكره الفتنة وشقَّ العصا، ولا يقف إلَّا مع الحقِّ، ويُـحِبُّ لله، ويبغض لله، وكلُّ أعماله وأقواله وحركاته وسكناته لله.

وكان مباركَ الوجه واليد واللِّسان والقلب، ما نظره أحدٌ، ولا مسَّ أحداً، ولا تكلَّم مع أحدٍ، ولا توجَّه لأحدٍ بقلبه، إلَّا وظهرت بركات ذلك ظهورَ الشَّمس بإذن الله تعالى.

وكان طريقه العمل بالكتاب والسُّنَّة، وبما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

وكان محمَّديَّ القدم والمشرب والطَّور والحال، لا مُشدِّداً، ولا موسِّعاً، يسلك الطَّريق الوسط، وإذا اتَّضح له الحقُّ تَبِعَهُ وترك نفسه وأهله وولده ويقول: **نحن عندنا الغريب والقريب في الله سواء**؛ ويقول: **من لم يتَّبِع الحقَّ انقياداً لهوى نفسه فهو من الضَّلال بمكانٍ**؛ ويقول: **بالإنصاف سُمِّيَ الفاروق رضي الله عنه فاروقاً**؛ ويقول: **طريقي دينٌ بلا بدعة، وعملٌ بلا كسل، ونيةٌ بلا فساد، وصِدقٌ بلا كذب، وحالٌ بلا رياء، ومقامٌ بلا دعوى، واتكالٌ على الله تعالى.**

وكان إذا خاطب صغيراً أو كبيراً لا يقول له إلَّا: أي سيدي، ولا يشافِهُ أحداً بما يكره، ويأمر بمباعدة أهل الشَّطح والغلوِّ والتَّرَفُّعِ والدَّعاوى العريضة ويُحَذِّر النَّاس منهم ويقول: **هؤلاء قطَّاع الطَّريق فاحذروهم**؛ ويكره أصحاب القول

بالوحدة المطلقة، وأصحاب الخوض بالكلام على الذَّات والصِّفات ويقول: **هؤلاء قومٌ أَخَذَتْهُم البدعةُ من سروجهم، إيَّاكم ومُجَالستَهم، إيَّاكم والتَّقربَ منهم، احذروهم، فِرُّوا منهم كفراركم من الأسد، فَهُمْ وصحبتهم وسماع كلامهم سمٌّ قاتلٌ، هؤلاء قومٌ لا عقولَ لهم.**

ويقول: **أي ولدي، إنْ كنت مِنْ طُلاَّب الله فَلْيَسَعْكَ من الأقوال والأفعال ما وَسِعَ نبيُّكَ الطَّاهر ﷺ وأصحابه وآله الطَّاهرينَ الكرام عليهم الرِّضوان والسَّلام، فاتَّبع ولا تبتدع؛ فإنِ اتَّبعتَ بلغتَ النَّجاة، وصرتَ من أهل السَّلامة، وإنِ ابتدعتَ هلكتَ.**

وكان يلازم الوحدة، ويُحبُّ الخلوة، ويكثر من ذكر الله تعالى والصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ، ويأمر بقراءة القرآن ويَحُثُّ على تَدَبُّره وقت القراءة، ويُحرِّض على قيام اللَّيل، وينهى عن كثرة النَّوم وعن كثرة الأكل وعن كثرة استعمال المباحات، ويحبُّ التَّوسُّط بالرُّخص للمبتدئين؛ لكيلا تشمئزَّ نفوسُهم، ويحبُّ الأخذ بالعزائم لأهل النِّهايات، ويأمر إخوانه بكثرة قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، ويأمرهم بكثرة قراءة فاتحة الكتاب، وبقراءة سورة يس، وسورة الملك، وسورة الواقعة، وسورة إنَّا فتحنا لك فتحاً، وسورة سبِّح اسم ربِّك، وسورة القَدْر.

ويأمرهم أن يقرأ كلُّ واحدٍ منهم وِرْدَهُ خِفْيةً، ويذكر بحيث يُسمِعُ نفسه، ويجمعهم جهراً على ذكر الله، ويوصيهم بالرِّفق في أنفسهم وعيالهم وأولادهم ومواليهم وأرحامهم وجيرانهم وبإخوانهم المسلمين وبالآدميِّين جميعاً، كلٌّ بنسبة طبقته، وعلى ما أوجب الله له، ويوصيهم بالرِّفق في المطايا والحيوانات، ويقول: **يُرحَمُ المرءُ بقدر ما عنده من الرَّحمة**؛ ولهذا الكلام المبارك من أحاديث النَّبيِّ ﷺ مُؤيِّداتٌ كثيرةٌ شهيرةٌ.

وكان أحب أهل بيته إليه أكثرهم بالله اشتغالاً، وأعلمهم بشريعة رسول الله

ﷺ؛ وكان لا يَفْتُرُ عن تعليم النَّاس سنَّة المصطفى وأسرار القرآن ويقول: **تجارةُ العارفِ الدّلالةُ على الله، وسوق القلوب إلى الله.**

وكان يقرأ دروس الفقه والحديث والتَّفسير والعقائد كلَّ يومٍ صباحاً ومساءً غير الاثنين والخميس بعد الظهر؛ فإنَّه يجلس فيهما للوعظ الجامع، ويتكلَّم على النَّاس كلاماً يُذهلُ العقول، ويُدهش الألباب، ويَخْطَفُ القلوب، لم يسبقه به بعد النَّبيِّ ﷺ وأصحابه والأئمَّة الاثني عشر من أهل بيته عليهم الرِّضوان والسَّلام سابقٌ، ولا يلحقه لاحقٌ.

وكانت تتوب بمجالسه الألوف، وكثيراً ما أسلم جموعٌ من النَّصارى واليهود والصَّابئين في مجالسه، وكان الأصمُّ يسمع كلامه، والبعيد يسمع كلامه كالقريب منه، وأهل القرى التي حول أمِّ عَبِيْدَةَ من الجهات الأربع مسافةَ يومٍ ويومين وثلاثة يجلسون وقت ميعاد درسه المبارك على الأسطحة ببلادهم ويسمعون كلامه كالذين برواقه، وربَّما سمع دَرْسَه أعاظمُ أصحابِه وخواصِّهم من أقاصي البلاد.

وقد كان الشَّيخ العارف أبو عبد الرِّحيم وليُّ الله حسنُ الرَّاعي القطنانيُّ[1] قدَّس الله روحه يسمع درسَ شيخِه السَّيِّد أحمد رضوان الله عليه حين يجلس للوعظ بأم عبيدة، والشَّيخ حسن بقطنة قريةٌ من أعمال دمشق بالشَّام - وبينهما مسافة

(١) هو القطب الكبير الشَّيخ حسن بن محمد بن علي بن حسن بن علي الرَّبيعي الحوراني أبو عبد الرحيم، أصله من أهل شهبة حوران ثم نزل قطنة - قرية من أعمال دمشق - و صار راعياً لأغنام بعض أهل القرية المذكورة، وكان على جانبٍ عظيمٍ من الورع والزُّهد مكفولاً بعناية الله، محروساً بعين الوقاية من صغره، ولا زال على هذا الحال حتَّى بلغ عمره فوق العشرين سنة، وفي سنة (٥٥٥)هـ تشرَّف بملاقاة الحضرة الرِّفاعية، فأحسن إليه ﷺ بنظرةٍ مخصوصةٍ فأوصلته إلى مرتبة الشُّهود في الحال، وكان ذلك في سفر حجِّ السيِّد أحمد الرِّفاعي ؓ، وتوفي الشَّيخ حسن قُدِّسَ سِرُّهُ بقطنه سنة (٦٠٦)هـ. انظر: «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٢١-١٢٢ـ، و«روضة الناظرين» للوتري صـ١٣١-١٣٢ـ.

شهرين؛ وحَرِيٌّ السَّيِّد أحمد بقول القائل فيه:

أَنْتَ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ شِنْشِنَةٌ آيَاتُ فَضْلِكَ كُلُّهَا عَجَبُ

مَفَاخِرٌ كَالبُدُور[1] طَالِعَةٌ هَذَا تَوَلَّى وَذَاكَ مُقتَرِبُ»

[أقوال الأئمَّة في علوِّ شأن الطَّريقة الرِّفاعيَّة]

وقال الإمام أبو الحسين الحربونيُّ، ومثله قال الفقيه الكبير أبو محمد بن أبي بكر، والفقيه الجليل الصُّوفيُّ العظيم القدر أبو الفرج البرقاني وغيرُ واحدٍ: إنَّ من سلك طريقة السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ ﷺ لا يصحُّ له سلوك طريقةٍ أخرى بعدها، ومن سلك غيرها يصحُّ له سلوك الطَّريقة الرِّفاعيَّة بعدها؛ وذلك لأنَّ الطَّريقةَ الرِّفاعيَّة جامعةٌ لأسرار العبوديَّة المحضة، قاطعةٌ علائقَ العلوِّ، وعوائقَ الشَّطح والغلوِّ، حافلةٌ بحقائق الحكمة المحمَّديَّة، كافلةٌ لدقائق مقاصد السُّنَّة النَّبويَّة، مشتملةٌ على غوامض أسرار الكلمات المصطفويَّة، وخوارق البراهين القاطعة القائمة بالمعجزات الأحمديَّة، ومبناها على قواعد الذُّلِّ والانكسار، والحيرة والاضطرار، والخوف منه تعالى والافتقار إليه سبحانه، وقد سبق صاحبها ﷺ بهذا السُّلوك السَّابقين، وأعجز اللاَّحقين، أسكنه الله مع أجداده الطَّاهرين بصحبة جدِّه النَّبيِّ الأمين، في أعلى علِّيِّين، ونفعنا بهم أجمعين.

قال الجِهْبِذ[2] الإمام الكبير أبو بكرٍ بن محمَّدٍ الأنصاريِّ قدَّس الله روحه في كتابه «عقود اللآل»: قد أطبق العارفون من أئمَّة العصر - نفعنا الله ببركات أنفاسهم - على أنَّ أسعدَ أصحاب الشُّيوخ بشيخهم أصحابُ سيِّدنا السَّيِّد أحمد ﷺ، وقد

---

(١) في الأصل المطبوع: كالبيوت، وفي «الإرشاد»: كالبدور، وهو ما أثبت.

(٢) الجِهْبِذُ بالكَسر: النَّقَّادُ الخَبيرُ بِغوامِض الأُمور البارِعُ العارِفُ بطُرِق النَّقْدِ وهو مُعَرَّب صرَّح به الشِّهابُ وابن التِّلِمْسَانِيّ. «تاج العروس» مادة: (جهبذ).

بُشِّر في حضرة القرب أنَّ أصحابه يُحشرون وعلى جباههم مكتوبٌ بالنُّور: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾[الكهف]، وأجمعَ أهلُ الصِّدق من الطَّائفة على أنَّ طريقته السَّعيدة أنجحُ الطُّرق وأبرُّها، وأقربها وصلةً، وأصحُّها منهاجاً، وأوضحها محجَّةً.

قال الشَّيخ العارف بالله أحمد الزَّاهد الأنصاري[1] رضي الله عنه: «نفحات الحقِّ في الطَّريقة الرِّفاعيَّة ساريةٌ جاريةٌ لا تنقطع أبداً».

وقال الشيخ أبو بكر الهوازني البطائحي رضي الله عنه: «رجال الطَّريقة الرِّفاعيَّة كلُّهم مرادون من جانب إرادة الحقِّ تعالى، الطَّريقة الرِّفاعيَّة طريقةُ العِبرة والعَبرة، والسُّكون والحيرة، طريقة الفتح والمدد والفيض الدَّائم، طريقة العشق والذَّوق والنُّور المتواصل والعون الهاطل، طريقة الذُّلِّ والانكسار، وطرح الشَّطح والافتخار، طريقة الحكمة والمعرفة، طريقة النَّجاح والفلاح، والعزِّ والصَّلاح، طريقة الخشوع والاضطراب، طريقة فتح الأبواب، طريقةٌ يحبُّها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم».

وقال الشَّيخ الجليل أبو البدر العاقولي رضي الله عنه: «سلكنا كلَّ الطُّرق وكشفنا عجاجها، وارتقينا معراجها وفهمنا مكنونها، وسبرنا مضمونها، فما رأينا أرفعَ مناراً، وأصحَّ قراراً، وأشمخَ فخاراً، وأصلح منهاجاً، وأكرم معراجاً من الطَّريقة الرِّفاعيَّة، وإنَّها لطريقة الحكماء والأولياء، والعُرفاء والزُّهاد والأفراد، وباب القَبُول وميزاب الفيوضات، وطريقة الأمن ومحجَّة السَّعادة، وكلمة الشَّريعة المحمَّديَّة على مشرِّعها سيِّد العالمين محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أفضل الصَّلاة وأكمل السَّلام.

ألا إنَّ الطَّريقة الرِّفاعيَّةَ نورُ الأفئدة، وجِلاءُ القلوب وصيقلُ الأسرار، ولو لم

---

(١) هو ابن الإمام الرباني الباز الأشهب الشيخ منصور البطائحي رضي الله عنهما.

يكن فيها إلَّا حفظ جانب التَّوحيد، ووقاية مقام النُّبوَّة، وحُرمة الحقِّ وأهله، وطرح الشَّطح، وهدم منار الوحدة، وقمع النَّفس بالذُّلِّ والانكسار لله تعالى، وحسن الأدب مع الخَلْق لكفى».

وقال شيخ الشُّيوخ عبد السَّميع الهاشميُّ[1] رحمه الله: «مَنْ تَـمَذْهب بمذهب الصَّحابة، وحفظ مودَّة القرابة، وتتلمذ للسَّادة الرِّفاعيَّة، فقد أتقن طريق الوصلة، وأمِنَ من غوائل النَّفس، وما زال عن طريقة الله تعالى». انتهى.

وقال الشَّيخ العارف بالله التَّقي الواسطيُّ[2] رحمه الله: «طريقُ السَّيد أحمد الرِّفاعيِّ ﷺ: أدبٌ وحكمةٌ، وعلوُّ همَّةٍ، وعزيمةٌ صالحةٌ، وعزمٌ قويٌّ، وأنْ يدورَ السَّالكُ مع الحقِّ حيث دار مع التَّجرُّد من العُجْب والكِبر والدَّعوى والغرور

---

(١) عبد السميع بن أبي تمام عبد الله بن عبد السميع الهاشمي، أبو المظفر الواسطي (٤٦٦-٥٥١)هـ: هو من أعيان نجباء بني العبَّاس، ومن أفضل علماء عصره، كان من أكابر واسط، ومن خواصِّ أفاضلها أهل العلم والدِّين، ثقةً إماماً حسن الرِّوايةِ، معروفاً بالصِّدق والزُّهد والعبادة، وهو من أجلِّ خلفاء مولانا السيِّد أحمد **رضي اللهُ عنهما**، وتنتهي نسبته إلى الأمير جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عبَّاس ﷺ، قرأ القرآن على المبارك بن محمد بن الرواس، وأحمد بن محمد بن العكبري، والقلانسي، ورحل إلى بغداد فقرأ على أبي الخطاب الجراح، وثابت بن بندار، وسمع من: جعفر السراج. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٨/ ٣٥٠، و«قلائد الزَّبرجَد» للسيد أبي الهدى الصيادي صـ٤٠.

(٢) هو الشَّيخ عبد الرَّحمن بن عبد المحسن بن عمر بن عبد المنعم، أبو الفرج تقيُّ الدِّين الأنصاريّ الواسطيّ الرِّفاعيّ الشَّافعيّ ﷺ (٦٧٤-٧٤٤)هـ: الإمام المفتي، المقرئ، محدث واسط، قدم دمشق، وحجَّ مرَّاتٍ، وسمع هو والإمام الذَّهبي، وكان ذا مروءة، ومحاسن مخبوءة، متواضعاً لمن يلقاه، إذا رأى شراً بصاحبه توقاه، كيِّساً خيِّراً، ذا باطنٍ بالإخلاص نيِّراً، وصحب الشَّيخ عز الدين الفاروثي، وتوفي رحمه الله تعالى ببغداد، من كتبه: «ترياق المحبين في مناقب السيِّد أحمد الرِّفاعي وطبقات أتباعه»، و«ترياق المحبين طبقات خرقة المشايخ العارفين»، و«اللؤلؤة» في الحديث، محذوف الأسانيد، و«شرح حرز الأماني للشَّاطبي». انظر: «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي ١/ ٤٤٩، و«الأعلام» للزركلي ٣/ ٣١٤، و«معجم المؤلفين» ٥/ ١٥٢.

وكلِّ ما يقطع عن الحقِّ تعالى.

[بيان أُسُس الطريقة الرّفاعيّة على لسان مؤسِّسها الإمام الرّفاعيّ ﷺ]

وكان ﷺ يقول: **طريقي دينٌ بلا بدعةٍ، وعملٌ بلا كسلٍ، وقلبٌ بلا شغلٍ، ونفسٌ بلا شهوةٍ.**

وقال ﷺ: **طريقُنا الكتاب والسُّنَّة، ألا إنَّ الفقير على الطَّريق ما دام على السُّنَّة، فمتى انحرف عنها ضلَّ عن الطَّريق.**

وقال ﷺ: **طريقنا أَنْ لا تسألَ، ولا تَرُدَّ، ولا تَدَّخِرَ، وأن تتحقَّقَ أنَّ الكُلَّ بيد الله، وكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له، وأن تقف عند حدِّ الشَّرع لا تتعدَّاه، والعون من الله.**

وقال ﷺ: **هذا الطَّريق واضحٌ، أغلقَ مناهجَهُ جماعةٌ اصطلم عليهم الحال، وما بلغوا مقام التَّمكين، فتجاوزا بالشَّطح والدَّعوى الحدودَ، فتبعهم فريقان: فريقٌ انقاد بحسن الظَّنِّ، وفريقٌ قادَهُ الجهلُ، وكلاهما على شفا جُرُفٍ، أَلا إنَّ الطَّريقَ محجَّةٌ بيضاء، كلُّ ما فيه من قولٍ وفعلٍ، بَطَنَ أو ظَهَرَ لا يتجاوزُ دائرةَ الشَّرع، أَلا إنَّ كلَّ طريقةٍ خالفت الشَّريعة زندقةٌ.**

وقال ﷺ: **الطَّريقُ أنْ تقول: آمَنْتُ بالله، وَوَقَفْتُ عندَ حُدودِ الله، وعَظَّمْتُ ما عظَّم الله، وانتهيت عمَّا نهى الله، ولا طريق بعد هذا أبداً؛ إذ ليس بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال.**

وقال ﷺ: **جاء جماعةٌ من أهل هذا الطَّريق بعاداتٍ زائدةٍ، بعضُهم - وهم العارفون - جعلها سُلَّماً للعبادة، ونَبَّهوا على كونها بدعةً معتادةً، تدخل في البدع الحسان؛ ليقتادوا بها النُّفوس المطبوعة على الاستبشار بغرائب العادات، حتَّى إذا طَهُرَت نفوسُ أتباعهم أخرجوهم من قيود العادات إلى إطلاق الشَّرع، وهذه الحكمة مأخوذةٌ من سيرة سيِّد الخلق ﷺ، ولها المقاييس الكثيرة في السُّنَّة، إلَّا أنَّ أهل النَّقص عظَّموا تلك العادات حتَّى أدخلوها في العبادات، بل اشتغلوا بها عن**

العبادات فانقطعوا عن القافلة، وبقوا بلا زادٍ ولا راحلةٍ، فإيَّاك - أيُّها السَّالك - أنْ تُدخِلَ العادةَ في العبادة؛ فإنَّ العاداتِ المباحةَ أو المستحسنة صِيغت بعقل المخلوق، والعبادات قامت بأمر الخالق، وبين عقل المخلوق وأمر الخالق الفرق بَيِّنٌ، تعالى الله علوَّاً كبيراً.

وليس لك في العادات إلا أنْ تقول: أُقَرِّبُ النَّفسَ إلى الحقِّ بما لا يكرهُهُ الحقُّ، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع، والله وليُّ المتَّقين»[1].

(١) انتهى كلام التقي الواسطي ونقله عن الإمام الرفاعي ﷺ في كتابة «ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين» صـ١٠ـ.

[شيوخ الإمام الرّفاعيّ ﷺ في لبس الخرقة]

[الطَّريق الأوَّل في السَّند الشَّريف:]

لبس الإمام الرِّفاعيُّ من الشَّيخ عليٍّ القاري الواسطيِّ[1] الخِرقةَ، وهو لبسها من يد شيخه الشَّيخ الأعظم أبي الفضل كامخ الواسطيِّ[2]، وهو لبسها من الشَّيخ غُلام بن تركان[3]، وهو من الشَّيخ أبي عليٍّ الرُّوْذْبَاريِّ[4]، وهو من الشَّيخ عليٍّ

---

(١) هو الشيخ علي أبو الفضل بن محمد بن أبي بكر القرشي المقري الواسطي الشافعي المعروف بابن القاري (٤٦٠-٥٣٩)هـ: شيخ الشيوخ بركة المسلمين شيخ واسط وابن شيخها، ولد بواسط، وتفقه بأبيه وبعمِّه أبي محمد كامخ، وبأبي عبد الله الكازروني، وانتهت إليه الرياسة بواسط، وبه تخرَّج الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنهما وقد أجازه بالعلم والطريق دون أصحابه، ولم يسمح بإجازته العامة لغيره، فقيل له في ذلك، فقال: على من أنجب مثل أحمد أن ينقرض من غيره - يعني: أن لا يكون له خليفة غيره -، وكان أصحاب الشيخ علي الواسطي أكثر من أربعين ألفاً، وإذا بلغ أحدهم الفطام يأمره بملازمة السيد أحمد الرفاعي وتجديد البيعة عليه، توفي الشيخ عليٌّ ودفن برواقه في واسط، وكان الإمام الرفاعي يقول فيه: شيخنا أبو الفضل جبلٌ من جبال السُّنَّة، وإمامٌ من أئمَّة الهدى المصطفين الأخيار نفعنا الله بهم أجمعين. انظر: «إرشاد المسلمين» لعز الدين أحمد الفاروثي صـ٦-٨ـ، و«روضة الناظرين» للوتري صـ١٦ـ.

(٢) هو الشيخ أبو الفضل ابن الفقيه الإمام أبي محمد كامخ بن أبي بكر، تفقه بأبيه وأخذ عن غير واحد، وروى عنه الكثير، وكان شيخ حلق الفقهاء والصوفية بواسط، ولد بكاخان - بليدة قرب البيضاء -، وصحب العارف بالله غلام بن تركان وبه تخرج، توفي بواسط سنة (٥٢٠)هـ. «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ٨ـ.

(٣) هو الشيخ أبو الصفا غلام بن تركان بن علي بن سلامة القرشي البيضاوي الواسطي الفقيه الشافعي الصوفي الولهان المشغول بالله تعالى عن غيره، ولد بالبيضاء سنة (٢٩٠)هـ وبها مات معمراً سنة (٤١١)هـ. «إرشاد المسلمين» صـ٩ـ.

(٤) هو الشيخ أبو على أحمد بن محمد الروذبارى الشافعي البغدادي ثم المصري، شيخ الطريقة، معدن الحقيقة، إمام الجماعة، صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء وغيرهم، كان أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة، كبير الشأن توفي بمصر ودفن بالقرافة سنة (٣٢٢)هـ. انظر: «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٠ـ، و«طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ١٣، صـ٦٥ـ.

=

العجمي[1]، وهو من الشَّيخ أبي بكرٍ الشِّبليِّ[2]، وهو من الشَّيخ أبي القاسم الجنيد البغداديِّ، وهو من خاله الشَّيخ السَّريِّ السَّقطيِّ[3]، وهو من الشَّيخ أبي محفوظٍ معروفٍ الكرخيِّ[4]، وهو من الشَّيخ داود الطَّائيِّ[5]، وهو من الشَّيخ حبيبٍ

=

تنبيه: ورد في المطبوع (الروزبادي) والأصح الروذباري كما قال ابن حجر العسقلاني في «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» صـ١٥٢ـ: «الرُّوْذْبَارِي، بضم الراء وإسكان الواو والذال المعجمة وفتح الموحدة بعدها ألف ثم راء؛ نسبة إلى بلدة عند طوس، ينسب إليها جماعة؛ منهم: أبو علي محمد بن أحمد بن القاسم الروذباري الصوفي»؛ لذلك أثبت الأصح.

(١) هو الشيخ أبو الحسن علي بن هند بن أبي الحسن بن مظفر القرشي الفارسي الشافعي، الإمام المهذب، العارف الواصل، قدوة العارفين، نشأ بفارس، وصحب بها الشيوخ الأكابر، وصحب الشبلي وبه تخرج، كان عالماً، رقيق الإشارة، متمسكاً بالسنة المحمدية، غيوراً عليها، عارفاً بأصول الطريق، توفي بقزوين رحمه الله تعالى سنة (٣٣٠)هـ. «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١١ـ.

(٢) الإمام أبو بكر الشبلي (٢٤٧ - ٣٣٤)هـ: دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن دلف بن يونس الشبلي، نسبة إلى قرية من قرى أسروشنة، بلدة عظيمة وراء سمرقند، من بلاد ما وراء النهر، كنيته أبو بكر، الخراساني الأصل، والبغدادي المولد والمنشأ، جليل القدر، مالكي المذهب عظيم الشَّأن، مات ببغداد ودفن بمقبرة الخيزران. انظر: «طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ٩٧، صـ٢٥٣ـ، و«إرشاد المسلمين» صـ١١ـ، و«الأعلام» للزركلي ٢/ ٣٤١.

(٣) هو الإمام سَرِيُّ بنُ المُغَلَّس السَّقَطِيُّ، كنيته أبو الحسن، وهو خالُ الجُنَيْد و أستاذُه، صحبَ معروفاً الكَرْخِيَّ، وهو أَوَّلُ من تكلم ببغداد في لسان التوحيد، و حقائق الأَحْوال، وهو إمامُ البَغْداديين، وشيخُهُم في وَقْته، بغدادي المولد والوفاة، توفي سنة (٢٥٣)هـ، وكان دفنه في مقبرة الشونيزية. انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٩/ ١٨٧، و«طبقات الصُّوفية» للسلمي صـ٣١ـ.

(٤) هو الإمام معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ تـ (٢٠٠)هـ: أحد أعلام الزهاد والصوفيَّة، كان من موالي الإمام علي الرِّضا بن موسى الكاظم، ولد في كرخ بغداد، ونشأ وتوفي ببغداد، اشتهر بالصَّلاح، وقصده النَّاس للتَّبرك به حتَّى كان الإمام أحمد بن حنبل في جملة من يختلف إليه. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٥/ ٢٣٣، و«الأعلام» للزركلي ٧/ ٢٦٩.

(٥) هو الشيخ داود بن نُصير، أبو سليمان الطائي، الكوفي، الإمام، العالم، العامل، العابد، الزاهد، أحد أصحاب الإمام أبي حنيفة، وعين أعيان أئمة الأنام، سمع عبد الملك بن عمير، وسليمان الأعمش، وغيرهما، وروى عنه جماعةٌ، منهم إسماعيل بن عُليَّة وغيره، وكان داود مِمَّن شغل نفسه

=

العجميِّ[1]، وهو من الشَّيخ أبي سعيدٍ مولانا الحسن البصريِّ، وهو من سيِّدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وكرَّم الله تعالى وجهه، وهو لبس الخرقة وتلقَّن أسرار البيعة والطَّريقة وتلقَّى علوم الشَّريعة والحقيقة عن ابن عمِّه سيِّد السَّادات، ومصدر البركات، وعلَّة المخلوقات، سيِّدنا محمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه القادات وسلِّم تسليماً كثيراً.

[الطريق الثاني في السَّند الشَّريف:]

وقد أكمل سيِّدنا السَّيِّد أحمد التَّرقيَّات الطَّريقيَّة، وبلغ عوالي الدَّرجات الحقيقيَّة، ولبس الخرقة أيضاً من خاله الإمام العظيم القدر، الرَّفيع المنزلة، الشَّامخ المرتبة، أبي المواهب، الباز الأشهب، الشَّيخ منصورٍ الرَّبانيِّ البطائحيِّ الأنصاريِّ لأبٍ الحسيني لأم[2]، وهو ﷺ لبس الخرقة من جماعةٍ:

=

بالعلم، ودرَّس الفقه وغيره من العلوم، ثم اختار بعد ذلك العزلة والانفراد والخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى آخر عمره، توفي بالكوفة سنة ستين، وقيل سنة خمس وستين ومائة رحمه الله تعالى. انظر: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للتقي الغزي صـ٢٧٨ـ، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/ ٢٥٩.

(١) حبيبُ العجميُّ البصريُّ أبو محمدٍ الزاهد، أحد الأعلام توفي سنة (١١٩)هـ كما أفاده ابن الجوزي في «المنتظم»، وذكر الوتري والصفدي أنه توفي في حدود (١٤٠)هـ، أصله من آل ملوك فارس، تاب في مجلس الإمام الحسن البصري، ثمَّ انقطع له وصحبه وتخرَّج به، وكان كثير الخوف من الله تعالى يبكي الليل كله، ولا يشتغل عن طاعة ربه وذكره وقتاً من الأوقات. انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي ٤/ ٨٦، و«روضة الناظرين» للوتري صـ٥ـ، و«طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ٣٤، صـ١٤٨ـ.

(٢) هو الشيخ منصور ابن الشيخ يحيى ابن الشيخ موسى ابن الشيخ كامل النجاري لأبيه – وينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري النجاري ﷺ – الحسيني لأُمِّه تـ(٥٤٠)هـ: الشيخ الوليُّ العارف أوَّل وليٍّ لُقِّبَ بالباز الأشهب، ولد بأم عبيدة بدار أبيه ونشأ بها وتلقى الفقه الشافعي عن أبيه وعن ابن عمِّ أبيه الشيخ أبي منصور الطيب وتخرَّج به وبعمِّه الشيخ معزِّ الدين

=

أولهم: أبوه العارف الجليل الشَّيخ يحيى النَّجَّاريّ[1]، وهو لبسها من يد أبيه وشيخه الشَّيخ موسى أبي سعيدٍ الأنصاريِّ[2]، [وهو لبسها من أبيه الشَّيخ كامل[3]][4]، وهو لبسها من أبيه الشَّيخ يحيى الكبير[5]، وهو لبسها من أبيه شيخ

=

طلحة أبي محمدٍ الشَّنبكي الأنصاري الفاطمي، وتخرج به - أي الشيخ منصور - الأئمَّة، ولَـمَّا اتسعت دائرة إرشاده ترك رواق أم عبيدة وبنى رواقاً عظيماً ببلدة نهر دقلى بالقرب من واسط، ورزقه الله القطبية العظمى والغوثية الكبرى، وعهد بالمشيخة لابن أخته السيد أحمد الرفاعي **رضي الله عنهما** من بعده، وكان الأشياخ يقولون: ما كبا جواد الشيخ منصور الرَّباني أبداً، ومات ببلدة نهر دقلى ودفن برواقه المبارك سنة (٥٤٠)هـ. انظر: «إرشاد المسلمين» لعز الدين أحمد الفاروثي صـ١٣-١٤ـ، و«الطبقات الكبرى» للشعراني رقم ٢٥٣، صـ١٩٨ـ، و«روضة الناظرين» للوتري صـ١٩ـ.

(١) هو الشيخ يحيى النجاري الأنصاري والد الشيخ منصور البطائحي صاحب أم عبيدة، كان مستجاب الدعوة نافذ البصيرة عظيم الكشف، تخرج به الأصحاب، وانتمى إليه الأحباب، وابتهج به الطلاب، توفي سنة (٥١٠)هـ برواقه في أم عبيدة. «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٥ـ.

(٢) هو الشيخ أبو سعيد موسى بن الشيخ كامل بن الشيخ يحيى الكبير النجاري الأنصاري تـ(٤٧٠)هـ: كان شيخ خرقة الصوفية، وإمام زهاد وقته، وإليه مرجع الجماعة في عهده، توفي معمراً بأم عبيده، وقبره بالمقبرة المنصورية، وعليه قبة تزار. «إرشاد المسلمين» صـ١٥ـ.

(٣) هو الشيخ كامل الأنصاريُّ تـ(٤٢٥)هـ: كان فقيهاً عالماً عارفاً صالحاً عابداً ورعاً زاهداً متقشِّفاً، لا يجمع بين كسائين مع ما هو فيه من السَّعة في أمر الدُّنيا، وكان سخيَّاً بَذَّالاً يعطي الكثير، ويرى أنَّه أعطى قليلاً، وكان أهل أم عبيدة على كبرها كأنَّهم عائلته، زاره سلطان واسط وطلب منه أن يطلب منه شيئاً، فقال: لو طَلَبْنا ما طُلِبنا، توفي بأمِّ عبيدة، ودفن بالمنصوريَّة رحمه الله تعالى. «إرشاد المسلمين» صـ١٥ـ.

(٤) ما بين معقوفين ساقط في الأصل المطبوع فاثبتُّه على ما في «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ٥ـ، و«ترياق المحبين» لتقي الدين الواسطي صـ٦ـ.

(٥) هو الشَّيخ يحيى الكبير النَّجاريُّ تـ(٣٦٥)هـ: كان أشبه القوم بالصَّحابة الكرام ﷺ، قائماً صائماً، هائماً عالماً، مستوحشاً من النَّاس، مستأنساً بالله، معرضاً عن غيره، وكان سلوكه مخالفة النَّفس، وكان عالماً بمعارضتها، دقيق النَّظر غوَّاصاً في موج حكم الأحكام، متضلِّعاً من فنون الحقائق، توفي بأمِّ عبيدة ودفن بالمقبرة الورديَّة رحمه الله تعالى. «إرشاد المسلمين» صـ١٧ـ.

وقته إمام الصُّوفيَّة الشَّيخ أبي بكرٍ بن موسى الواسطيِّ(١)، وهو لبسها من شيخه تاج العارفين أبي القاسم الجنيد البغدادي، وسيأتي ذكر سند الجنيد مُعَنْعَناً.

والشَّيخ الثاني: الذي لبس الشَّيخ منصورٌ منه الخِرقةَ فهو خال أمِّه وابن عمِّ أبيه الشَّيخ أبي المنصور الطَّيب(٢)، وهو لبسها من ابن عمِّه الشَّيخ يحيى النَّجَّاريِّ، وهو لبسها من الشَّيخ أبي عليّ القرمزي التِّرمذيِّ(٣)، وهو من الشَّيخ أبي القاسم السُّندوسيِّ(٤)، وهو من الشَّيخ أبي محمَّدٍ رُوَيْم البغداديِّ(٥)، وهو من الشَّيخ أبي

---

(١) هو الشَّيخ العارف إمام القوم أبو بكرٍ محمَّد بن موسى الأنصاري، قال القوم: لم يتكلَّم أحدٌ مثله في أصول التَّصوُّف، ترك أهله وأولاده بواسط وهام على وجهه، ودخل خراسان، واستوطن بعد مدَّة كورة مرو، وانتهت إليه رئاسة الطريق وتربية المريدين، ومشيخة الصوفية، صحب الجنيد وبه تخرَّج، وتفقَّه بأبيه الشيخ موسى، وكان شديد التمسك بالسنة السَّنية، كثير الحطِّ على أهل البدعة، وكان أعلم أهل مصره بأصول الدِّين، وقلَّ أن يوجد كتاب يذكر أحوال السَّلف ويخلو من كلماته المباركة، توفي بعد العشرين والثلاثمائة بمرو ﷺ. انظر: «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٦، و«روضة الناظرين» للوتري صـ١٢.

(٢) هو الشيخ أبو منصور محمد الطيب بن محمد بن كامل الأنصاري، وهو خال أم الشيخ منصور وابن عمِّ أبيه تـ(٥٠٠)هـ: كان عالماً فقيهاً مباركاً محمود السيرة، شافعيَّ المذهب، محمَّديَّ المشرب، توفي بأم عبيدة ودفن بمقبرة الوردية. «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٦-١٧.

(٣) هو الشيخ محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الهاشمي القرشي، شيخ الشيوخ، بركة العارفين أبو علي الترمذي الشافعي، صحب والده، وقبل أن يبلغ درجة الفطام توفي أبوه، فاتصل بخدمة الشيخ أبي القاسم السندوسي، وأكمل السلوك على يديه، توفي رحمه الله بحلب في سفر حجه سنة (٤٠٨)هـ. «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٨.

(٤) هو الشيخ محمد أبو القاسم بن أبي الفضل العقيلي الطالبي السندوسي - نسبة لنهر سندوس: قرية بواسط - الشريف الكبير، تفقه بالأكابر من أعيان واسط، ومهر في العلوم الشرعية، مات بواسط سنة (٣٦١)هـ. «إرشاد المسلمين» صـ١٨-١٩.

(٥) رُوَيمْ بن أحمد البغدادي الدار والوفاة، القاضي أبو محمد، من جلة المشايخ، مقرئ، فقيه، كبير الشأن، كان من أعزِّ أصحاب الجنيد، وصحب أصحابه وانتفع بهم، وعلت مرتبة عرفانه، وساد بين أقرانه في زمانه، مات ببغداد سنة (٣٠٣)هـ. انظر: «طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ٤٢، =

القاسم الجنيد البغداديِّ، وهو من الشَّيخ سريّ السَّقطيِّ، وهو من الشَّيخ معروف الكرخيِّ.

وللشَّيخ معروف سندٌ آخر بلبس الخرقة غير السَّند الذي تقدم؛ وهو أنَّه لبس الخرقة من شيخه وملاذه سيِّدنا عليِّ بن موسى الرِّضا[1]، وهو من أبيه الإمام موسى الكاظم[2]، وهو من أبيه الإمام جعفر الصَّادق[3]، وهو من أبيه الإمام محمَّد الباقر[4]، وهو من أبيه الإمام زين العابدين عليٍّ[1]، وهو من أبيه الإمام الحُسين

=

صـ١٨١ـ، و«إرشاد المسلمين» صـ٢٠ـ، و«روضة الناظرين» للوتري صـ١٢ـ.

(١) الإمام علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضا (١٥٣-٢٠٣)هـ: من أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم، ولد في المدينة، وكان أسود اللون، أمه حبشية، وأحبَّه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، ومات علي الرضا في حياة المأمون بطوس، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتم له الخلافة. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣/ ٢٦٩، و«الأعلام» للزركلي ٥/ ٢٦.

(٢) الإمام موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن (١٢٨-١٨٣)هـ: كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد، ولد في الأبواء (قرب المدينة)، وسكن المدينة، فأقدمه المهدي العباسي إلى بغداد، ثم ردَّه إلى المدينة، وبلغ الرشيد أنَّ الناس يبايعون للكاظم فيها، فلما حجَّ مرَّ بها سنة (١٧٩)هـ فاحتمله معه إلى البصرة وحبسه عند واليها عيسى بن جعفر، سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد فتوفى فيها سجيناً، وقيل: قتل، وكان على زِيِّ الأعراب، مائلاً إلى السواد. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٥/ ٣٠٨، و«الأعلام» للزركلي ٧/ ٣٢١.

(٣) الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﭬ (٨٠-١٤٨)هـ: كان من سادات أهل البيت، ولُقِّبَ بالصَّادق لصدقه في مقالته، وفضلُه أشهر من أن يذكر، وتوفي بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبرٍ فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي ﭬ، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ١/ ٣٢٧، و«الأعلام» للزركلي ٢/ ١٢٦.

(٤) الإمام أبو جعفر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﭬ، ملقب بالباقر (٥٧-١١٣)هـ: كان الباقر عالماً سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر؛ لأنه تبقر في العلم، أي توسع،
=

السِّبط شهيد كربلاء، وهو من أبيه أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه، وهو من ابن عمِّه سيِّد الخلق رسول الله ﷺ.

والشَّيخ الثَّالث: الذي انتسب الشَّيخ منصورٌ إليه وبلغ الفطام في طريق الله على يديه، ولبس منه الخرقة، هو عمُّه الإمام الجليل، ذو الذِّراع الرَّحب، والباع الطَّويل، شيخ الكلِّ في الكلِّ، حُجَّةُ الله في أرضه، الشَّيخ معزُّ الدِّين أبو محمَّدٍ طلحةُ الشَّنبكيُّ، ابن الشَّيخ موسى أبي سعيدٍ الحسيني لأمِّه، الأنصاريِّ البطائحيِّ[2] رضي الله عنه، وهو أيضاً خال والد أمِّ الشَّيخ منصور، السَّيِّدة الشَّريفة رابعة

=

والتبقر: التوسع، كان عمره يوم استشهد جده الحسين رضي الله عنه، ثلاث سنين، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتوفي بالحميمة، ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي رضي الله عنهم، في القبَّة التي فيها قبر العباس رضي الله عنهم. «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٤/ ١٧٤.

(١) هو الإمام أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، المعروف بزين العابدين، ويقال له علي الأصغر، وليس للحسين رضي الله عنه عَقِبٌ إلاَّ من ولد زين العابدين رضي الله عنه (٣٨-٩٤)هـ: هو من سادات التابعين، قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه، وفضائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تحصر، وتوفي بالمدينة، ودفن في البقيع في قبر عمِّه الحسن بن عليٍّ، في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنهم. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣/ ٢٦٦-٢٦٩.

(٢) هو الشيخ الكبير معزُّ الدين طلحة أبو محمد الشنبكي ابن الشيخ موسى ابن الشيخ كامل الأنصاري تـ(٤٩١)هـ: التحق بقبيلة الشَّنابكة من الأكراد شابّاً، ونشأ بينهم ونُسِب إليهم، فيقال: الشنبكي، كان معدن الأحوال النفيسة، والمقامات الجليلة، وهو أحد أركان هذا الطَّريق، وأجلُّ أئمَّتها البارعين ورؤساء ساداتها المحقِّقين، وأعلام العلماء بأحكامها، وانتهت إليه رياسة هذا الشأن في وقته، وبه تخرَّج السَّالكون الصَّادقون مثل الشيخ أبي الوفاء، والشيخ منصور والشيخ عزاز رضي الله عنهم وغيرهم، وكان رضي الله عنه شريف الأخلاق كامل الأدب وافر العقل كثير التواضع، وكان في بدايته يقطع الطريق على القوافل فتاب على يد أبي بكر بن هوار البطائحي رضي الله عنه، وتولَّى أمره ثلاثة أيام ثمَّ قال له في اليوم الرابع، يا أبا محمد، اذهب إلى الحداديَّة واجلس بها وادع إلى الله عز وجل فقد صرت شيخاً مكمَّلاً، توفي رضي الله عنه في الحدادية من واسط رحمه الله تعالى. انظر: «إرشاد
=

الطَّاهرة الحسينيَّة، وقد كانت تدخل على الشَّيخ أبي محمَّدٍ الشَّنبكيِّ، والشَّيخ منصورٌ حَمْلٌ في بطنها، فينهض لها قائماً، فقيل له في ذلك فقال: أقوم للجنين الذي في بطنها؛ فإنَّه من أعزِّ المقرَّبين إلى الله ﷻ، ومن أعلام الطَّريقة الهادين إلى الله، ويوشك أن تنتهي إليه نوبة الوقت، ويندرج تحت أمره ونهيه أهل زمانه على الإطلاق، وكان كما قال رضي الله عنه.

لبس الشَّيخ أبو محمَّدٍ الشَّنبكيُّ الخرقة من شيخه إمام الدَّوائر الشَّيخ أبي بكرٍ الهوازنيِّ البطائحيِّ[1] رضي الله عنه، وهو لبسها في النَّوم بأمر النَّبيِّ ﷺ من سيِّدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين أبي بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه، وهو من سيِّد الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام.

وإنَّ خرقة الصِّديق رضي الله عنه التي ألبسها للشَّيخ أبي بكرٍ الهوازني هي ثوبٌ وطاقيَّةٌ، ولـمَّا استيقظ من منامه وجدهما عليه، وانتهت بسبب ذلك إليه مشيخة العصر، وكان أجلَّ أهل وقته على الإطلاق، ثم اجتمع بسيِّد الصُّوفيَّة الإمام سهل بن عبد

=

المسلمين» للفاروثي صـ٢١ـ، و«الطبقات الكبرى» للشعراني رقم ٢٥١، صـ١٧٩ـ، و«روضة الناظرين» للوتري صـ٢٦ـ.

(١) هو الشيخ أبو بكر بن هوار الهوازنيُّ البطائحيُّ: كان في بداية أمره يقطع الطَّريق بالبطائح، وله أعوانٌ هو مُقدَّمُهم، فسمع ليلةً امرأةً تقول لزوجها: أنزل بنا هنا لكيلا يرانا ابن هوارٍ وأصحابه فيأخذون أموالنا، فوقع وارد الخوف في قلبه، وقال: الأمان يارب، هؤلاء يخافون منِّي، أَمَا آن لي أن أخافك، وتاب في الحال وتاب معه أصحابه، وتجرَّدوا في الصحراء على قدم الصِّدق، وتوجَّهوا إلى الله تعالى، وهو أول من ألبسه سيِّدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخِرقَةَ ثوباً وطاقيةً في النَّوم، فاستيقظ فوجدهما عليه، وكان رضي الله عنه يقول: أخذت من ربي عز وجل عهداً أن لا تحرق النار جسداً دخل تربتي، ويقال إنها ما دخلها سمك، ولا لحم قط فأنضجته النار أبداً، وانعقد إجماع المشايخ من أهل عصره على جلالته، وعلو مقامه، سكن الشيخ ابن هوار البطائح حتَّى مات بها، ودفن في أرض الملحا رحمه الله تعالى. انظر: «ترياق المحبين» للحافظ الواسطي صـ٤٢ـ، و«الطبقات الكبرى» للإمام الشعراني رقم ٢٥٠، صـ١٩٦ـ.

الله التُّستَريِّ ﷺ، فلبس خرقته وأخذ منه سرَّ الطَّريق، وهو من الشَّيخ ذي النُّون المصريِّ، وهو من الشَّيخ إسرافيل المغربيِّ[1]، وهو من سيِّدنا أبي عبد الله محمَّدٍ حبيشة التَّابعيِّ ، وهو من سيِّدنا جابر الأنصاريِّ الصَّحابيِّ، وهو من سيِّدنا ومولانا أمير المؤمنين عليٍّ كرَّم الله وجهه ورضي عنه وعنهم أجمعين، وهو من ابن عمِّه روح الوجود عليه صلاة الله وسلامه.

فائدة:

ذكر بعضهم أنَّ الشَّيخ حبيباً العجميَّ الذي تقدَّم ذكره العالي في السَّند الأوَّل قبل أن يُكمل فطامه في الطَّريق على يد الإمام الحسن البصريِّ، كان لبس خرقةً من الإمام أبي بكرٍ محمَّد بن سيرين[2]، وهو من أنس بن مالكٍ ﷺ، وهو من رسول الله ﷺ.

ويُروى أنَّ الإمام جعفر الصَّادق أخذ علم الباطن عن جدِّه لأمِّه الإمام القاسم بن محمَّدٍ ابن سيِّدنا الإمام أبي بكرٍ الصِّدِّيق[3] رضي الله عنهم أجمعين، وهو أخذ

---

(١) هو الشيخ إسرافيل المغربي: كان من سادات الصُّوفيَّة الزُّهاد، ورؤوس الأولياء العبَّاد، بحيث تميَّز على أعيان صوفيَّة مصره، وترجَّح على كثيرٍ من أكابر عصره، وله كلامٌ كثير في التَّوكُّل والزُّهد، والتَّسليك والرُّشد، سأله بعضهم عن ست مئة مسألةٍ، منها: هل تُعَذَّبُ الأشرارُ قبل الزَّلل؟ فقال: أمهلني ثلاثة أيَّامٍ، فأمهله، وأتاه في الرَّابع، فقال: يمكن العذاب قبل الزَّلل، والثَّواب قبل العمل، وصعق صعقةً فمات ﷺ. «الطبقات الصغرى» للمناوي رقم ١٧٤.

(٢) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر (٣٣-١١٠)هـ: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، من أشراف الكُتَّاب، مولده لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وكان أبوه سيرين مكاتباً لأنس بن مالك، وكان محمد بن سيرين من أورع التابعين وفقهاء أهل البصرة وعبَّادهم، وكان يعبر الرؤيا، رأى ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ، ومات بالبصرة في شوال بعد الحسن بمائة يوم، وقبره بإزاء قبر الحسن بالبصرة مشهورٌ يزار. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» لابن حبان رقم ٦٤٣، صـ١٤٣ـ، و«الأعلام» للزركلي ٦/ ١٥٤.

(٣) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد (٣٧ - ١٠٧)هـ: أحد الفقهاء السبعة في المدينة، =

عن سيِّدنا سلمان الفارسي ﵁، وهو أخذ عن سيِّد المرسلين صلى الله عليه وآله الطَّاهرين وصحبه أجمعين.

وقد صحَّ أن سلمان تلقَّى علم الباطن عن أمير المؤمنين عليٍّ، وهو عن ابن عمِّه ﷺ فلا فرق، إذ الكلُّ راجع إليه صلوات الله عليه.

[الطريق الثالث في السَّند الشَّريف وما فيه يدٌ من غير أهل البيت:]

قال الجِهبِذ الأنصاري قدَّس الله سرَّه في «العقود»: «قال شيخنا الفاروثيُّ في الفصل الثاني من كتابه[1] عند ذكر السَّيِّد عليٍّ الرِّفاعيِّ[2] والد الإمام الأكبر أبي

=

ولد فيها، وتوفي بقديد - بين مكة والمدينة - حاجاً أو معتمراً، وكان صالحاً ثقةً من سادات التَّابعين، وكان صموتاً لا يتكلم، لازماً للورع والنسك، مواظباً على الفقه والأدب على ما كان يرجع إليه من العقل والعلم، عمي في أواخر أيَّامه، قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه. انظر: «مشاهير علماء الأنصار» لابن حبان رقم ٤٢٧، صـ١٠٥ـ، و«الأعلام» للزركلي ٥/ ١٨١.

(١) أي في «إرشاد المسلمين» لعز الدين الفاروثي صـ٢٧-٢٨ـ.

(٢) هو سلطان العارفين السَّيِّد عليٌّ أبو الحسن، ابن السيد يحيى بن ثابت الحسيني (٤٥٩-٥١٩)هـ: توفي أبوه السَّيِّد يحيى وعُمُرُ ولده السَّيِّد عليٍّ سنةً واحدةً، فكفله أخواله الأنصار، وبنو خالته آل الصَّيرفيّ أمراء البصرة المشهورون، فأتقن قراءة القرآن، وتعلَّم علوم الشَّريعة وصحب خاله الشَّيخ يحيى النَّجاريّ، وابن عمه الشَّيخ أبا منصور، وتفقه بالشَّيخ أبي حسين الحربوني وبالفارقي، وبجماعة من الأعيان، واتصل بخدمة خاله الشَّيخ يحيى، فترك البصرة ونزل إلى البطائح فاستوطنها، بأمرٍ من الشَّيخ منصور سنة (٤٩٧)هـ، وبتلك السَّنة تزوَّج ببنت خاله أخت الشَّيخ منصور الشَّيخة الصَّالحة المعمِّرة فاطمة الأنصارية، فأعقب منها شيخ مشايخ الإسلام السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ، والسَّيِّدة ست النَّسب، والسَّيِّد إسماعيل والسَّيِّد سيف الدِّين عثمان، وهو الذي توفي أبوه وهو حملٌ في بطن أمه، وقد سكن السَّيِّد عليٌّ بقرية حسن، قرب بلدة الشَّيخ منصور، وهي قريةٌ محاذيةٌ لأم عبيدة، فشيد بها رواقه، وتوفي - رحمه الله تعالى - ببغداد وعمل عليه الأمير مالك مشهداً برأس القرية، وكان السَّيِّد عليٌّ يقول وهو يجود بروحه الطَّاهرة: آمنت بالله، حسبي الله. انظر: «إرشاد المسلمين» لعز الدِّين الفاروثي صـ٢٦-٢٧ـ، و«روضة الناظرين» للوتري صـ٢٩ـ.

العلمين ﷺ: «لبس - يعني: السَّيِّد عليّاً - خِرقَةَ أهل البيت من ابن عمِّه السَّيِّد حسن ابن السَّيِّد محمَّد عسلة الرِّفاعيِّ[1]، وهو لبسها من ابن عمِّه السَّيِّد يحيى الرِّفاعيِّ[2] نقيب البصرة المهاجر من المغرب، وهو لبسها من أبيه السَّيِّد ثابتٍ بن حازمٍ الإشبيليِّ الرِّفاعيِّ[3]، وهو لبسها من أبيه السَّيِّد عليٍّ الحازم أبي الفوارس

(١) هو السَّيد حسن ابن السيد محمد عسلة ابن السيد الحازم تـ(٤٨٧)هـ: ربَّاه ابن عمِّه السيد يحيى بن ثابت بن الحازم وأرشده وألبسه خرقة بيتهم وأقرأه علوم الدين، ولما بلغ أشده زوجه ببنت الشيخ الإمام محمد القرشي المعروف بالقارئ والد الشيخ الإمام بركة الإسلام أبي الفضل علي الواسطي القارئ شيخ سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي ﷺ، فأولدها السيد الجليل سيف الدين عثمان، توفي بالبصرة، ودفن بمشهد فم الدير بالسبيليات. انظر: «الوظائف الأحمدية» للإمام الصياد صـ١٣١ـ، و«خلاصة الإكسير» لأبي الحسن الواسطي صـ٦٧ـ.

(٢) السَّيِّد يحيى بن السَّيد ثابت ابن السيد الحازم الحسيني تـ (٤٦٠)هـ: هو أوَّل من سكن العراق من الرِّفاعيَّة، قدم من إشبيلية إلى الحجاز ومعه ابن عمه السيد حسن، ابن السيد محمد عسلة، وبيده شجرة نسبهم الطَّاهرة، وعليها خطوط ملوك بلاد المغرب وساداتها وأوليائها وعلمائها، فلمَّا وصل إلى المدينة المنورة وزار النَّبيَّ ﷺ شهدت له من قوافل المغرب الألوف بصحَّة النَّسب في الحرم النَّبويِّ الكريم، وأقرَّ له النَّسابون من سادات أهل البيت سكنة المدينة المنورة، وسُجِّل ذلك في دفتر الشَّرف المحفوظ بخزانة آل الأعرج أمراء المدينة بني الحسين ﷺ، وقد جرى مثل ذلك في بيت الله الحرام، وسجل الأمر وحفظت رقعة التَّسجيل، فَعُلِّقَت في بطن الكعبة حرسها الله وكان ذلك سنة (٤٥٠)هـ وفي تلك السَّنة انحدر السَّيِّد يحيى من الحجاز إلى البصرة، فبلغ خبر قدومه الخليفة القائم، فاستدعاه إلى بغداد وأكرم قدومه وأعظم شأنه، وفوَّض له نقابة البصرة والبطائح وواسط، وأحيا الله به شرف الآل الكرام، والسُّنَّة المحمَّديَّة، ودفع ببركة إخلاصه ثائرة الشِّقاق، واشتهر بالزُّهد والصَّلاح والولاية الكبرى، والمعارف الإلهية العُظمى وتزوَّج بالأصيلة علماً الأنصاريَّة بنت وليِّ الله الحسن النَّجاريِّ والد الإمام الشَّيح يحيى، وتوفي ودفن بالبصرة في فم الدير رحمه الله تعالى ورضي عنه. انظر: «الوظائف الأحمدية» صـ١٣١ـ، و«إرشاد المسلمين» لعز الدين الفاروثي صـ٢٤-٢٦ـ، و«تاريخ الخلفاء» لابن السَّاعي صـ١١٠-١١٥-.

(٣) السيد الثابت بن السيد الحازم الحسيني تـ (٤٢٧)هـ: ولد بإشبيليه وتوفي بها، وكان مهيباً بالله حسن القراءة حسن الحفظ حسن الصوت تنفح رائحة النُّبوَّة من أثوابه، وكان ملوك المغرب على الإطلاق تتبرك بذكر السيد الثابت بن رفاعة العلوي، وإذا ورد على أحد منهم كتاب منه فكأنما =

الرِّفاعيِّ[1]، [وهو لبسها من أبيه السَّيِّد أحمد أبي عليٍّ المرتضى[2]]، وهو لبسها من أبيه السَّيِّد عليٍّ أبي الفضائل الرِّفاعيِّ[3]، وهو لبسها من أبيه السَّيِّد الحسن رفاعة أبي المكارم المكِّيِّ[4] نزيل إشبيليَّة المغرب، [وهو لبسها من أبيه السَّيِّد مهدي المكِّيِّ أبي

=

بُشِّر بفتح قطر لزيادة اعتقادهم به وإعظامِهم لشأنه، وإنه لحقيقٌ بذلك؛ فإنه لم يكن به نفس لغير الله تعالى، أعقب يحيى وعليّاً. انظر: «خلاصة الإكسير» صـ٢٠ـ.

(١) السيد حازم ويسمونه عليّاً أيضاً ابن السيد أحمد ابن السيد علي تـ(٣٨٥)هـ: كان السيد حازم المذكور إماماً يُقتدى به، وجبلاً يُلتجأ إليه، توفي السيد علي الحازم بإشبيلية، أعقب الثابت وعبدالله ومحمد عسلة ﷺ. «خلاصة الإكسير» صـ٢٠ـ.

(٢) السيد أحمد، كنيته أبو علي ولقبه المرتضى تـ(٣٧٠)هـ: كان فقيهاً عابداً عارفاً صاحب كرامات خارقةٍ، وأحوال صادقةٍ، كان كثير الصَّلاة على رسول الله ﷺ، كثير الذِّكر لله تعالى لا يتكلم بشيءٍ من أمر الدُّنيا إلَّا إذا اضطُر، توفي بإشبيلية، ودفن بمشهدهم مع أبيه وجده. انظر: «خلاصة الإكسير» صـ٢٠ـ.

(٣) علي أبو الفضائل المغربي الإشبيليُّ الحسينيُّ تـ(٣٥٣)هـ: هو حجَّة العارفين، سيِّد الزَّاهدين، سئل عن المحبَّة فنظر إلى شجرةٍ أمامه وتأوَّه، ورماها بنفسه فاضطرمت ناراً، ثم قال: المحبَّة هكذا، توفي بإشبيلية، ودفن بمشهد أبيه في مقابر قريش، وأعقب: أحمد ورفاعة وكنانة وهزاعاً وغالباً. انظر: «خلاصة الإكسير» صـ١٩ـ، و«ذخيرة المعاد» للسيد أبي الهدى صـ٢٣ـ.

(٤) السيد رفاعة الحسن المكيِّ (٢٨٠-٣٣١)هـ: الشريف النقي التقي، ولد بمكة، وألبسه أبوه خرقته الشريفة الكاظمية عام وفاته وهو ابن إحدى عشرة سنة، وسنده في الخرقة أب عن أب إلى رسول الله ﷺ، وقد كان السيد رفاعة مُهيب الجانب مُعَظَّم القدر زاهداً مُنجمعاً عن الناس، وبقي على شأنه حتى دخل القرامطة لعنهم الله مكة عام (٣١٧)هـ، وفعلوا في بيت الله الحرام ما فعلوا من النهب والسلب والقتل والإلحاد والظلم وقتلوا الشريف ابن محارب أمير مكة وكثيراً من العلويين وادّعَوا في ذلك امتثال أمر العبيديين جماعة الأندلس، فذهب السيد رفاعة إلى المغرب؛ لإقامة الحجة على العبيديين فيما فعله القرامطة، فدخل إشبيلية وعظّمه ملوكها، وانقاد إليه رجال المغرب ثم أقام ببادية إشبيلية مع جماعة من بني شيبان، وتزوج بامرأة من الأشراف الإدريسية يقال لها نبهاء بنت أحمد الحسني، وبقي مُكرّماً محفوظ الحُرمة إلى أن توفي بإشبيلية، وله مشهد في مقابر قريش يُزار ويُتبرك به. انظر: «الوظائف الأحمدية» صـ١٣١ـ، و«خلاصة الإكسير» صـ١٨ـ.

رفاعة[1]]، وهو لبسها من أبيه السَّيِّد أبي القاسم مُحمَّدٍ البَغداديِّ الحسينيِّ[2] نزيل مكَّة، وهو لبسها من أبيه السَّيِّد الحسن القاسم أبي موسى رئيس بغداد الحسينيِّ[3]، وهو لبسها من أبيه السَّيِّد الحسين عبد الرَّحمن، المحدِّث المعروف **بالرّضي** الحسينيِّ القطيعيِّ[4]، وهو لبسها من أبيه السَّيِّد أحمد الصَّالح الأكبر الحسينيِّ[5]، وهو لبسها

---

(١) السيد مهدي المكي أبو رفاعة التقي الزكي تـ(٢٩١)هـ: شيخ أهله صاحب البركات والمحامد الصَّائم القائم الفقيه العالم القطب الفرد، أجمع صوفية عصره على تفرُّدِهِ في وقته، حكى القاضي التنوخي عنه أنه مكث أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ومع كلِّ ذلك ما غاب عن أداء ما فُرض عليه، توفى بمكة، وأعقب عدنان ويحيى ورفاعة الحسن المكي. انظر: «الوظائف الأحمدية»صـ١٣١ـ، «خلاصة الإكسير» صـ١٨ـ.

(٢) السيد أبو القاسم محمد تـ(٢٦٥)هـ: نزل مكة مع أبيه الحسن رئيس بغداد وعكفت عليه القلوب، وألقى الله محبته في الصُّدور، وكان على جانبٍ عظيمٍ من حُسْن الخُلُق والسَّخاء والزُّهد والصِّدق، توفى السيد محمد أبو القاسم بمكة، وعقبه من ولده السيد مهدي المكِّيِّ. انظر: «خلاصة الإكسير»صـ١٧ـ.

(٣) السيد الحسن القاسم أبو موسى رئيس بغداد شيخ بني هاشم تـ(٢٢٦)هـ: قال ابن ميمون في «مشجره»: ما أنجب الطالبيون في عصر الحسن القاسم أعظمَ منه مقاماً، وأرفع منزلة، وأكمل علماً، وأزكى عملاً، وعلى هذا فهو سيد عصره بلا ريب. نزل الحسن رئيس بغداد مكَّة ببعض أولاده وأبقى بقيةً ببغداد، وأقام بمكَّة محفوظ الحرمة موقَّر المقام حتى مات بها، وعقبه من رجلين موسى ومحمد أبي القاسم ولهما ذريةٌ وذيلٌ طويل. انظر: «الوظائف الأحمدية»صـ١٣١ـ، و«خلاصة الإكسير» صـ١٦ـ.

(٤) السيد أبو عبد الله الحسين، لقبه الرضي، ويقال له: المحدث والقطيعي نسبة للقطيعة محلة ببغداد تـ(٢١٩)هـ: توسع في علم الحديث وعلوم القرآن وكان فقيهاً عظيماً ذا محلٍّ ببغداد ورياسة، وكان يقال له سيد آل أبي طالبٍ، وكانوا يشبهونه بعليٍّ ﷺ، توفى ببغداد، ودفن بمقبرة القطيعة، وأعقب القاسم – وهو الذي سمي بالحسن وبه اشتُهِر – وعلياً الأسود والحسن أبا أحمد وحمزة. انظر: «الوظائف الأحمدية» صـ١٣١ـ، و«خلاصة الإكسير»صـ١٦ـ.

(٥) السيد أحمد الصَّالح الأكبر تـ(٢١٦)هـ: شيخ أهل البيت في عصره، أجمع أهل زمانه على تفرده وعلوِّ قدمه وصلاحه، وكان مُجاب الدَّعوة نافذ البصيرة ذا هيبةٍ في قلوب العامَّة والخاصَّة، وله المحل العالي في نفوس الخلفاء، وكان جليل الشأن إذا تكلم سكت النَّاس، وإذا سكت هابوه، =

من أبيه السَّيِّد موسى الثَّاني الحُسينيِّ[1]، وهو لبسها من أبيه الأمير الجليل السَّيِّد إبراهيم المرتضى الحُسينيِّ[2]، وهو لبسها من أبيه الإمام موسى الكاظم الحسينيِّ، وهو لبسها من أبيه الإمام جعفر الصَّادق الحسينيِّ، وهو لبسها من أبيه الإمام محمَّدٍ الباقر الحسينيِّ، وهو لبسها من أبيه الإمام زين العابدين عليٍّ السَّجَّاد، وهو لبسها من أبيه الإمام الحسين السِّبط عليه السلام، وهو لبسها من أبيه أمير المؤمنين عليٍّ الكرَّار عليه السلام، وهو لبسها من ابن عمِّه سيِّد المرسلين، حبيب ربِّ العالمين ﷺ، وهو صلَّى عليه مولاه قال: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**»[3].

=

مات ببغداد، وبلغ خبره المأمون وهو بدمشق، فبكى وقال: انطوى مصحفٌ جليلٌ من مصاحف العلوم النَّبويَّة، ودفن بمقابر قريش وراء مشهد جده الكاظم رضي الله عنه، أعقب من ثلاثة رجال: أبي عبد الله الحسين وأبي اسحق إبراهيم وعليٍّ الأحول. انظر: «الوظائف الأحمدية» صـ١٣١ـ، و«خلاصة الإكسير» صـ١٥ـ.

(١) السيد موسى الثَّاني ويقال له: أبو سبحة، وأبو يحيي تـ(٢١٠)هـ: وإنَّما لُقِّبَ بأبي سبحة لكثرة تسبيحه، كان سيداً جليلاً خاشعاً ورِعاً عارفاً، قَدِمَ بغداد مع أبيه واستوطنها وتوفي بها، ودفن بمقابر قريش بالقرب من مرقد جدِّه الكاظم، أعقب من ثمانية رجالٍ: أربعة منهم مقلون، وأربعة مكثرون، أما المقلون: فعبد الله وعيسى وعلي وجعفر، وأما المكثرون: فمحمد الأعرج وأحمد الأكبر وإبراهيم العسكري والحسين القطعي. انظر: «الوظائف الأحمدية»صـ١٣٠ـ، و«خلاصة الإكسير»صـ١٥ـ.

(٢) سيدنا الإمام إبراهيم المُرتضى: لقبه المُجاب، وأمُّه أمُّ ولدٍ اسمها نجية، استولى على اليمن وامتدت حكومته إلى السَّاحل وآخر القرن الشَّرقيِّ من اليمن، وحجَّ بالنَّاس في عهد المأمون، ولما انتصب خطيباً في الحرم الشَّريف دعا للمأمون ولولي عهده الإمام عليٍّ الرِّضا بن الكاظم، مات مسموماً ببغداد سنة ست وقيل سنة سبع وقيل سنة تسع بعد المائتين، كان أحد أئمَّة أهل البيت وكانوا يلقِّبونَه الهادي إلى الله، أعقب من ثلاثة رجال بلا خلافٍ: موسى أبو سبحة الذي يقال له موسى الثاني، وجعفر، وإسماعيل. انظر: «الوظائف الأحمدية» صـ١٣٠ـ، و«خلاصة الإكسير» صـ١٤ـ.

(٣)رواه عن سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه: الإمام الرفاعي في «حالة أهل الحقيقة مع الله» رقم ١٨ بسنده عن ابن عمِّه السَّيِّد عثمان، المعروف بسند آل البيت.

=

وهذه الخرقة الشَّريفة يتداولها أسيادُنا بنو رفاعة بينهم، ما فيها يدٌ من غير أهل البيت؛ ولذلك يسمُّونها خرقة أهل البيت.

لبس هذه الخرقة الطَّاهرة سيِّدُنا السَّيِّد أحمد الكبير من ابن عمِّه السَّيِّد عثمان[1]، والسيد عثمان تربَّى في طريق الصُّوفيَّة بتربية السَّيِّد أحمد، وعنه أخذ طريق

=

وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» رقم (٣١٠) لابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، ولفظه كما ذكره المناوي في «فيض القدير» رقم ٣١٠، ١/ ٢٩٠: « **إنَّ الله أدَّبني فأحسن أدبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق، فقال:** ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف]»، وقال: هذا سياق رواية السمعاني بحروفه.

وقال أيضاً ١/ ٢٩١: قال الزركشي: حديث: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**» معناه صحيحٌ، لكنَّه لم يأت من طريقٍ صحيحٍ، وذكره ابن الجوزي في «الواهيات» عن عليٍّ رضي الله عنه في ذيل حديثٍ وضعَّفَه، وأسنده سبطه في «مرآة الزمان» وأخرجه بطرقٍ كلها تدور على السدي عن ابن عمارة الجواني عن عليٍّ، وفيه فقال: يا رسول الله، إنَّك تكلِّم الوفود بكلام أو لسان لا نفهم أكثره، فقال: «**إنَّ اللهَ أدَّبَني فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي وَنَشَأْتُ في بَنِي سَعدٍ**»، فقال له عمر: يا رسول الله، كلنا من العرب فما بالك أفصحنا، فقال: «**أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلمني إياها**»، وصحَّحَه أبو الفضل بن ناصر.

قال المؤلف ـ أي السيوطي ـ: وأخرج العسكري عن علي رضي الله عنه، قال: قدم بنو فهد بن زيد على المصطفى ﷺ، فقالوا: أتيناك من غور تهامة، وذكر خطيبهم وما أجابهم المصطفى ﷺ، قال: فقلت: يا نبي الله ﷺ، نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلدٍ واحدٍ وإنَّك تُكلِّم العرب بلسانٍ لا نفهم أكثره، فقال: «**أدبني ربي ...**» إلى آخره، وأخرج ابن عساكر أن أبا بكرٍ قال: يا رسول الله ﷺ، طفت في العرب وسمعت كلام فصائحهم فما سمعت أفصح منك فمن أدَّبك، قال: «**أدبني ربي ونشأت في بني سعد**»، قال: وإسناده ضعيف، وقال السخاوي: ضعيف وإن اقتصر شيخنا ـ يعني : ابن حجر ـ على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه.

(١) سيف الدين عثمان ابن السيد حسن ابن السيد محمد عسلة الرفاعي الحسيني ت(٥٥٠)هـ: ولد بالبصرة ونشأ بها، وتزوج بالسيدة ست النسب أخت السيد أحمد **رضي الله عنهما** وأعقب منها الولي الجليل السيد عبد السلام وأخويه الإمامين مهذب الدولة عليّاً وممهد الدولة عبد الرحيم الَّذَيْنِ زوَّجهما الإمام الرِّفاعيُّ من بنتيه الطَّاهرتين السَّيِّدة زينب، والسيِّدة فاطمة ذات النور، والعقب المبارك الأحمدي من هذين السَّيِّدين وهاتين السَّيِّدتين رضي الله عنهم، وقد اشتهر أمر السيد عثمان بن حسن في الآفاق،
=

القوم وبه تخرَّج، إلاَّ أنَّ خرقة البيت انتهت إليه في وقته فلبسها السَّيِّد أحمد عنه، وهو لبسها من ابن عمِّ أبيه سلطان العارفين أبي المحامد السَّيِّد عليٍّ المكِّيِّ صاحب هذا السَّند والد شيخنا السَّيِّد أحمد - رضي الله عنه وعنهم أجمعين، ونفعنا بهم يوم العرض، إنَّه وليُّ المتَّقين -».

تحفة:

خِرَقُ القَومِ كُلُّهَا بَرَكَاتٌ ... ذَاتُ وَصْلٍ عَارٍ مِنَ الانْقِطَاعِ

وأَجَلُّ الجَمِيعِ قُرْبَاً وَفَتْحَاً ... خِرْقَةُ السَّيِّدِ الكَبِيْرِ الرِّفَاعِي

قال شيخ مشايخنا القطب الغوث السَّيِّد عزُّ الدِّين أحمد الصَّيَّاد[1] سبط الإمام الرِّفاعيِّ رضي الله عنهما في كتاب «المعارف المحمَّديَّة في الوظائف الأحمديَّة»[2]: «كان الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبدٍ البصريُّ[3] ﷺ يقول: السَّيِّد أحمد وَجْهٌ لا يُخْزِيهِ

=

وانتسب إليه أمةٌ من أعلام الأمة، توفي بتل الحيِّ قرب البصرة - رحمه الله تعالى ورضي عنه -. انظر: «خلاصة الإكسير» صـ٧٤ـ، و«روضة الناظرين» للوتري صـ٦٥ـ، و«ذخيرة المعاد» صـ٢٨ـ.

(١) هو القطب الجواد، الإمام السيد عزُّ الدِّين أحمد الصَّيَّاد ابن السيد ممهِّد الدَّولة عبد الرَّحيم الرِّفاعيُّ الحُسينيُّ، سبط الإمام الرِّفاعيِّ من بنته السيدة زينب ﷺ (٥٧٤ - ٦٧٠)هـ: ولد ﷺ قبل وفاة جدِّه الإمام الرِّفاعيِّ بأربع سنين، وقد أجازه جدُّه وعمره أربع سنين، ولما كبر سلك على يد أخيه السيد عبد المحسن وتخرَّج بصحبته، وتفقَّه وتلقَّى علم التَّفسير والحديث من الشَّيخ عبد المنعم الواسطيِّ، وكان كثير الخشوع والحياء من الله تعالى زائد البكاء قليل الكلام، ولما اشتهر طاف البلاد خوفاً من آفة الشهرة، وظهرت على يديه الكرامات، وبنيت له الربط والزوايا حيث حلَّ، إلى أن دخل متكين من أعمال معرة النعمان، وبها توفي - رحمه الله تعالى ورضي عنه - ودفن في قبَّته المباركة تجاه باب الرواق. انظر: «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٠١-١٠٦ـ، و«تنوير الأبصار»صـ٤٦-٤٨ـ.

(٢) صـ٤٠-٤٤ـ.

(٣) هو الشيخ أبو القاسم محمد بن عبد الله البصري من أعيان مشايخ العراق، وعظماء العارفين، وأجلاء المقربين، وصاحب العجائب والغرائب، مالكي المذهب، سكن بالبصرة وبها مات سنة =

اللهُ في أتباعه أبداً، وكذلك كان الشَّيخ الكبير أحمد الزَّعفرانيُّ يقول.

وكان أكابر العصر يقولون في شأن السَّيِّد أحمد ﷺ:

إِذَا نَظَـرْتَ إلى الـدُّنْيَـا وَهَـيْـئَـتِـهَـا فَانْـظُـرْ إلى مَـلِكٍ فـي زِيِّ مِسْـكِـيْـنِ

إِنْ كان يَصْـلـحُ لِلـدُّنْيَا سِوَاهُ فَتَـى فَـذَاكَ يَصْلُـحُ لِلـدُّنْيَـا وَلِلـدِّيْـنِ

وكان ﵁ مؤيَّداً مُحكَّماً في القلوب، قاهراً لنفسه، حاكماً عليها، مكيناً في طوره، عظيم الجناب، هيِّن الجانب، سليم الصَّدر، ليِّن العريكة، مهملاً للدُّنيا، مُقبلاً على الله، لا تُريعه حوادث الأكوان، ولا يستبشر لشيءٍ من بهارجها، متمكِّناً في مقامه، لا تُحرِّكه الزَّعازع، ولا تقلقه الواردات، صعباً على أهل البدعة، هيِّناً على أهل الحقِّ كالسَّحاب المبارك، أين وقع نفع.

لم يخالف قوله فعله، وكلُّ أفعاله وحركاته وسكناته وأنفاسه لله تعالى، ولا يهاب ملوك الدُّنيا، ولا يترفَّع على الضُّعفاء والفقراء، ويجلس مع المساكين، ولا يُعرَفُ بينهم، ويخدمهم بنفسه، ويطوف في الرُّواق على حِلَقِ الفقراء وقت الطَّعام، ويُحرِّض الإخوانَ على خدمة الإخوان، ويقول: **اخدموا إخوانكم لأجل الله تعالى، وإيَّاكم والأعمالَ التي تنصرف لغير الله.**

وكان لا يقوم لأحدٍ من كبار الدُّنيا، ولا يعبس في وجه أحدٍ من المساكين، ويجمع رواقه كلَّ يومٍ وليلةٍ أكثر من عشرين ألفاً، يمدُّ لهم السِّماط صباحاً ومساءً، ومُحيَّاه المبارك يجمع أكثر من مائة ألف إنسانٍ، ويقوم بكفاية الجميع ونحن معاشرَ أهل بيته وهو أيضاً كآحاد الفقراء، وكان لا يملك شيئاً من عَرَض الدُّنيا، وإذا صار له شيءٌ منها أنفقه في الحال.

=

(٥٨٠)هـ . «الطبقات الكبرى» للشعراني رقم ٢٧١، صـ٢٢٠ـ.

وأمَّا أبراج الرِّواق وضِياعه وبساتينه وأحباسه فهي أزيد من أملاك الملوك، وتُصْرَف كلها يوماً فيوماً على فقراء الرِّواق، وهو بمعزلٍ عنها ولا مَسَّ بيده من ناتجها درهماً ولا ديناراً، بل كان وكلاء الرِّواق من أصحابه يأخذونها وينفقونها في الله لله...

وكان يأمر بتعظيم العِلمِ والعلماء ويقول: **العلماءُ العاملونَ بشريعة رسولِ الله ﷺ هم الأولياءُ المرشدون.**

وكان يأمر المريد المُبتدئ بالتَّفقُّه في أمر الدِّين، ويَحثُّه على تَعَلُّم الأحكام التَّعبُّديَّة، ويقول: **هذه أهمُّ من السُّلوك والتَّريُّض، وبغيرها فالسُّلوك والتَّريُّض زيغٌ.**

ويقول: **علِّمُوا المبتدئين والمريدين عِلمَ العقائد؛ فإنَّه سُلَمُ المعرفة، ومَنْ ضَلَّ عن عِلمِ العقيدة فهو عن الله في حجابٍ، وإنْ أحدث في العقيدة فهو على الضَّلال.**

وكان ﷺ يأمر بملازمة الكتاب والسُّنَّة واتِّباع آثار السَّلف الصَّالح، وينهى عن الغلوِّ وانتحال المُحْدَثَات، ويقول: **الغلوُّ والشَّطح وما شاكلهما زندقةٌ بشكل تصوُّفٍ، والحقُّ أَبْلَجُ**[1] **من هذا وهذا، والله يتولَّى الصَّالحين.**

وكان يقول: **ما رأينا من عواقب أهل الغُلوِّ والشَّطح وأتباعهم إلاَّ أنَّهم ضَلُّوا وأَضَلُّوا، وما رأينا من عواقب التَّشرُّع إلاَّ السَّلامة...**

وكان الشَّيخ الإمام جمال الدِّين الخطيب الحدَّاديُّ[2] يقول: انتهت نوبة

---

(١) البُلُوج: الإشْراقُ، والأَبْلجُ: المُضِيء المُشْرقُ، يقال صُبْحٌ أَبْلَج، وكذا الحَقُّ إذا اتّضح يُقال الحَقّ أَبْلَجُ والباطل لَجْلَج. «مختار الصحاح»مادة: (بلج).

(٢) هو الإمام الكبير، والعارف الشهير، علامة الوقت، شيخ العصر، خطيب الحصن، جمال الدِّين محمَّدٌ، ويقال: مقدام خطيب أونية، ابن علي بن محمد بن جمال الدِّين الخطيب الكبير الحداديُّ الواسطيُّ الشَّافعيُّ الطَّائيُّ تـ(٥٨٥)هـ: صاحب المحامد الكثيرة، والعلوم الغزيرة، أصله من الحدادية - بلدة من أعمال واسط - نشأ في بيت المجد والعلم والصَّلاح والتَّقوى، ونمى ذكره =

الفضائل للسَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ ﷺ في عصره، وكان إذا جلس للدَّرس على كُرسيِّه يُحيطُ به أئمَّة العلماء، وفحول الفضلاء، وصنوف أهل المعارف والعلوم، فإذا ابتدر الكلام أخرس المتكلِّمين، وأبهت الجاحدين، وحيَّر العارفين، وأرقص السَّالكين، وأبكى الخاشعين، وأذهل المتمكِّنين، وأتى بجوامع الكَلِم وراثةً من جدِّه ﷺ، وبرز لجلاَّسه بكلِّ فَنٍّ؛ فالأدباء تأخذ نصيبها من فصاحته، والعلماء من معارفه، والفلاسفة من تحقيقه، والمتكلِّمون من تبيانه، والبلغاء من رقائقه، والأولياء من حقائقه، والعقلاء من حِكَمه، والفقراء من أدبه، والصُّلحاء من مواعظه، وكلُّهم في حَيْرةٍ منه لِما مَنَّ الله عليه به من عظيم مواهبه، ليس على وجه الأرض في هذا العصر من مجلسٍ في علم الحقيقة معمور الأطراف بلباب الشَّريعة يُرَدُّ به الشَّارد، وتحصل به الفوائد، وتطير به القلوب إلى علاَّم الغيوب، لا عُلوَّ فيه ولا غُلوَّ، ولا تُشَمُّ منه رائحة الدَّعوى، إلاَّ مجلس السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ ﷺ؛ فإنَّه مدرسةٌ للعلماء، ورباطٌ للفقراء، ورياضةٌ للسَّالكين، وحجَّةٌ للعارفين، والله يختص برحمته من يشاء.

وبالرِّواية عن الشَّيخ العارف بالله عبد الملك بن حمَّادٍ المَوْصِلِيِّ[1] رحمه الله قال: كان السَّيِّد أحمد ﷺ على جانبٍ عظيمٍ من الحِلم والرِّفق والتَّواضع، وما خاطب

=

واشتهر أمره، وتخرَّج بصحبة السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ ﷺ، وكان من أعزِّ أتباعه وأعيان أصحابه، وبلغ كشفه وكراماته بين الطَّائفة الأحمديَّة مبلغ التَّواتر، مات بأونية عن تسعين سنة رحمه الله تعالى. انظر: «إرشاد المسلمين» صـ١٢١-١٢٢ـ، و«روضة الناظرين» ص١٢٣ـ.

(١) هو الشيخ عبد الملك بن حمَّاد بن دكين بن أبي بكر الكناني الموصلي تـ(٥٧١)هـ: الشَّيخ الكبير الرَّفيع القدر، كان جد أبي آبائه أمراء الجبل، وهو على إثرهم كان يتقلَّد المناصب والولايات إلى عام (٥٥٥)هـ، فإنَّه حجَّ في ذلك العام، وشهد اليد الشَّريفة النَّبويَّة حين مُدت لشيخه السيِّد أحمد ﷺ، والتحق فيه بخدمة الإمام الرفاعي ﷺ، وتصوَّف وتزهَّد، توفي معمراً بالموصل ودفن في مشهد نبيِّ الله جرجيس عليه السلام. انظر: «إرشاد المسلمين»صـ١٢٠ـ، و«روضة الناظرين»صـ١٢٢ـ.

صغيراً ولا كبيراً قطُّ إلَّا بأي سيدي، وما رأى نفسه شيئاً قطُّ، ولا شهد له مزيةً على أحدٍ من الخَلْق، وكان يبذلُ بذلَ الملوك، وعيشته في أهله وعياله عيشة الفقراء، ويقول: **اللَّهمَّ لا عيش إلاَّ عيش الآخرة.**

وكان يلبس قميصاً أبيض ورداءً أبيض وخُفّاً من صوفٍ أبيض، ويتعمَّمُ بعِمامةٍ سوداء دسماء، وفي بعض الأحيان يتعمَّم بالبياض، وكان رفيعَ القوام، نحيفَ الوجود، كثير التَّبسم، قليل الضَّحك، مكيناً في طوره، ذا هيبةٍ عظيمةٍ، لا يتمكَّن جليسه من إباحة النَّظر إليه، هذا مع رِفْقِهِ وظرافة طبعه وخُلُقه ورقَّة شِيَمه؛ وذلك لِـمَا اشتمل عليه من العلم والعقل والعبادة والكمال والفضائل والمجد وعلوِّ النَّسب والكرم والخوارق الغُرِّ والحِكْمَة البارعة والسُّنن المحمَّديِّ ورفعة القدر وبُعْدِ الصِّيت والشُّهرة والشَّأن الوحيد في عصره - نفعنا الله به والمسلمين - آمين.

وروي عن الشَّيخ يعقوب بن كراز - رحمة الله عليه - قال: كان سيِّدي أحمد - قَدَّسَ اللهُ تعالى روحَهُ - في صِغَرِه عاقلاً حامداً ذليلاً مُنكسراً، ما عرف أحدٌ قطُّ له كلمةً زائدةً ولا ناقصةً، ولا فاه يوماً بكلمةٍ بها يُريب ولا ما يغيظ به جليسه، ولا سأله أحدٌ قطُّ شيئاً كان بيده أو يقدر عليه ومَنَعَهُ عنه، إلاَّ أعطاه ما طلبه وأجابه إلى ما سأله، وما وَعَدَ أحداً قطُّ وعداً وعَدَلَ عنه.

وكان قدَّس الله تعالى سرَّه لا يراه أحدٌ قطُّ إلَّا ضاحكاً - أي: مبتسماً -، وكان يلازم الوحدة ويُحِبُّها، ولا يخالط اللعبة ولا يلعب معهم ولا يمازحهم، وإذا مازحوه لا يحرد، وكان يقول الحقَّ ولو على نفسه، وما كَذَبَ قطُّ لا هزلاً ولا جدلاً ولا جداً، وكان إذا رآه من لا يعرفه عَبَرت عينُهُ عليه لأجل مسكنته كأنَّه كان يتيماً غريباً.

وكان جليل القدر دائم البِشر، قويَّ الهِمَّة، غَزِيرَ العقلِ، شديد العزم على

طلب الخير، وكان يحبُّ الصَّالحين ويزورهم ويتردَّد إليهم ويغتنم بركتهم، ويسألهم الدُّعاء ويُقَبِّل أقدامهم، ولَمَّا كان في المكتب كان يتحمَّل أذية الصِّغار ولا يحرد منهم ويقضي حوائجهم، حتَّى كان يمسح الألواح للأطفال في شدَّة البرد ويقول لهم: **مَنْ كان منكم يخشى البَرْدَ من مسِّ الماء يعطيني لَوْحَهُ أغسله.**

وكان يشفق عليهم، ويوقد لهم النَّار ويدفِّيهم، وإذا جاء وقت الصَّلاة ينهض من غير كسلٍ ويسبغ الوضوء ويقصد المسجد، فيصلي ويرجع.

وكان قدَّس الله تعالى روحَهُ يقول للصغار: **صَلُّوا ما دمتم فارغين متفرِّغين قبل اشتغالكم بالدُّنيا وطلبها؛ فإذا صليتم وأنتم فارغون صغارٌ حَلَّت في قلوبكم عند الكبر.**

وما وضع يده قطُّ على أَلَمٍ إلاَّ شفاه الله تعالى، فكان النَّاس يعرفون له ذلك من صغره، وإنَّه رحمة الله عليه ما ادَّخر شيئاً من الدُّنيا، ولا أكل وَحْدَهُ قطُّ، ولا اشتهى شهوةً إلَّا فَرَّقَها على الأطفال ولا يأكل هو منها.

وكان يشفق على المُعَلِّم ولا يقول إلاَّ يا سيِّدي، وكانت له الهيبة والمحبَّة في قلوب النَّاس، وكان يُقبِّل يد كلِّ من يراه، ولا يُعطي أحداً يده يقبلها.

وكان إذا سأله أحدٌ الدُّعاء رفع يده نحو السَّماء فلا يعلم أحدٌ ما يقول، فيجدون بركة الدُّعاء، وتُقضَى حوائجُهم ببركته وبركة دعائه.

وكان إذا سمع بمريضٍ من أهل البلدة يزوره ويتردَّد إليه؛ لصغر نفسه، ولا يستحي من حسنةٍ يعملها.

وكان إذا رأى غريباً حمله وأكرمه ويحمل له طعاماً ويبيِّته عنده، وكان كثيرَ الإطراق، سريع العَبْرَة، حزينَ القلب، حريصاً على فعل الخيرات.

وكان قدَّس الله تعالى روحَه إذا قرأ القرآن على الشَّيخ لا يتلقَّن أكثر من آيةٍ أو آيتين، ويدرسها يومه أجمع وليلته؛ لأنَّه كان لا ينام اللَّيل كلَّه في صغره، وكان

يعتبر في الآية ويتفكَّر ولا يقرأ بعجلةٍ، بل بترتيلٍ وخوفٍ، ويقرأ ودموعه تجري على وجهه كالغيث، وكان يحبُّ القرآن وأهلَهُ، وإذا رأى صغيراً في الدَّرب يلعب، يلعب معه ويشفق عليه ويرغِّبه في القراءة ويقول: **نقرأ أنا وأنت، وكل ما تريده عَلَيَّ**، ولا يزال عليه حتَّى يدخله حَلْقَةَ المقرَّبين، فإذا رآه وقد تلقَّن شيئاً من القرآن فرح به واستبشر.

وكان إذا رأى شخصاً كبيراً أكرمه وخدمه والتفت إليه، وكان إذا رأى أعمى أشفق عليه وقاده إلى موضع حاجته، وكان يقضي للفقراء حوائجهم ويملأ لهم أباريقهم من الشَّطِّ، ويحمل لهم الطَّعام، ويمنع من يتعرض لهم.

وكان لا يترك من به فاقة على حسب طاقته، ولا يرى محتاجاً إلَّا تَعَرَّض به لأجل حاجته، وهذا دأبه إلى أن كبر رضي الله عنه ».

وقال العارف الوتريُّ[1] قدَّس الله سرَّه في «مناقب الصالحين»: «كان الوليُّ الكبير أبو البركات الشَّيخ عقيل المنبجيُّ[2] رضي الله عنه يقول: السَّيد أحمد الرِّفاعيُّ حجَّة

---

(١) أحمد بن محمّد الوتري، المَوصِلي الأصل، البغدادي الدّار، المصري الوفاة سنة (٩٨٠)هـ، الشافعي، الرّفاعيّ، أبو محمّد، ضياء الدّين: كان صالحاً ورعاً خاشعاً، حجّ مرّات، ودرَّس بالحرم النَّبويِّ،ودخل مصر ثم أقام بالمنصورة وانتفع به النّاس وكثرت أتباعه ثم انزوى واختار الخلوة، وظهرت على يده الخوارق، له: «مناقب الصَّالحين ومحجَّة أهل اليقين»، ومختصره: «روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين». انظر: «معجم المؤلفين»٢/ ١٦٧، و«الأعلام» للزركلي ١/ ٢٣٤.

(٢) الشيخ عقيل بن شهاب الدين أحمد البطائحي الهكاري العمريُّ المنبجيُّ: ولد في البطائح وبقي فيها إلى أن كبر، وانتسب إلى الشيخ عبد الرحمن مسلمة السروجي، وبه تخرَّج، وهو أوَّل من دخل بالخرقة العمرية إلى الشام، ومن تلامذته وأكابر خلفائه: الشيخ عَدِي بن مسافر، والشيخ أرسلان الدمشقي، والشيخ موسى الزولي، وغيرهم، وكذلك انتسب إلى الشيخ حياة بن قيس الحراني، ولبس منه الخرقة، وبالإمام الرفاعي، ولبس منه الخرقة، وقال الشيخ عقيل رضي الله عنه: «مِنْ نِعَم الله عَلَيَّ أنِّي خدمتُ قطبَ العارفين شيخنا الشيخ عبد الرحمن السروجي، وتنوَّرتُ بنظرة قطب المَحبوبين شيخنا الشيخ حياة الحرَّاني، وتَمَّ لي الكمال بخرقة إمام الدَّوائر تاج الأئمَّة شيخنا =

الله على الأولياء، وكأنِّي وخطاب الحقِّ يصدر في المحشر لهم: يا معاشر الأولياء، أجاء كلُّ واحدٍ منكم بما جاء به أحمد؟ هجر الدَّعوى، ولزم التَّقوى، وطرح الشَّطح والافتخار، وادَّرعَ بالذُّلِّ والانكسار، ومحا التَّعالي والإدلال[1]، وأثبت لنفسه المسكنة والإذلال، ألا هو العبد كلّ العبد، عَرَفَ حَدَّ البشريَّة فما تعدَّاه، وعَلِمَ عَظَمَةَ الرُّبوبيَّة فَتَمَلمَل بالخضوع بين يدي مولاه.

ويليق والله لمثل هذا الخطاب؛ فإنَّه بلغ أعلى الرُّتب، وما انفكَّ عن مقام

=

السَّيِّد أحمد الرّفاعيّ... أنا أغترف من أواني أشياخي الثّلاثة، ثم قال: المريد إذا انطبع حبُّ الشيخ فيه وأسقط إرادته له؛ انطبعت فيه قوة همة شيخه فناب عنه في حاله»، وكان يسمَّى الطيار؛ لأنَّه لما أراد الانتقال من قريته التي كان بها مقيماً ببلاد الشَّرق صعد إلى منارتها ونادى لأهلها فلمَّا اجتمعوا طار في الهواء والنّاس ينظرون إليه فجاءوا فوجدوه في منبج ﷺ، ويلقَّب بالغواص أيضاً؛ وذلك أنه مرَّ بجماعةٍ من تلاميذ شيخه السروجي بالفرات، ففرش سجَّادته على الماء وجلس عليها وغاص بالماء إلى الجانب الآخر، ثم ظهر من الماء ولم تبتل ثيابه، فذكر ذلك لشيخه السروجي، فقال : عقيل غواص، فاشتهر بذلك. انظر: «ترياق المحبين»صـ٤٤-٤٥ـ، و«الطبقات الكبرى» للشعراني رقم ٢٥٧، صـ١ ٢٠١ـ، و«روضة الناظرين»صـ٣٥ـ.

(١) هو الانبساط والفخر والزهو، قال الشيخ الأكبر في «فتوحاته»، في الباب التاسع والثلاثين ١/ ٢٩٨: «حكي عن بعضهم أنَّه قال: اقعد على البساط - يريد بساط العبادة - وإيَّاك والانبساط؛ أي: التزم ما تعطيه حقيقة العبودة من حيثُ إنَّها مكلفةٌ بأمورٍ حدَّها له سيِّدها؛ فإنَّه لولا تلك الأمور لاقتضى مقامها الإدلال والفخر و الزَّهو من أجل مقام مَنْ هو عبدٌ له ومنزلته، كما زها يوماً عتبة الغلام وافتخر فقيل له: ما هذا الزَّهو الَّذي نراه في شمائلك ممَّا لم يكن يُعرف قبل ذلك منك؟ فقال: وكيف لا أزهو وقد أصبح لي مولىً، وأصبحت له عبداً.

فما قَبَضَ العبيدَ من الإدلال، وأن يكونوا في الدُّنيا مثل ما هم في الآخرة إلا التَّكليفُ، فهم في شغلٍ بأوامر سيِّدهم إلى أن يَفْرُغُوا منها، فإذا لم يبق لهم شغلٌ قاموا في مقام الإدلال الَّذي تقتضيه العبوديَّة، وذلك لا يكون إلا في الدَّار الآخرة؛ فإنَّ التَّكليف لهم مع الأنفاس في الدَّار الدُّنيا؛ فكلُّ صاحب إدلال في هذه الدار فقد نقص من المعرفة بالله على قدر إدلاله، ولا يبلغ درجة غيره ممَّن ليس له إدلال أبداً؛ فإنَّه فاتته أنفاسٌ كثيرةٌ في حال إدلاله ... ».

الأدب، وسبق القوافل، ووصل المنازل؛ والرُّكبانُ مِنَ الإِشْرَافِ على المَراتِبِ والوُقُوفِ معَ الدَّعاوى بِمَشاغلٍ.

لله أبوه من سابقٍ لاحقٍ، ولاحقٍ سابقٍ، وإنَّه لآيةٌ من آيات الله أبرزه الله للخلق، ليُعرف به سلطان الحقِّ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ». انتهى.

وأخبر الإمام البركة عزُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد، ابن الشَّيخ محيي الدِّين أبي إسحاق إبراهيم[1]، ابن العارف الكبير وليِّ الله العلاَّمة السَّند، الثَّبت الفقيه، المقري المحدِّث، أبي الفرج عمر الفاروثيِّ الكازرونيِّ قدَّس الله أرواحهم جميعاً، أنَّه كان بمجلس الشَّيخ العارف الثِّقة، شهاب الدِّين عمر السُّهْرَوَرْدِيِّ[2] قدَّس الله روحَه، وجرى ذكر المشايخ مثل عمِّه الوليِّ الجليل القدر، الشَّيخ عبد القاهر النَّجيب البكري السُّهْرَوَرْدِيِّ[3]، والشَّيخ العارف عليٍّ الهيتيِّ[4]، والشَّيخ أبي محمَّدٍ

---

(١) إبراهيم بن عمر بن الفرج بن أحمد بن سابور بن علي أبو إسحاق الفاروثي إمامٌ عالمٌ، قرأ بمضمن الإرشاد علي الأسعد بن سلطان عن أبي العز، قرأ عليه ابنه الإمام أبو العباس أحمد. انظر: «غاية النهاية» للجزري ١/ ٨.

(٢) عمر بن محمد بن عبد الله بن عموية، أبو حفص شهاب الدين القرشي التيمي البكري السهروردي (٥٣٩ - ٦٣٢)هـ: فقيه شافعي، مفسر، واعظ، من كبار الصوفية، مولده في سهرورد، ووفاته ببغداد، كان شيخ الشيوخ ببغداد، صحب عمَّه أبا النَّجيب وعنه أخذ التَّصوُّف والوعظ، والشيخ أبا محمَّد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي وغيرهما، وانحدر إلى البصرة إلى الشَّيخ أبي محمَّد بن عبدٍ البصري، له كتب، منها: «عوارف المعارف»، و«بغية البيان»في تفسير القرآن، و«جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب». انظر: «وفيات الأعيان»٣/ ٤٤٦، و«الأعلام» للزركلي ٥/ ٦٢.

(٣) عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي، أبو النجيب السهروردي (٤٩٠- ٥٦٣)هـ: فقيه شافعي واعظ، من أئمة الصُّوفيَّة، ولد بسهرورد، وسكن بغداد، فبنيت له فيها رباطات للصُّوفيَّة من أصحابه، وولي المدرسة النظامية، وتوفي ببغداد، له: «آداب المريدين»، و«شرح الأسماء الحسنى». انظر: «الأعلام»للزركلي ٤/ ٤٩.

(٤) علي بن الهيتي تـ(٥٦٤)هـ: هو من أكابر مشايخ العراق وأعيان العارفين وهو أحد من ينسب إلى القطبية العظمى، وكانت عنده الخِرقتان اللَّتان ألبسهما أبو بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ لأبي بكر بن هوار في =

الزَّعفرانيِّ، والشَّيخ الجليل عبد القادر الجيلانيِّ، والشَّيخ قضيب البان المَوْصِلِيِّ[1]، والشَّيخ محمَّد بن عبدٍ البصريِّ، وجماعةٍ من أضرابهم، فذكر كلَّ واحدٍ منهم بما يليق لمرتبته وأثنى عليهم، وذكر فضائلهم ومناقبهم، ولم يتعرَّض لذكر السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ أبداً، قال: فصبرتُ إلى أن سكت وقد بلغتني الغَيرة، وكلَّما أردتُ التَّكلُّم أجد مانعاً من نفسي حتَّى كدت أن أتميَّز من غَيرتي ولم يطَّلع على شأني أحدٌ، فبينما أنا على ذلك الحال، وإذا بِرَجُلٍ من المجاذيب دخل المجلس، فقال للشَّيخ شهاب الدِّين - قدَّس الله سرَّه -: يا عمر، أيُّ المشايخ من الجنيد إلى الآن أكبر مقاماً، وأَتَمُّ منزلةً، وأكمل تمكيناً، وأصحُّ حالاً؟ فقال: الإنصاف - يا شيخ - أن يُقالَ السَّيِّد أحمد الرِّفاعيّ ﵁، فدار المجذوب دورين أو ثلاثاً وقال:

لا ينقص البدرُ في بُرجِ الكمالِ إذا … عَدُّوا النُّجومَ وما عدُّوهُ إجلالا

والتَفَتَ إِلَيَّ كأنَّه يُخاطِبُني، فكدتُ أذوب وجداً وأطيرُ طرباً وخرج، فقلتُ للشَّيخ: إذا كان الأمر كما ذكرتم، فلأيِّ شيءٍ ما تفضلتم بذكر السَّيِّد أحمد حين ذكرتم الجماعة؟ فقال: الجواب البيت الذي أَنْشَدَهُ الرَّجل، ثمَّ قال: وعظيم جلال

= النَّوم واستيقظ فوجدهما عليه، وهما ثوبٌ وطاقيَّة وكان أعطاهما ابن هوار للشنبكي وأعطاهما الشنبكي لتاج العارفين أبي الوفاء وأعطاهما تاج العارفين للشيخ علي بن الهيتي، ومكث ﵁ ثمانين سنة ليس له خلوة ولا معزل بل ينام بين الفقراء؛ وذلك لأنَّ فتحه أتاه من طريق الوهب، أجمعت العلماء على جلالته وعُلوِّ منصبه، سكن رزيران - بلدة من أعمال نهر الملك - إلى أن مات بها، وقد عَلَتْ سِنُّه على مائة وعشرين سنة، وبها دفن وقبره بها ظاهر يزار. انظر «الطبقات الكبرى» للشعراني رقم ٢٦٤، صـ٢٦٤، و«الطبقات الكبرى» للمناوي رقم ٤٣٥، ١/ ٦٩١.

(١) الحسين بن عيسى بن يحيى الحسني، أبو عبد الله المعروف بقضيب البان (٤٧١-٥٧٣)هـ: فقيه حنبلي، ومن كبار الأئمة الصُّوفيَّة من أهل الموصل، مولداً ووفاتاً، صحب الإمام عبد القادر الجيلي وغيره، وكان الغالب عليه في حاله الاستغراق والوله، وله أخبارٌ في الزُّهد كثيرة ﵁. انظر: «قلائد الجواهر» للتادفي صـ١١٨، و«الأعلام» للزركلي ٢/ ٢٥١.

الله، ما سبقه الجنيد ﵁ إلَّا بأنْ جاء قبله وإلاَّ ففي مرتبة التَّمكين أعجزَ اللاَّحقين وسبق السَّابقين، ولله وضع الفضل كما يشاء، وحيث يشاء، يفعل ما يريد، له الخلق والأمر وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وجرى ذكر السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ ﵁ في مجلس الشَّيخ عبد القادر الجيليِّ مرةً فقال: السَّيِّد أحمد الرِّفاعيُّ حُجَّة الله على أوليائه اليوم، وصاحب هذه المأدبة وأنشد:

هـذا الـذي سَـبَقَ القـومَ الأُولى وإذا رَأيتَـهُ قُلـتَ هـذا آخِـرُ النَّـاسِ

وسأل جماعةٌ الشَّيخ أبا المنذر ﵁ عن أعظم الأولياء قدراً في العصر، فقال: رجلان، الشَّيخ محمَّد بن عبدٍ البصريُّ شيخ الأستاذ عمر ابن أخي العارف أبي النَّجيب السُّهْرَوَرْدِيِّ، والسَّيِّد أحمد ابن الرِّفاعيِّ **رضي الله عنهما**، فقيل: أيُّ الرَّجلين أرفع مقاماً؟ قال: السَّيِّد أحمد كان قطب الأقطاب في الأرض، ثم صار قطب الأقطاب في السَّموات، ثمَّ صَرَّفه الله في السَّموات كتصرُّفه في الأرض، فكادت تكون كالخلخال في رجله، ولا علم لنا بعد ذلك أين وصل، وإنَّا لنعرف وجهته في السَّير، ولكن لا نعرف منتهاه ﵁.

ولو ذكرنا ما ورد في شأنه على لسان عسكر القوم لضاق الوقت، فإنَّ ذلك أكثر من أن يُحصى.

ونقل الوتري قُدِّس سرُّه بروايته عن الشَّيخ العارف يحيى أبي المظفر، ابن الإمام الكامل عليِّ بن نُعيم الحنبليِّ البغداديِّ المعروف بابن الخبير، أنَّ الشَّيخ محمَّداً بن الصَّفَّار البغداديَّ أحد أصحاب الشَّيخ عمر أبي حفصٍ شهاب الدِّين السُّهرورديِّ البكريِّ قدَّس الله سرَّه رأى النَّبيَّ ﷺ في المنام فقال له: يا رسول الله، ما تقول بالسَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ، وبالشَّيخ شهاب الدِّين السُّهْرَوَرْدِيِّ، وبالشَّيخ عبد القادر الجيليِّ؟ فقال له: **شهابُ الدِّين رجلٌ أو قال شيخٌ مرشدٌ، وعبد القادر**

عاشقٌ صادقٌ، وأحمد الرِّفاعيُّ محبوبنا وشيخ هذه الأمة، قال: فقلت: أتأذن لي أن أجدِّد التَّوبة على يد ولدك السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ؟ فقال: **المسلمون عيالٌ عليه.** انتهى.

قال الوتري طاب ثراه: وكان شيخ مشايخنا الشَّيخ عبد السَّميع بن أبي تمَّامٍ الهاشميُّ الواسطيُّ يقول: من تمذهب بمذهب الصَّحابة، وحفظ مودَّة القرابة، وتلمذ للسَّادة الرِّفاعيَّة، فقد أتقن طريق الوصلة، وأمن من غوائل النَّفس، وما زلَّ عن طريقة الله تعالى.

قال النَّقيُّ الأنصاريُّ قُدِّس سرُّه: سألتُ ذات يومٍ مِنْ شيخنا إمام العلماء والمحدِّثين، شيخ الحفاظ أحمد عزّ الدِّين الفاروثيّ الواسطيّ عن سبب ارتفاع منزلة السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ على الأولياء الذين اشتهر أمرهم وسار في الخافقين ذِكْرُهم، فقال: لتمكُّنه في مقام الأدب المحمَّديِّ، والاتِّباع المحض للجناب النَّبويِّ، ولبراءة ساحته من دنس الدَّعوى والأنانيَّة، ولترفُّعه عن وهدة الشَّطح وبليَّة السُّكر والتَّجاوز، ولسلامته من عيب التَّبجُّح، ولتجرُّده من علائق نفسه وعوائقها، وانسلاخه من جميع شوائبها كانسلاخ الثَّوب عن البدن، ثمَّ قال: أي ولدي، صاحَبْنا الشُّيوخ ورأينا أصحابَ مَنْ لم نُصَاحِبْهُم، وطالعنا أخبار القوم وسيرة السَّلف، وميَّزنا بمحَكِّ الشَّريعة الحقَّ من الباطل، فما بلغ علمنا، ولا عرفنا شيخاً بعد الصَّحابة وأئمَّة الآل الاثني عشر أعظم خُلُقاً، وأكبر منزلةً، وأصحَّ اتِّباعاً للنَّبيِّ ﷺ من السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله عنه، ولولا جهل العامَّة لحدَّثتك عن هذا السَّيِّد العظيم القدر بما يَكِلُّ له سمعُك، ويذهل عن تحمُّله فهمُك، وتنقطع دون إدراكه حِيلَتُك؛ فإنَّ الله وهبه من المراتب أعلاها، ومن المشَّارب أحلاها، ومن السُّلطان أعظمَه، ومن المقام أكرمه، ومن الحال أكمله، ومن السُّلوك أفضله، وهو المُجدِّد لأمر هذا الدِّين، والنَّائب عن جدِّه سيِّد المرسلين، ولولاه لانقطعت طريقة

الحقِّ في هذه الأعصار؛ لانكباب النَّاس على أقوال أهل الشَّطح والجموع والافتخار، وتباعدهم عن الذُّلِّ والانكسار وطريقة النَّبيِّ المختار، وآله الأبرار، وأصحابه الأخيار، وقد صرنا في زمنٍ كدنا أن لا نسمع به إلاَّ كلمةً دخيلةً في دين الله، أو عقيدةً مخالفةً لأمر الله أو سُنَّةٍ سيِّئةٍ قاطعةٍ عن الله، لولا تقلُّب ذكر خُلُق السَّيِّد أحمد في الأوراق، والتَّبرُّك بسيرة انكساره، وما كان عليه من الشَّأن النَّبويِّ الذي عمَّ نورُه الآفاق، وسبق به أهل الله على الإطلاق، فجزاه الله عن أمَّة جدِّه سيِّد الأنبياء خير الجزاء، وجزاه الله عن السُّنَّة السَّنيَّة والشَّريعة المحمَّديَّة والطَّريقة المرضيَّة خيراً.

قال ابن حماد[1] طيَّب الله مرقده: «وما أكثر ما نُقل بشأنه من المبشرات والثَّناء والأخبار الدَّالة على عُلوِّ قدره التي صدرت خطاباً لِخُلَّص الأولياء بطناً بعد بطنٍ في عالم المنام من النَّبيِّ ﷺ.

وقد رفع الله قدره على جميع أولياء الأمَّة بعد الصَّحابة والاثني عشر سادة أهل البيت الأئمَّة.

وقد كان حكيم الأولياء وورعهم، وصاحب القدم الثَّابت على اتِّباع النَّبي ﷺ، ومناقبه ومآثره لا تُحصى، وقد أفرد لترجمته ومناقبه أكابر الحُفَّاظ وأشياخ الزَّمان كُتباً مخصوصةً؛ لِـمَا مَنَّ الله تعالى عليه به من الأخلاق الحميدة والخِصال السَّعيدة.

---

(١) هو الشيخ محمد بن أبي بكر علي بن عبد الملك بن حماد الموصلي الرفاعي تـ(٧٥٠)هـ: ولد بالموصل ونشأ بها، ورحل إلى بغداد وطاف البلاد، وكان على جانبٍ عظيمٍ من المحبَّة لآل النَّبيِّ ﷺ مع كمال الأدب مع أصحابه الكرام، وحفظ مقاديرهم، والثناء عليهم، والتَّعظيم الذي أوجبه الله تعالى لجنابهم، وتوفي بالبصرة، وقد رأى النَّبيِّ ﷺ قبل وفاته بيوم واحدٍ، وقال له: أسرع يا محمد فإني أمرت لك بمكانٍ قريبٍ منِّي يصلح لمثلك من المحبين، وإنِّي لراضٍ عنك، له: «روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان». انظر: «روضة الناظرين» للوتري صـ١٣٨ـ، و«الأعلام» للزركلي ٦/ ٥٦.

وقد جَدَّدَ أَمْرَ الدِّين، وناب عن سيِّد المرسلين، وأنقذ من ظلمة الجهل وورطة سوء الأخلاق خَلْقاً لا يُحصى عددهم، وبلغ عدد خلفائه العارفين وخلفائهم الكاملين إلى مائةٍ وثمانين ألفاً حال حياته، واشتهر أمره في الدُّنيا ولم يكن في بلاد المسلمين المعمورة وبواديها المألوفة موضعٌ يخلو من زاويةٍ له، أو جماعةٍ ينتمون إليه، ولم يُعهد في طبقات الأولياء بعدَ الصَّحابة والأئمة أعلام أهل البيت الاثني عشر الأسباط الطَّاهرين طبقة وَلِيٍّ لله توازي طبقته العظيمة؛ وذلك لأنَّه أحسن الاقتداء بالنَّبيِّ ﷺ في كلِّ فعلٍ وقولٍ حتَّى ثبت عند طوائف أهل الله لعُلوِّ مرتبته، وعظيم مكانه، أنَّ رتبة الغوثيَّة التي يُنَوِّه بها القوم آيةٌ من شأنه، وقالوا: إنَّه وقف تحت لوائه سبعون رجلاً من أتباعه وأصحابه كلُّهم طاول هذه المرتبة وتعدَّاها، ولعظم قدر شيخهم السَّيِّد المنوَّه بذكره بقيت أحوالهم مستورة.

وأمَّا كراماته: فهي أعظم من أن تُحَدُّ أو تُعَدُّ، وقد قال جماعةٌ من أعاظم الحفَّاظ، وأساتذة المحدِّثين الأثبات، منهم: الشَّيخ الإمام عزُّ الدِّين أحمد الفاروثيُّ، والإمام يحيى بن عبد الملك فقيه العراق[1]، وتقيُّ الدِّين بن عبد المنعم الواسطيُّ[2]: أنَّه لم يأتِ من كرامات الأولياء المشهورين في الأمَّة بالأسانيد الثَّابتة،

---

(١) يحيى بن عبد الله بن عبد الملك الواسطي الشَّافعي (٦٢٢ – ٧٣٨)هـ: فقيه زمانه، شيخ العراق، علاَّمة الوقت، الرفاعي الخرقة، تفقه على والده وغيره، ولبس الخرقة الرفاعية وسمع من سلطان المحدثين وبركة زمانه عز الدين أحمد الفاروثي، وقد برع في الأصول والعربية والخلاف والحديث والتفسير، وتفرَّد في الفقه، وتخرَّج به الأصحاب، وكان أهل زمانه يسمُّونه: فقيه العراق، مولده ووفاته بواسط، من مؤلفاته: «الناسخ والمنسوخ»، و«مطالع الأنوار النبوية في صفات خير البرية»، و رسالة سمَّاها: «الصراط المستقيم في موافقة خُلُق شيخنا الرفاعي بخلق جدِّه النَّبيِّ العظيم ﷺ». انظر: «روضة الأعيان» لابن حماد صـ١٩٢ـ، و«الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني رقم ٢٥٠٧، ٦/ ١٨٧.

(٢) هو صاحب «ترياق المحبين» وقد مرَّت ترجمته، انظر فهرس الأعلام المترجم لهم آخر هذا الكتاب.

والرِّوايات الواثقة أصحُّ وأكثر من كراماته، وأنَّ ولايته وكراماته ثبتت بالتَّواتر القطعيِّ، وأنَّه أكمل أهل القرن الذي أظهره الله فيه، وأنَّه لم يأت مثله في ذلك القرن، ولم يَخْلُفْه الزَّمان بمثيلٍ أو عديلٍ إلى الآن، وهو والله كذلك؛ فإنَّه أشرف الأولياء حسباً، وأعلاهم خُلُقاً ونسباً»(١).

وقال الوتريُّ: وما أليقه بما قاله فيه شيخنا الشَّيخ أبو بكر بن يحيى الواسطيُّ الأنصاريُّ(٢) بمحضرٍ منه رضي الله عنهما:

يـا واحـدَ الخلـقِ بالأفْعـالِ والكَـرَمِ ... وأوجَزَ النَّـاسِ بالتِّبيـانِ والحِكَـمِ

يا مَـنْ أيَاديـهِ لا تُحصـى مواهِبُهـا ... يـا أحـمـد النَّاسِ مِنْ عُربٍ ومِنْ عَجـمِ

يـا مَنْ إذا قـالَ قـولاً أو حمـى حرمـاً ... وَفَّـى بِميثاقِـهِ و العهـدِ والذِّمـمِ

أنـت الَّـذي عطَّـرَ الأكـوانَ مخبَـرُهُ ... وضمَّ للفضل حُسنَ الخَلْقِ والشِّيَمِ

قال سيِّدنا القطب الغوث الجواد السَّيِّد عزُّ الدِّين أحمد الصَّيَّاد رضي الله عنه في كتاب «المعارف المحمَّديَّة في الوظائف الأحمديَّة»(٣): «قال الشَّريف الكبير حسن بن محمَّدٍ الحسينيُّ رحمه الله: ظهر في أمِّ عَبِيدةَ بواسط العراق رجلٌ من العرب يتحدَّث النَّاس بكراماته وأقواله في الشَّريعة والحقيقة، واشتُهر بالكرامات والعنايات والبركات، وأقرَّت له بالولاية الجهابذة السَّادات، واتَّفق على تفرُّده في عصره أهل

---

(١) انتهى ما نقله الإمام الرواس من «روضة الأعيان» لابن حماد صـ١٠٠-١٠١.

(٢) هو أخو الشيخ منصور البطائحي ابن الشيخ يحيى النجاريّ الأنصاريّ خال الإمام الرفاعي ووالد زوجتيه؛ إذ تزوَّج الإمام الرفاعي في بدايته بالسيدة خديجة أم السيدة فاطمة ذات النُّور والسَّيدة زينب، وبعد وفاتها تزوَّج بأختها السيدة رابعة أم السيد صالح رضي الله عنهم. انظر: «خلاصة الإكسير »صـ٣٤.

(٣) صـ٣٣-٣٤.

العلم والصَّلاح، فسألت عنه فقيل لي: هو رجلٌ من العرب، من بطن بني رفاعة، اسمه أحمد بن أبي الحسن الرِّفاعيِّ، فَعَظُم ذلك عليَّ وقلتُ في خاطري: هذا أمرٌ عجيبٌ؛ فإنَّ الفتحَ الذي يبلغنا عنه لا يكون إلاَّ لأهل البيت، والذين بلغوا أدنى من هذا الفتح من الأولياء ما بلغوه إلَّا بواسطة أهل بيت النُّبوَّة، وبعد خدمتهم والانتساب إليهم حصل لهم ما حصل من الفتح والبركة، كإبراهيم بن أدهم[1]، وأبي يزيد البسطاميِّ[2]، وغيرهما من أولياء الكون، وهذا الرَّجل لا نعرفه ولا يعرفنا، ونرى أنَّ أسراره تشابه أسرارنا، وإذا ذُكر تَحِنُّ إليه قلوبُنا، ويتحرَّك دمنا، وقد قيل:

إذا غَابَ عَنكَ أصلُ الفَتَى فَفِعْلُـهُ كَـافٍ عَـنِ البَحـثِ

---

(١) ابراهيم بن أدهم ﷺ تـ(١٦١)هـ: أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي؛ أصله من بلخ وكان من أولاد الملوك، روى عن جماعة من التابعين كأبي إسحاق السبيعي وأبي حازم وقتادة ومالك بن دينار والأعمش وأبان، واشتغل بالزهد عن الرواية، وكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، وتوفي بالجزيرة في الغزو، وحمل إلى صور (مدينة بساحل الشام، أو ببلاد الروم على ساحل البحر) فدفن بها، واخْتَلفَ - ليلة أن مات - إلى الخلاء نيفاً وعشرين مرة، في كل مرة يجدد الوضوء للصلاة، فلما أحس بالموت، قال: أوتروا لي قوسي، فقبض عليه، فقبضت روحه والقوس في يده. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ١/ ٣١، و«طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ١، صـ٣٨ـ، و«الأعلام» للزركلي ١/ ٣١.

(٢) هو الشيخ أيو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي تـ(٢٦١)هـ: الزَّاهد المشهور؛ كان جده مجوسياً ثم أسلم، وكان له أخوان زاهدان عابدان أيضاً: آدم وعلي، وكان أبو يزيد أجَلُّهم. وسُئل أبو يزيد: بأي شيءٍ وجدت هذه المعرفة فقال: ببطن جائع وبدن عار؛ وله مقالاتٌ كثيرةٌ ومجاهداتٌ مشهورةٌ وكراماتٌ ظاهرةٌ ، نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها، وفيها توفي رحمه الله تعالى. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/ ٥٣١، و«الأعلام» للزركلي ٣/ ٢٣٥.

وهذا الرَّجل أفعاله تدلُّ على أنَّه من هذه الشَّجرة المطهَّرة، فلمَّا تزايد هذا الفكر عندي، كتبت إليه كتاباً، وشوَّقته به لزيارة النَّبيِّ ﷺ، وكان القصد الاطِّلاع على حقيقة أمره، فلمَّا وصل إليه الكتاب، كتب أنَّه في عامه القابل عازمٌ إن شاء الله على أداء فريضة الحجِّ، وزيارة سيِّد المخلوقين ﷺ، وكان ذلك؛ فإنَّه في العام الثَّاني، وهو عام خمسٍ وخمسين وخمسمائة، جاء إلى الحجاز، فأدَّى فريضة الحجِّ، ووصل المدينة المنوَّرة - على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام -، وكان بمعيَّته من فقراء طريقته ومحبِّيه خلقٌ لا يُحصى عددهم، وقد انضم له قومٌ من الشَّام والحجاز واليمن والمغرب وغيرها، حتَّى إنَّ القافلة التي دخل بها المدينة المنوَّرة تجازوت تسعين ألفاً، وكان في القافلة المباركة المذكورة جماعةً من أكابر أولياء العصر، كالشَّيخ عَدِي بن مسافرٍ الشَّاميِّ[1]، والشَّيخ أحمد الزَّعفرانيِّ الواسطيِّ، والشَّيخ حياة بن قيس الحرَّانيِّ[2]، والشَّيخ عبد القادر الجيلانيِّ البغداديِّ، والشَّيخ عبد

---

(١) عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري، شرف الدين أبو الفضائل، من ذرية مروان بن الحكم الأموي (٤٦٧-٥٥٧)هـ: كان صالحاً ناسكاً، تنسب إليه الطائفة العدوية، ولد في بيت قار (من أعمال بعلبك) وجاور بالمدينة أربع سنوات، وبنى زاوية في جبل الهكارية (من أعمال الموصل) فانقطع لعبادة، توفي ودفن بها، سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير ﷺ. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣/ ٢٥٤، و«الأعلام» للزركلي ٤/ ٢٢١.

(٢) هو القطب الشَّيخ حياة بن قيس بن رحّال بن سلطان الأنصاري الحراني ﷺ تـ(٥٨١)هـ: أدرك السيِّد أحمد الرِّفاعيّ - قدَّس اللهُ سرَّه - وتشرَّف بصحبته ولبس خرقته المباركة بقرية نهر دقلى، وقد تخرَّج بالشَّيخ حياة ﷺ جماعة من أئمَّة القوم، وتلمذ له عصابةٌ كثيرةٌ من أصحاب الأحوال، وانتمى إليه عَالَمٌ عظيمٌ لا يُحصون كثرةً، وأشار إليه المشايخ والعلماء وغيرهم بالتبجيل، وأقرَّ الخاصُّ والعامُّ بفضله والاعتراف بمكانته، وكان أهل حران يستسقون به فَيُسقون - بإذن الله تعالى -، ويلجئون إليه في المعضلات فتنكشف - بعون الله تعالى -، سكن حرَّان واستوطنها إلى أن مات فيها قُدِّسَ سِرُّهُ وله ثمانون سنة رحمه اللهُ تعالى، ولم يخلف بحران بعده مثله. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ٩/ ١٢٢، و«روضة الناظرين» للوتري صـ٣٧-٣٩.

الرَّزاق بن أحمد الحسينيِّ الواسطيِّ، والشَّيخ كنز العارفين أحمد الزَّاهد الأنصاريِّ ابن الشَّيخ منصورٍ البطائحيِّ الرَّبَّانيِّ، وجماعة.

فلمَّا وصل الحرم الشَّريف النَّبويَّ، وقف تُجاه حجرة النَّبيِّ ﷺ، وقد امتلأ الحرم المبارك بالزَّائرين وأكابر الرِّجال وراء ظهره صفوفاً، وكان أقربهم إليه من أتباعه الشَّيخ يعقوب بن كراز ﷺ العبيدويُّ، والإمام الفقيه الشَّيخ عمر أبو الفرج الفاروثيُّ الواسطيُّ، والشَّيخ عبد السَّميع الهاشميُّ العبَّاسيُّ، وكان ذلك بعد صلاة العصر يوم خميس، فأطرق ﷺ، وقال على رؤوس الأشهاد: **السَّلام عليك يا جَدِّي**.

فقال له عليه الصَّلاة والسَّلام من قبره المبارك: «**وَعَليكَ السَّلامُ يا وَلَدِي**»، سمع ذلك من حضر.

فلمَّا مَنَّ عليه ﷺ بالجواب جهراً تواجدَ وارتعد واصفرَّ وبكى وأنَّ وجثى على ركبتيه ثم قام وقال: **ياجَدَّاه**:

فِي حَالَةِ البُعدِ رُوْحِي كُنْتُ أُرسِلُها ... تُقَبِّلُ الأَرْضَ عَنِّي وَهِيَ نَائِبَتِي

وَهَذِهِ دَوْلَةُ الأَشْبَاحِ قَدْ حَضَرَتْ ... فَامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْظَى بِهَا شَفَتِي

فانشقَّ تابوتُ الرِّسالة ومَدَّ له رسولُ الله ﷺ يده الشَّريفة إلى خارج الشُّبَّاك النَّبويِّ فقبَّلها والنَّاس ينظرون، وقد كادت تقوم قيامة النَّاس لِـمَا حَلَّ بهم من سُلطان الهيبة المحمَّديَّة، وقد كنتُ بالجانبِ الغربيِّ من الحرم فكدتُ أموت جزعاً لبعدي عن الحجرة النَّبويَّة، ووالله إنِّي رأيتُها حين خرجت من القبر كالصَّقيل اليماني.

وأخبرني الشَّريف نُميلة الحسينيُّ القاضي، وهو ثقةٌ أنَّه سمع كلام النَّبيِّ ﷺ للسَّيِّد أحمد حين كانت يده الكريمة بيده وأنَّه يقول له عليه الصَّلاة والسَّلام:

«اصعدِ المنبرَ، البسِ الزِّيَّ الأسودَ، وعظِ النَّاسَ؛ فإنَّ اللهَ نفعَ بكَ أهل السَّمواتِ وأهل الأرضِ، وهذه البيعةُ لكَ ولِذرِّيَّتِكَ إلى يومِ القيامَةِ».

وقال لي الشَّريف نميلة المذكور: رأيت اليد الطَّاهرة وذراعها المبارك الشَّريف مكوَّناً من نورٍ، والكف المبارك طويل الأصابع، أبهج من البرق المنير، وكذلك قال كلُّ من حضر في الحرم الشَّريف النَّبويِّ.

ولـمَّا آن انصراف السَّيِّد أحمد من حضرة الحضور، اضطجع في باب الحرم وسأل النَّاس أن يدوس كلهم عنقه برجله تواضعاً وانكساراً، فتخطَّى العامَّةُ عُنُقَهُ المبارك، وانصرف الخاصَّةُ من أبوابٍ أُخَر.

ثمَّ إنِّي في اليوم الثَّاني دعوته إليَّ، وقد عَظُمَ أَمرُه لديَّ، فحضر عندنا، وبعد أن استقر به الجلوس، التفت إليَّ وكاشفني بما في ضميري قائلاً: يا شريف، أتشكُّ في أمر ابن عمِّك؟

فقلت يا سيِّدي، إنَّ جدَّنا ﷺ أمرنا أن نحكم بالظَّاهر والله يتولَّى السَّرائر.

قال: صدقت، سل ما بدا لك.

فقلت: أي سيِّدي، من أيِّ القبائل أنت؟ ومن أيِّ بطون العرب؟ وإلى أيِّ عصابةٍ تنتمي؟

فأمر أصحابه، فأتوا بصحيفةٍ مكتوبٌ فيها نَسَبَهُ الشَّريف، وعليها خطوطُ العلماء والأشراف والسَّادات والأمراء ومُلوك المغرب والعراق والحجاز، وهو مكتوبٌ اسمه بذيلها على عادة المشجَّرات، فتلوناها في حرم رسول الله ﷺ وشهد على مضمونها الألوف من المسلمين، وقد دلَّ مضمونها على أنَّ صورتها معلقةٌ في الكعبة بأمر الهواشم، ولها صورةٌ أخرى في خزانة آل عبيد الله الأعرج الحسينيِّ أمراء المدينة المنورة، فحمدتُ الله تعالى على أن مَنَّ عَلَيَّ بمعرفته، وجعلني من محبِّيه وشيعته، وقد أخذ عليَّ العهد والميثاق، وألزمني طريقته المباركة نفعني الله به

والمسلمين».

قلت: وهذه الواقعة الجليلة، والمزيَّة المقدَّسة الجميلة التي اختصَّه الله بها واختصَّها به، هي خارقةٌ من أشرف الخارقات، وكرامةٌ من أجلِّ الكرامات، سارت بذكرها الرُّكبان، وقد ساق لها الجهبذ الأمجد الأنصاري في «العقود» أسانيد باهرةً، وأخباراً زاهرةً، وهي أشهر من أن يُشار إليها، أو يُنبَّه عليها؛ لاشتهارها في جميع البلاد الإسلامية، ولدى الأمَّة المحمَّديَّة في المشارق والمغارب والأمصار والقفار، اشتهار الشَّمسِ في رابعة النَّهار، ولذلك اكتفينا بذكرها اعتماداً على اشتهار أمرها[1]، والله المعين.

---

(١) هذه المنقبة الجليلة التي اختص الله بها وليَّه السَّيِّد أحمد الرفاعي الكبير هي من أشهر الكرامات وأثبتها، وكم أعجب عندما أسمع ممن يوسمون بالعلم إنكارهم لهذه المعجرة المحمدية والكرامة الأحمدية من غير بحث في أسانيدها أو مصادرها!!! وسبب إنكارهم:

- قد يكون لعدم نقل بعض الأئمة والمؤرخين في تواريخهم وسيرهم هذه الكرامة العظيمة، وهذا مردود؛ لأنَّ أصحاب تلك الكتب لم يحيطوا بكل ما روي عمن ترجموه في كتبهم، وهذا لا يعني أن ننكر ما لم يرد في كتبهم من سير بعض الأئمة إذا روي في كتب أئمة أجلاء لم تشتهر كتبهم.

- أو لوقوفهم على بعض المؤلفات التي كتبت تنقيصاً لبعض الأئمة في الطريقة الرفاعية حسداً وزوراً وبهتاناً فصدَّقوا ما فيها من غير تحقيقٍ أو تدقيق.

فإليك أيها القارئ المنصف والباحث المدقق هذه العجالة في إثبات صحَّة هذه الكرامة، بل في إثبات تواترها بذكر عدد أسانيدها من مصادرها، وذكر الكتب التي نقلتها حسب الترتيب الزمني، مع ذكر رقم الجزء والصفحه، وقبل البدء أذكِّر أنَّ الإمام السيد أبا الهدى الصيادي أفرد لها كتاباً بَيَّنَ فيه تواترها، وهو: «الكنز المطلسم»، فمن أراد التوسع في البحث فليرجع إليه.

أ- المصادر التي نقلت هذه الكرامة بسند مصنفيها إلى من حضر وشاهد هذه المعجزة المحمدية والكرامة الأحمدية:

١- «**غنيمة الفريقين**»، للعارف الشيخ هاشم الأحمدي الرفاعي، وهو ممن شهد كرامة تقبيل اليد، ولبس الخرقة عن الإمام الرفاعي قدس الله سرهما (٥٣٣-٦٣٠)هـ.

=

=

٢- «**البرهان المؤيد**»، ذكرها جامع «البرهان» خليفة الإمام الرفاعي الإمام شرف الدين بن عبد السميع (٥٠٥-٥٨٠)هـ، في المقدمة صـ١٢ـ، وذكر أنه تلقى هذه الكتاب من فم شيخه الإمام الرفاعي مع جمع غفير بعد عام حجه الذي أكرمه الله به بتقبيل يد النبي ﷺ فيه، وسماه: «**البرهان المؤيد لصاحب مد اليد مولانا الغوث الشريف الرفاعي أحمد**»، وقد تلقى السادة الرفاعية هذا الكتاب بالأسانيد الصحيحة.

٣- «**سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين**»، للإمام البحر الطام الشيخ عبد الكريم الرافعي (٥٥٧-٦٢٣)هـ، فقد روى في كتابه صـ٩٠-٩٥ـ، سندين لهذه المنقبة الجليلة.

٤- «**مختصر أخبار الخلفاء**»، للإمام علي بن أنجب الشهير بابن الساعي (٥٩٣-٦٧٤)هـ، فقد روى المؤلف رحمه الله تعالى في «تاريخه» صـ١٢٢-١٢٥ـ خمسة أسانيد لهذه المنقبة الجليلة؛ ثم قال: وبالجملة فهذه القصة بلغت مبلغ القطع.

٥- «**إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين**»، للإمام المحدث المفسر الفقيه عزِّ الدين أحمد الفاروثي (٦١٤-٦٩٤)هـ، فقد روى في كتابه «الإرشاد» صـ٨٢-٩٢ـ، وأيضاً في رسالته «**النفحة المسكية في السلالة الرفاعية الزكية**» صـ٨-٩ـ، سنده فيها عن والده الشيخ إبراهيم، والشيخ إبراهيم عن والده الشيخ عمر خليفة الإمام الرفاعي ﷺ، وذكر أنَّه رأى خمسةً ممن كان مع الإمام الرفاعي ﷺ عام مدت له اليد الشريفة وهي بمثابة خمسة أسانيد، وإن لم يحدثوه بها؛ لإخبار والده له بذلك؛ ولانكباب الناس عليهم لتذكار عهد اليد الشريفة ومن مُدَّت له، فالمجموع ستة أسانيد.

٦- «**غاية التحرير في نسب قطب العصر غوث الزَّمان**»، للإمام عبد العزيز الدِّيريني (٦١٢-٦٩٤)هـ، فقد روى في رسالته «الغاية» صـ١٤-١٨ـ، سبعة أسانيد لهذه الكرامة الأحمدية.

٧- «**ترياق المحبين في طبقات المشايخ العارفين**»، للإمام الحافظ تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن الأنصاري الواسطي الشافعي (٦٧٤-٧٤٤)هـ، من تلاميذ الحافظ عز الدين الفاروثي، فقد روى في كتابة صـ١٢-١٣ـ ثلاثة أسانيد.

٨- «**روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان**»، للعلامة محمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الملك بن حماد الموصلي الرفاعي المتوفى بعد سنة (٧٥٠)هـ، فقد روى في كتابه صـ١٠٠ـ سنده عن أبيه إلى جده عبد الملك خليفة الإمام الرفاعي ﷺ في هذه الكرامة الجليلة، وقال بعد ذكرها: وخبر هذه القصة متواترٌ مشهورٌ، وقد ساقه كثيرٌ من أعيان الرِّجال بوجه التفصيل فليراجع.

٩- «**صحاح الأخبار**»، لشيخ الإسلام السيد محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي (٧٩٣-٨٨٥)هـ، صـ٦٧ـ، فقد روى في كتابه صـ٦٧ـ، سنداً واحداً ينتهي إلى الشيخ عمر =

=

الفاروثي رحمه الله تعالى.

١٠ - «**الشَّرف المحتَّم فيما منَّ الله به على وليِّه السَّيِّد أحمد الرفاعي ﷺ من تقبيل يد النَّبيِّ ﷺ**»، للإمام جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١)هـ، فقد روى في هذه الرسالة صـ١٩-٢١ـ ثلاثة أسانيد له لهذه المنقبة العظيمة، وهي ـ أي: أسانيده ـ متابعات لبعض الأسانيد السابقة.

فيكون عدد الأسانيد ـ شواهد ومتابعات ـ ثلاثين سنداً وهي كما يعلم طالب العلم لا العالم فقط بأنها تفيد القطع والتواتر، ومن لم يعلم ذلك فليعد إلى ما قرره السادة الأعلام في كتب مصطلح الحديث في بيان الحديث المتواتر.

ملاحظه: لم أذكر هذه الأسانيد من مصادرها على سبيل الحصر والجمع لكل الأسانيد والمصادر، بل هذا ما وصل لهذا العبد الفقير من المصادر والمراجع وفيها الغنية لطالب الحقِّ.

جـ- المراجع التي ذكرت الكرامة من غير ذكر السند حسب الترتيب الزمني وهي دليل على شهرتها:

١ -«**المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية**»، للإمام أحمد عز الدين الصياد (٥٧٤-٦٧٠)هـ، صـ١٧٢-١٨٠ـ.

٢ -«**الطريق القويم**»، للإمام عز الدين الصياد أيضاً لوحة ٢٥-٢٦/ خ.

٣ -«**أم البراهين بتصحيح اليقين في إشارات الصالحين**»، للإمام قاسم بن محمد الواسطي الشافعي تـ(٦٨٠)هـ، لوحة ٢٨٢-٢٨٦/ خ.

٤ -«**خلاصة الإكسير في نسب سيدنا الرفاعي الكبير**»، للإمام علي أبي الحسن الواسطي الشافعي (٦٥٤- ٧٣٣)هـ، فقد ذكر صـ٣١ـ هذه المعجزة المحمدية والكرامة الأحمدية ناقلاً عن شيخه الإمام عز الدين الفاروثي من «النفحة المسكية».

٥ -«**ربيع العاشقين في مناقب الإمام الرفاعي سيد العارفين**» أو «**البهجة الجليلة الوسطى**» للشَّيخ عليِّ بن جمال الحدَّادي الشَّافعيِّ تـ(٧٣٣)هـ، مخطوط-الرياض لوحة/ ١٤١ .

٦ -«**غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار**»، للسيد الشريف تاج الدين بن محمد زهرة الحسيني كان حيَّاً سنة (٧٥٣)هـ، صـ٥٩ـ.

٧ -«**نزهة المجالس ومنتخب النفائس**»، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري الشافعي تـ(٨٩٤)هـ، صـ٢٥٩ـ.

٨ -«**الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظةً بسيد الدنيا والآخرة**»، للشيخ أبي الفضل عبد القادر بن الحسين بن مغيزيل الشاذلي، فرغ من تأليفه سنة (٨٩٤)هـ، صـ٤٢ـ.

٩ -«**تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك**»، للحافظ جلال الدين السيوطي
=

=

(٨٤٩_٩١١)هـ، صـ٣٣ـ.

١٠-«**النجم الساعي في مناقب القطب الكبير الرفاعي**»، للشيخ أبي بكر العيدروس العدني (٨٨٠-٩١٤)هـ، صـ٩٦ـ.

١١-«**عقود اللآل في تراجم السادة الأحمدية أعيان أهل الكمال**» للإمام أبي بكرٍ بن محمَّدٍ الأنصاريِّ تـ(٩٦١)هـ، لوحة ٤١-٥١/خ.

١٢-«**قلائد الجواهر**»، للعلامة محمد التاذفي (٨٩٩-٩٦٣)هـ، صـ٨٤ـ.

١٣-«**روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين**»، للعلامة أحمد بن محمّد الوتري (٩٨٠)، صـ٥٤ـ.

١٤-«**الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**» (الطبقات الكبرى)، للحافظ محمد عبد الرؤوف المناوي (٩٥٢-١٠٣١)هـ، رقم ٤١٠، ٢/ ٢٢٠.

١٥-«**كشف النقاب عن أنساب الأربعة الأقطاب**»، للعلامة السيد عبد القادر بن محمد الطبري الحسيني (٩٧٦-١٠٣٣)هـ، صـ٦ـ.

١٦-«**تعريف أهل الإسلام والإيمان بأنَّ محمَّداً ﷺ لا يخلو منه مكان ولا زمان**»، للعلامة برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية تـ(١٠٤٤)هـ، صـ٤٨٢ـ.

١٧-«**نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**»، للشيخ أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي (٩٧٧ _ ١٠٦٩)هـ، ج٤/ ٥٤٣.

١٨-«**تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطائب**» للشيخ أحمد القليوبي تـ(١٠٦٩)هـ صـ٣٢ـ.

١٩-«**الدرة الثمينة فيما لزائر النبي ﷺ إلى المدينة**»، للشيخ أحمد القاشاني المدني تـ(١٠٧١)هـ صـ١٣٩ـ.

٢٠-«**خبايا الزوايا**»، للمفتي الشيخ حسن العجيمي (١٠٤٩-١١١٣)هـ، صـ٧ـ.

٢١-«**المسلسل**»، للعلامة السيد أسعد المدني الحسني مفتي المدينة المنورة (١٠٥٠-١١١٦)هـ، صـ٢٣ـ.

٢٢-«**الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية للترمذي**» للمحدث الشيخ محمد بن قاسم جسوس (١١٠٩ -١١٨٢)هـ، صـ٣٦٤ـ.

٢٣-«**قاموس العاشقين في أخبار السيد حسين برهان الدين**»، للعلامة عبد المنعم العاني ثم الراوي (١٠٩٦-١١٨٣)هـ، صـ٦٨-٦٩ـ.

٢٤-«**الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية**»، للعلامة سليمان بن عمر العجيلي الأزهري =

=

الشافعي، المعروف بالجمل تـ(١٢٠٤)هـ صـ٥٦ـ.

٢٥-«**مصباح الأنام وجلاء الظلام**»، للشيخ السيد علوي بن أحمد الحداد (١٢٣٢)هـ، صـ٢٨ـ.

٢٦-«**الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية**»، فرغ منه (١٢١٩)هـ، صـ٤٥ـ وحاشية على شرح الخريدة البهيَّة، فرغ منه (١٢٢٨)هـ، صـ٨٦ـ للعلامة أحمد بن محمد الصاوي (١١٧٥-١٢٤١)هـ.

٢٧-«**نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار** ﷺ»، للشيخ مؤمن الشَّبَلَنجي (١٢٥٢ بعد ١٣٠٨)هـ، صـ٢٥٣ـ.

٢٨- وفي هذا الكتاب «**مراحل السالكين**»، للإمام محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الشهير بالرواس(١٢٢٠-١٢٨٧)هـ.

٢٩-«**العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية**»، للأديب أحمد عزَّت باشا العمري الموصلي (١٢٤٤-١٣١٠)هـ، صـ٥-٦ـ.

٣٠-«**الكنز المطلسم في مد يد النبي لولده الغوث الرفاعي الأعظم**»، للسيد العلامة محمد أبي الهدى الصيادي (١٢٦٦-١٣٢٧)هـ، وقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب الأسانيد والكتب التي ذكرت هذه الكرامة للسيد أحمد وفيه الغنية لطالب العلم في بحثه لإثبات هذه الكرامة.

٣١-«**النفحات الهدائية على ورد السادة الأحمدية**»، للشيخ محمد نوري بن مصطفى أفندي الأريحاوي، فرغ منه سنة (١٣١١)هـ، صـ٢٠ـ.

٣٢-«**نفحات الرضا والقبول في فضائل المدينة وزيارة سيدنا الرسول** ﷺ»، للعلامة الشيخ أحمد الحضراوي الشافعي تـ(١٣٢٧)هـ، صـ٤٧ـ.

٣٣-«**لباب المعاني في أخبار القطبين العظيمين الرفاعي والجيلاني**» للسيد محمد بن السيد أحمد العبدلي البحريني الرفاعي وكطبع في حياته سنة (١٣٠٧)هـ صـ٢١ـ.

٣٤-«**الأسرار الإلهية شرح القصيدة الرفاعية**»، للسيد محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني (١٢٧٣-١٣٤٢)هـ، صـ٢٩-٣٣ـ.

٣٥-«**جامع كرامات الأولياء**»، للعلامة يوسف النبهاني (١٢٦٥-١٣٥٠)هـ، ١/ ٤٤١.

٣٦-«**وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له**»، للطبيب العلامة محمد أبي اليسر عابدين، صـ٢٣٧-٢٣٨ـ.

د- **وهناك مصادر ومراجع لم أقف عليها** وقد ذكرها العلامة السيد أبو الهدى الصيادي في «الكنز المطلسم»، والعلامة السيد محمود شكري الآلوسي في «الأسرار الإلهية» أذكر أهمها:

«**مناقب ابن الرفاعي**»، للشيخ محيي الدين أحمد بن سليمان الهمّامي الحسيني الرفاعي، كان حياً =

[نسب الإمام الرفاعي ﷺ وحسبه]

وهنا أحببت أن أنشر على رأسي ذيل عناية الحضرة الأحمدية بذكر نسبه وحسبه؛ فخراً لأهل طريقته وذوي قرابته وخُدَّام وثيقته، وإجلالاً لمنزلته، وإعظاماً لشأنه الكريم، واحتفالاً باتِّصاله إلى جدِّه صاحب الخُلُق العظيم - عليه أفضل صلوات الملك الرحيم -.

فأقول:

أحمد محيي الدِّين أبو العلمين الغوث الأكبر والإمام الأشهر الرِّفاعيُّ الحسينيُّ رضي الله عنه وعنَّا به: هو ﷺ أحمد بن عليٍّ أبي الحسن بن يحيى ويُكنَّى بأبي أحمد نقيب البصرة المغربي - ابن ثابت بن أبي ثابت بن أبي الفوارس عليٍّ الحازم بن أبي عليٍّ أحمد بن عليِّ بن رفاعة الحسن الأصغر بن المهديِّ بن أبي القاسم محمَّد بن الحسن الرَّئيس بن الحسين عبد الرحمن الرضي المحدِّث ابن أحمد الأكبر بن موسى الثَّاني بن إبراهيم المرتضى المجاب، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفرٍ

=

سنة (٦٨٠)هـ.

«**العدة**» و«**العمدة**» و«**الزبدة**» كلهم للنسابة السيد علي أبي الحسن الرفاعي العبدلي تـ(٨٤٨)هـ.

«**الفخر المخلد في منقبة مد اليد**» للإمام الشيخ محمد الوتري تـ(٩٠١)هـ.

«**مناقب الصالحين**»، للإمام الشعراني تـ(٩٧٣)هـ.

«**الوسيلة**» للشيخ محمد العلمي تـ(١٠١٨)هـ.

أكتفي بهذا القدر، ولا يسعني في الختام إلَّا أن أَذْكُر قول الإمام الوتري في «روضة الناظرين» صـ٥٤ـ في هذه المنقبة، وهو ما نصه: «هذه القصة تواتر خبرها، وعلا ذكرها، وصحَّت أسانيدها، وكتبها الحفاظ والمحدِّثون وكثيرٌ من أهل الطبقات والمؤرِّخين، لا ينكرها إلاَّ جاهلٌ قليل الروية، حاسدٌ لسلطان النُّبوَّة وظهور المعجزة المحمَّديَّة، أو معذورٌ من غير هذه الأمَّة الأحمديَّة ...».

الصَّادق، ابن الإمام محمَّدٍ الباقر، ابن الإمام زين العابدين عليٍّ السَّجاد ابن الإمام الحسين المظلوم الشَّهيد ابن الإمام عليٍّ أمير المؤمنين أسد الله، إمام أولياء الله، صهر رسول الله ﷺ، وأم سيِّدنا الإمام الحسين الشَّهيد سيدة نساء العالمين، فاطمة الزَّهراء البتول عليها وعلى بنيها الطَّاهرين السَّلام، وهي بنت رسول الله ﷺ.

قال الإمام عبد العزيز الدِّيرينيُّ رضي الله عنه في «غاية التَّحرير»[1]: «حدَّثنا الشَّريف الكبير عبد الحافظ بن سرور بن بدر الحسينيُّ المقدسيُّ ثمَّ البطائحيُّ ثم المصريُّ قدَّس اللهُ سرَّه بعد أن أورد نسب سيِّدنا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله عنه على الوجه الذي ذُكِرَ أنَّ جدَّه السَّيِّد بدر الحسينيّ الوفائيّ صاحب وادي النُّور بديار القدس أملاه هذا النَّسب الشَّريف على هذه الصُّورة، وقال له: ثبت هذا النَّسب المبارك على هذا المنوال في المغرب ثمَّ في الحجاز ثمَّ في العراق وبلغت شهرته الآفاق، ولم يلك لسانه بالقدح فيه مسلمٌ قطُّ سوى الملاحدة والباطنية في العراق بُغضاً للسَّيِّد يحيى المغربيِّ قدَّس الله روحه، وهو جدُّ سيِّدنا السَّيِّد أحمد لأبيه.

وذلك لأنَّه قَدِمَ على الخليفة القائم[2] ببغداد سنة خمسين وأربعمائة وقد هُدِمَتْ أركانُ دولته ببغي الملاحدة وأصحاب البدع، فنصَّب السَّيِّد يحيى نقيباً للبصرة وواسط والبطائح، فأيَّد الله به شرف السُّنَّة، وأعزَّ به مجد خليفة الأمَّة، فبغضه لذلك المبتدعة وقدحوا به، وما قولك بوليٍّ من أعيان آل بيت النَّبيِّ ﷺ غمزة ملحدٌ مبتدعٌ ملموز العقيدة، وأنشد متمثِّلاً:

---

(١) صـ١٩-٢٠.

(٢) عبد الله بن أحمد القادر بالله ابن الأمير إسحاق بن المقتدر العباسي، أبو جعفر، القائم بأمر الله (٣٩١-٤٦٧)هـ: خليفة من العباسيين في العراق، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٤٢٢)هـ بعهدٍ منه، وكان ورعاً، عادلاً، كثير الرفق بالرَّعية، له فضلٌ وعنايةٌ بالأدب والإنشاء. «الأعلام» للزركلي ٤/ ٦٦.

إِذَا سَبَّ عِرضي ناقصُ القدرِ جاهلٌ   فليسَ له إلَّا السُّكوتُ جوابُ
ألمْ تَرَ أنَّ اللَّيثَ ليسَ يَضُرُّهُ   إِذَا نَبَحَتْ يَوْمَاً عليهِ كلابُ»

قلت: وقال الإمام الدِّيرينيُّ ﷺ في «الغاية»[1]: «حدَّثنا شيخُنا الشَّيخ الجليل بهرام الدَّميريُّ، قال: حدثنا شيخنا ومولانا العارف بالله الشَّيخ أبو الفتح الواسطيُّ[2] ﷺ قال: وَفَدَ سيِّدُنا السَّيِّد يحيى النَّقيب جدُّ سيِّدنا ومولانا السَّيِّد أحمد الكبير الرِّفاعيِّ **رضي الله عنهما** لأبيه من المغرب إلى الحجاز ثمَّ إلى العراق في زمن الخليفة القائم العبَّاسيِّ قدَّس الله روحه فاستقدمه إلى بغداد وأكرم قدومه، وولاَّه نقابة البصرة وواسط والبطائح؛ فإنَّ أهل البدعة أفسدوا في تلك الدِّيار كلَّ الإفساد يومئذٍ، فقام السَّيِّد يحيى وجاهد في الله كلَّ جهاده، ونَصَرَ اللهُ به السُّنَّةَ وخَذَلَ البدعة، وتزوَّج من الأنصار سكان واسط بالشَّيخة الصَّالحة العارفة بالله علماً، الأنصاريَّة بنت الشَّيخ الزَّاهد الكبير وليِّ الله الحسن النَّجَّاريِّ، فأولدها سلطان العارفين السَّيِّد عليَّاً أبا الحسن، ويعرف بالمكِّيِّ الزَّاهد صاحب المشهد المنوَّر بظاهر الجانب الشَّرقيِّ من بغداد، وتوفي السَّيِّد يحيى وعُمْرُ ولده السَّيِّد عليٍّ

---

(١) صـ٢٠-٢٤.

(٢) أحمد بن أبي الغنائم بن صدقة بن أحمد بن الخضر، أبو الفتح القرشي، الواسطي تـ (٥٨٠)هـ: الزاهد، شيخ الشيوخ، القطب الكامل، كان معمور القلب عظيم القدر، وهو خليفة الإمام الرفاعي وأحد أجلاَّء أصحابه، اقتلع السيِّد أحمد ﷺ نخامةً من فمه وهو يتوضأ، وكان الشَّيخ أبو الفتح يَصُبُّ على يديه الماء فأخذ النخامة التي ألقاها شيخه وازدردها، فكشف الله له عن المشرق والمغرب ورأى الإسكندرية، فأطال النَّظر إليها، فقال له شيخه سيِّدنا أحمد: أنت هناك أي مبارك، وإلى ترابها تصير، وكان الأمر كذلك فإنه نزل الإسكندرية سنة (٥٦٠)هـ وأقام بها سنة لم يفتح عليه فيها باب الإرشاد، فرجع إلى أم عبيدة وأقام بها ثلاثة أعوام ثم بعدها أذن له شيخه ﷺ في العود إلى الإسكندرية، فنزلها سنة (٥٦٣)هـ، وأقام بها ست عشرة سنة، وتوفي بها. انظر: «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٢٧، و«تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٠٨/١٠.

سنة واحدة، فكفله أخواله الأنصار وبنو خالته آل الصّيرفيِّ أمراء البصرة، فأتقن قراءة القرآن وعلوم الشَّريعة، وصحب خاله الشَّيخ الكبير أبا سعيدٍ يحيى النَّجّاريَّ[1]، وابن عمِّه الشَّيخ أبا المنصور الطَّيِّب[2]، وتفقَّه بالشَّيخ أبي الحسين الحربونيِّ وبالفارقيِّ[3] وبجماعةٍ من مشايخ العصر، واتَّصل بخدمة خاله الشَّيخ يحيى النَّجَّاريِّ، وبعد مدَّةٍ ترك البصرة ونزل إلى البطائح بأمرٍ من ابن خاله الشَّيخ منصورٍ، وذلك في سنة سبع وتسعين وأربعمائة، وفي تلك السَّنة زوَّجه بأخته التَّقيَّة الطَّاهرة الصَّالحة فاطمة الأنصاريَّة، فأعقب منها سلطان الأولياء العارفين، إمام الهدى سيِّدنا ومولانا محيي الدِّين السَّيِّد أحمد أبا العبَّاس الكبير الرِّفاعيِّ الحسينيِّ ﷺ، والسَّيِّدة ست النَّسب، والسَّيِّد إسماعيل[4]، والسَّيِّد سيف الدِّين عثمان،

---

(١) هو الشيخ يحيى النجاري الأنصاري أبو سعيد والد الشيخ منصور البطائحي صاحب أم عبيدة تـ(٥١٠)هـ: كان مستجاب الدَّعوة نافذ البصيرة عظيم الكشف، تخرَّج به الأصحاب، وانتمى إليه الأحباب، وابتهج به الطلاب، توفي رحمه الله تعالى برواقه في أم عبيدة. «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٥ـ.

(٢) هو الشيخ أبو منصور محمد الطيب بن محمد بن كامل الأنصاري، وهو خال أم الشيخ منصور وابن عم أبيه تـ (٥٠٠)هـ: كان عالماً فقيهاً مباركاً محمود السيرة، شافعي المذهب، محمدي المشرب، توفي بأم عبيدة ودفن بمقبرة الوردية. «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ١٦– ١٧ـ.

(٣) الحسين بن إبراهيم بن علي بن برهون القاضي أبو علي الفارقي الشافعي(٤٣٣–٥٢٨)هـ: كان إماماً ورعاً، قائماً في الحق، مشهوراً بالذكاء، تفقَّه على أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي ولازمه، ولازم ابن الصباغ، تولَّى قضاء واسط ثم عزل، وسكنها إلى حين وفاته عن خمس وتسعين سنة، ودفن في مدرسته. انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة رقم ٢٧١، ٢/ ٣٠٣.

(٤) السَّيِّد إسماعيل الأخ الأصغر للسَّيِّد أحمد ﷺ تربى بتربيته، وانتفع بخدمته، وبه تخرَّج، وعنه أخذ ولده السَّيِّد محمَّد وغيره، وله خوارقٌ كثيرةٌ، وشهرةٌ بالبطائح، وانتفع به أُمَّةٌ، توفِّي في السَّنة التي توفِّي بها أخوه السَّيِّد الكبير **رضي الله عنهما** بعده بأيَّامٍ قلائل، وقبره مع عشيرته بـ (تل الحي). انظر: «ترياق المحبين» صـ١٩ـ.

وصغاراً أُخَر ماتوا كلُّهم أطفالاً.

وقد تفرَّع من السَّيِّد أحمد لبنتيه الكريمتين الطَّاهرتين زينب وفاطمة، ومن أخته زوج ابن عمِّه السَّيِّد عثمان - أعني: ست النَّسب - ومن أخويه السَّيِّد إسماعيل والسَّيِّد سيف الدِّين عثمان كل فروع بني رفاعة في العراق والشَّام، ولهم عصابةٌ في المغرب يتَّصلون بهم بعد السَّيِّد أحمد والد السَّيِّد حازم، وجماعةٌ يتَّصلون بهم قبله، ولهم عُصْبَةٌ في المدينة المنوَّرة يتَّصلون بهم بالسَّيِّد حازم، وهم من بني السَّيِّد عبد الله المدني[1] القادم من المغرب ابن السَّيِّد حازم وهو الجد الرَّابع للسَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ؛ فإنَّ السَّيِّد أحمد ابن السَّيِّد يحيى ابن السَّيِّد ثابتٍ ابن السَّيِّد حازمٍ وساق نسب السَّيِّد أحمد إلى رسول الله ﷺ، ثمَّ قال الرَّاوي قدَّس الله روحه: هذا نسب السَّيِّد أحمد لأبيه.

وأما نسبه لأمه: فهو أحمد بن فاطمة بنت يحيى بن موسى بن كامل بن يحيى بن أبي بكرٍ الواسطيِّ بن موسى بن محمَّدٍ بن منصورٍ بن خالدٍ بن زيدٍ بن متٍ وهو أيوب بن خالد أبي أيوب بن زيدٍ النَّجَّاريُّ الأنصاريُّ صاحب رسول الله ﷺ.

ثم قال: ونسب أمه لأمها نقول: فاطمة بنت رابعة بنت عبد الله الطَّاهر نقيب واسط ابن سالم، نقيب واسط، ابن أبي يعلى نقيب واسط، ابن محمَّدٍ نقيب واسط، ابن أبي محمَّدٍ الفتح أمير الحاج ابن السَّيد الكبير محمَّدٍ الأشتر أمير الحاجِّ، ابن عبيد الله الثَّالث، ابن عليٍّ بن عبيد الله الثَّاني بن عليٍّ الصَّالح بن عبيد الله الأعرج، ابن الحسين الأصغر، ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين سبط النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) السَّيِّد عبد الله المدنيُّ ابن السيد علي الحازم الحسيني ت (٤٢٠)هـ: هاجر من إشبيلية إلى المدينة المنوَّرة عام (٤٠٥)هـ، فاشتهر بالعلم والصلاح والشَّرف والنَّسب الوضَّاح، وله ذيل بالمدينة عظيم، منهم قاضي القضاة السيد علي بن الحسين المدني، والأمير قيماز، والأمير الحسين أمير المدينة، وأمة كثيرة جمَّة، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع. «الروضة الندية» صـ٩ـ.

ونسب جدِّ الإمام الرِّفاعيِّ لأبيه سيِّدي السَّيد يحيى المغربي نقيب البصرة من جهة أمِّه فنقول: يحيى بن آمنة بنت يحيى العقيلي بن الناصر لدين الله على ملك الأندلس ابن أحمد بن ميمون بن محمَّد بن عليِّ بن عبد الله بن عمر بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر الذي فتح الله الغرب على يديه، ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنَّى ابن الإمام السَّيِّد الحسن سبط النَّبيِّ المؤتمن عليه الصَّلاة والسَّلام.

ونسب جدِّه لأمِّه سيدي الشَّيخ يحيى النَّجَّاريِّ الأنصاريِّ من جهة أمِّه أيضاً نقول: يحيى بن علوية، ويقال عالية، بنت الحسن اللاع بن محمَّد بن يحيى بن الحسين، ملك اليمن ومكة، ابن القاسم بن محمَّد الرَّسيِّ بن إبراهيم طباطبا بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنَّى ابن الإمام الحسن سبط النَّبيِّ ﷺ.

وللإمام الرِّفاعيِّ من طريق جدِّه الإمام جعفرٍ الصَّادق نسبٌ لسيِّدنا أمير المؤمنين أبي بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه؛ فإنَّ أمَّ الإمام جعفرٍ هي أمُّ فروة بنت القاسم بن محمَّد بن سيِّدنا أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، ووالدة أمِّ فروة المذكورة أسماء بنت عبد الرَّحمن بن مولانا أبي بكرٍ الصَّديق عليه الرِّضوان؛ ولهذا كان الإمام الصَّادق جعفرٌ رضي الله عنه يقول: **وَلَدَنِي الصِّدِّيقُ مَرَّتين**[1].

ويتصل نسب سيِّدنا الإمام الرِّفاعيِّ أيضاً بالإمام الحسن السِّبط عليه السلام من طريق جدِّه الأعلى عليِّ بن رفاعة الحسن الأصغر المكِّي نزيل إشبيلية؛ وذلك أنَّ رفاعة الحسن قدَّس الله سرَّه وروحه هاجر من مكَّة إلى إشبيلية بالمغرب في فتنة القرامطة[2] قاتلهم الله سنة سبع عشر وثلاثمائة؛ لإقامة الحُجَّة على العُبيديِّين لأجل

---

(١) ذكرها في ترجمة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء»٦/ ٢٥٥، وفي «تذكرة الحفاظ»١/ ١٦٦، والإمام أبو الحسن الواسطي في «خلاصة الإكسير»صـ ٤٥ ـ، والإمام السخاوي في «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة»١/ ١٥٩ وغيرهم.

(٢) هي التي قام بها أبو طاهر القرمطي – لعنه الله – سنة (٣١٧)هـ عندما خرج على الحجيج في =

ذلك فإنَّه قيل: أنَّ القرمطي فعل ما فعل خدمةً للعبيديِّين وقياماً بأمرهم إرغاماً للعبَّاسيِّين، فلمَّا وصل المغرب عظَّمه ملوكها وأمراؤها، وعكف عليه ساداتها، وانتفع به المسلمون، فأقام ببادية إشبيلية فاراً بدينه مع قبيلة بني شيبان، ثم تزوَّج بالشَّريفة نبها بنت أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر ملك المغرب الحسينيِّ الكبير فأعقب منها عليّاً - جدّ السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ السَّادس - وسعداً وعمران وبركات، ولكلِّهم أعقابٌ مباركةٌ رضي الله عنهم ونفع بهم المسلمين». آمين.

ثم قال[1]: «أخبرنا شيخنا سلطان العلماء عبد العزيز أبو محمَّدٍ الشَّيخ عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام الشَّافعيُّ قدَّس الله سرَّه قال: قرأت في كتاب الشَّيخ الصُّوفي العالم الصَّالح المتمسِّك بالسُّنَّة المحمَّديَّة بقيَّة السَّلف السَّيِّد الشَّريف محيي الدِّين أحمد بن سليمان الحسينيِّ الرِّفاعيِّ الهماميِّ[2] قدَّس الله روحه، ومن خطِّه نقلتُ هذه

=

جماعته يوم التروية فانتهب أموالهم واستباح قتالهم فقتل في مكَّة وحَرَمِهَا وفي جوف الكعبة من الحُجَّاجِ خلقاً كثيراً، ودفنهم في بئر زمزم وفي أماكنهم من الحرم، وهدم قُبَّةَ زمزم، ونزع كسوة الكعبة عنها وشققها بين أصحابه، ثم قلع الحجر الأسود وأخذه معهم إلى بلادهم فمكث عندهم(٢٢) سنة حتَّى ردُّوه في سنة (٣٩٣)هـ، وقد كانوا ممالئين للعبيديين -الفاطميين - نسبة لأميرهم عبيد الله بن ميمون القداح الذي يهودياً فادَّعى أنَّه أسلم، وادَّعى أنَّه شريفٌ فاطميٌّ فصدَّقه على ذلك طائفةٌ كثيرةٌ من البربر وغيرهم من الجهلة. انظر: «البداية والنهاية»لابن كثير ٧/ ٥٥١-٥٥٢.

(١) أي: الشيخ عبد العزيز الديريني في «غاية التحرير» صـ٢٦-٣٠.

(٢) الشيخ محيي الدين أحمد بن سليمان الحسيني: قال الإمام الذهبي: بعد أن ترجم الإمام الرفاعي ﷺ في «تاريخ الإسلام»٩/ ٧٢: نقلت أكثر ما هنا عن يعقوب من كتاب «مناقب ابن الرفاعي ﷺ» جَمْع الشيخ محيي الدين أحمد بن سليمان الهمّامي، الحسيني، الرفاعي، شيخ الرواق المعمور بالهلالية، بظاهر القاهرة، سمعه منه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن الشيخ أبو طالب الأنصاري، الرفاعي الدمشقي، ويعرف بشيخ حطّين، بالقاهرة سنة ثمانين وستمائة، وقد كتبه عنه
=

الصَّحيفة، يقول الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن محمَّد الدَّميريُّ عفا الله عنه، وأنا نقلتُها من خطِّ شيخنا شيخ الإسلام عزِّ الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام، وقرأتها بعد نقلها عليه وهذا نصُّها: نزل السَّيِّد محمَّدٌ أبو القاسم الحسينيُّ البغداديُّ الجدُّ التَّاسع لسيِّدنا ومولانا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ مع أبيه إلى مكَّة وتوطَّنها وأحبَّه النَّاس، واعتقدوا صلاحه وعظَّموه لأجل الدِّين، وبَجَّلوه حرمةً لنسبه المحمَّديِّ.

ومن غرائب الإتحاف الإلهي الذي حصل له: أنَّه رأى ليلة جمعة بمكَّة في منامه أنَّ أبواب السَّماء فُتحت، ونزل من السَّماء نورٌ غشِيَ الأبصار، ثمَّ انكشف رداءُ النُّورِ عن أرضٍ نديَّة خَضِرةٍ مفروشةٍ بشُقَقِ الدِّيباج، وعليها الأسِرَّة، وفَوقَ الأَسِرَّةِ رجالٌ تغشاهم من كلِّ جهاتهم الأنوارُ، ومعه ولده المهديّ، وإذا برجُلٍ قد جاء فدعاهما، فذهبا معه حتَّى إذا أوقفهما تُجاه سريرٍ رفيعٍ عليه سِترٌ مرصَّعٌ باليواقيت والجواهر، فانكشف السِّترُ ونزل من السَّريرِ رجلٌ عظيمُ المهابةِ جليلُ الطُّول، وبيده غصن شجرةٍ رفيعٍ، فتقدَّم إليهم وقال: يا أبا القاسم، خُذْ هذه الغُرَيسة وأعطها لولدك المهدي، واسلُك به هذا الطَّريق إلى الغرب، فإذا وصلها فليغرس فيها هذه الشَّجرة، فإذا نمت فيأخذ أشرف أغصانها ويسلِّمه إلى بعض أولاده، وليسلك به هذا الطَّريق إلى الشَّرق، فإذا انتهى إلى واسط فليغرس الغصن بها وليقلع عن السَّير؛ فإنَّ هذا الغصن يُنْجِبُ شجرةً تَصِلُ فروعها المشرق والمغرب، وتصل إلى قبَّة السَّماء.

=

مناولةً وإجازةً المولى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الجزري، وأودعه «تاريخه» في سنة خمس وسبعمائة، فأوّله قال: ذكر ولادته، ثم قال: قال الشيخ أحمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ يعقوب بن كراز؛ وأكثر الكتاب عن الشيخ يعقوب، وهو نحو من أربعة كراريس، وهو ثمانية فصول في مقاماته وكراماته، وغير ذلك.

قال أبو القاسم: فكلَّمت ولدي المهديَّ في ذلك، فقال: ولدي رفاعة أقوى منِّي جَلْداً على السَّفر فَأَرْسِلُوْهُ هو، فكلَّمت الرَّجل بما قاله المهديُّ، فصعد السَّرير ثمَّ عاد، فقال: نعم، رفاعة ابنه الذي يفعل، فلم ألبث قليلاً إلَّا ورفاعة عندي فأعطيته الغصن، ثُمَّ قلت للرَّجل: ها نحن قد قمنا لامتثال أمركم، فبالله إلاَّ ما أخبرتني من أنت؟ ومن صاحب هذا السَّرير الذي أتيتنا بالأمرِ مِن قِبَلِه؟ قال: أنا عليُّ بن أبي طالبٍ، وصاحب السَّرير رسول الله ﷺ، فصلَّيتُ عليه وحمدت الله وأخذت بيد حفيدي رفاعة وسلكت به طريق الغرب الذي أشار إليه أمير المؤمنين، فما كان كطرفة عينٍ إلاَّ ونحن في المغرب، فغرسَ رفاعةُ الغُصنَ فأنبت شجرةً عظيمةً، تسلَّق غصنٌ منها ذِرْوَة السَّماء، فقطعه رفاعة، ثم قمنا فسلكنا طريق الشَّرق نزجُّ بالنُّور، فما كان غير يسيرٍ وإذا نحن بواسط المشرق من العراق، فغرس رفاعة الغصن فأنجب شجرةً عظيمةً حتَّى مسَّت أغصانها أطلس السَّماء، وانتهت فروعها طولاً حتَّى بلغت المشرق والمغرب، وكأنَّ الشَّمس أصلها والنُّجوم أوراقها، فخشعتُ لذلك، ثمَّ استيقظت متحيِّراً وانصرفتُ إلى بيت الله وأنا في بحرٍ من الفكر، فرأيت السَّيد حمزة بن العلويَّ، مُعبِّر أهل البيت، فذكرتُ له قصَّة الرُّؤيا فخشع وبكى، ثم قال: تشير رؤياك إلى أنَّ ولد ولدك رفاعة ينزل المغرب ويترك فيها العقب الطَّاهر، ثمَّ ينتقل من بنيه رجلٌ إلى المشرق وينزل واسط ويعقب فيها سيِّداً ينوب عن رسول الله ﷺ، فيجدِّد شريعته، ويُحْيي طريقته، وتملأ أنوار إرشاده الأكوان، ويجيء من بنيه رجالٌ من خُلَّص أولياء أهل البيت كلهم كالنُّجوم، إن لم يكن ذلك الرَّجل مهدي أهل البيت فهو مثله.

فكتبت رؤياي وتعبيرها في رقعةٍ وحفظتها؛ لتكون إن شاء الله وديعةً محمَّديَّةً علويةً لصاحبها. انتهى كلام السَّيد محمَّد أبي القاسم.

ولا زالت الرُّقعة محفوظةً يتداولها أهل هذا البيت الشَّريف حتَّى ظهر شمس

هذه العصابة، وليُّ الله القطب الجامع الأكبر السَّيِّد أحمد بن عليٍّ الرِّفاعيُّ الحُسينيُّ ﷺ، وبلغ من الظُّهور في مقام إرشاد أمَّة جدِّه ﷺ ما بلغ، حمل هذه الرُّؤيا أعيان أهل البيت عليه ﷺ، وأيَّدَ ذلك من البشارات المحمَّديَّة شيءٌ كثيرٌ رواه أمَّةٌ من الصَّالحين العارفين، وكان وفاة السَّيِّد محمَّد أبي القاسم بمكَّة سنة خمس وستين ومائتين طيَّب الله مرقده. انتهى.

قال الفقير إلى الله جامع هذه الكراسة عبد العزيز أحمد الدَّميريُّ عفا الله عنه: قال شيخنا شيخ الإسلام الشَّيخ عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام قدَّس الله سرَّه: وأنا مِمَّن يحمل هذه الرُّؤيا على شيخ مشايخنا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ ﷺ؛ فإنَّ الله أقامه إماماً للخليقة، وعَلَماً للطَّريقة، ونصَّبه في مقام الهداية والإرشاد نائباً عن جدِّه رسول الله ﷺ، لله دَرُّه، ما أحسن خلقه، وما أكرم شمائله، وما أعزَّ سلوك طريقته.

كان طريقه: الذُّلَّ لله تعالى والانكسار والحيرة فيه والافتقارُ إليه، والتخلُّق بأخلاق النَّبيِّ ﷺ، والعمل بما كان عليه هو وأصحابه ﷺ، وهو على طريقة الإمام الجنيد ومشربِهِ ولا جَرَم[1]؛ فهو كأئمَّة السَّلف الصَّالح نفع الله بهم أجمعين، فإنَّهم طريقهم الخشية والخشوع والذِّلَّة لله والخضوع، وطرح التُّرَّهات، والمشي على طريق السُّنَّة والأخذ بها قولاً وفعلاً، وهذا هو طريق أصحاب النَّبيِّ ﷺ الذين هم هداة الأمَّة، وأولياء الله تعالى حقّاً رضي الله عنهم أجمعين». انتهى كلامه.

أقول: وقد استغرق خبر سيادة مولانا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله عنه وعنَّا به العرب والعجم، وسار ذكرها على ألسنة شعوب الفرس والتُّرك والدَّيلم، نُعِتَ

---

(١) لا جَرَمَ: قال الفَرّاء هي كَلمةٌ كانت في الأصل بمنزلة لا بُد ولا مَحَالة فَجَرَتْ على ذلك وكَثُرت حتَّى تحَوَّلَتْ إلى معنَى القَسَم، وصارت بمنزلة حَقّاً. «مختار الصحاح» مادة: (جرم).

بالسِّيَّادة التي خصَّصها العُرف العامُّ بآل النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام في مشارق الأرض ومغاربها من عهده المبارك إلى اليوم وإلى قيام السَّاعة إن شاء الله تعالى، ولم يَمْسَسْ شرفه الطَّاهر بطعن طاعنٍ سوى خَبَلٍ من حُمَقاء الرَّافضة، ساقه التَّعصُّب للمغالطة فأثبت ونفى وعلى عينه العفا، وخَلْطِ مَنْ طمَّه الغلط من رجلٍ أو رجلين ما عرفا عِلم النَّسب وأصوله، ولا فقهوا مردوده ولا مقبوله؛ فأكَلَ بعضُهم في بعضِ مكتوباتِهِ الرِّوايةَ أكلاً، ولم يفهم من غايات تَبِعَتِها قُلَّاً ولا جُلَّاً، وبعد أولئك الثَّلاثة الذين تخلَّفوا، وصعب أن نقول ﵃، فإنَّ الأُمَّة مطبقةٌ على سيادة السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله تعالى عنه وعنَّا به، كيف لا؛ وهو عَلَمُ الله المنشور، وعَيْلمُ العلم المحمَّديِّ المسجور[1]، والإمامُ الذي تاهت الأفكار بما ناله من المعارف والبراهين والأسرار، وهو شيخ الأكابر والأصاغر، وأوحد أهل المظاهر في الباطن والظَّاهر، والحجَّةُ النَّاهج من الطَّريق المحمَّديِّ أقوم محجَّةٍ، صاحب اليد والفخر الذي لا يُجحد، ذو البرهان المؤيَّد، والمجد الوضَّاح المخلَّد، والصِّيت الأشهر، والسَّمت الأنور، والسِّرِّ الأطهر، والقدر الأفضل، والباع الأطول، والكرامات التي لا تُحصى، والمواهب التي لا تُستقصى، والعَلَم الفياض الذي حارت له الأفكار، والشَّأن الباهر الذي لا يَمسُّ عَتَبَة وَصِيْدِه الإنكار.

قال الشَّيخ الكامل الواصل العالم العامل تاج الدِّين أبو بكر ابن الشِّهاب أحمد ابن الأستاذ تاج الدِّين أبي بكرٍ الأنصاري عليه وعلى أسلافه رضوان الباري في رسالةٍ له سماها: «عقود اللآلي السنية» جعلها ذيلاً لكتاب جدِّه المسمَّى: «عقود اللآل» بعد ديباجتها ما نصُّه: «إنِّي والمِنَّة لله تعالى من الذين أكرمهم الله ﷻ بخدمة الشَّريعة الغرَّاء المحمَّديَّة، وتَفَضَّل عليه بالانتساب إلى الطَّريقة السَّمحاء الأحمديَّة،

---

(١) العَيْلَم: البحر؛ والمسجور: المملوء. «لسان العرب» مادة: (علم) و (سجر).

وقد اجتذب الله أزمَّة قلبي من كلِّ أجزائه إلى محبَّة شيخها الأكبر وقمرها الأزهر سلطان الأولياء، نائب سيِّد الأنبياء، أوحد الهداة القادات، وأكمل أفراد السَّادات، بركة الدُّنيا والدِّين، شيخ الإسلام والمسلمين، حجَّة الله على الأولياء العارفين، صاحب منقبة تقبيل اليمين الأنور، ومظهر وراثة براهين صاحب الكوثر، شمس الحقيقة، صمصام الطَّريقة، بدر العرفان المنير، أبي العلمين مولانا وسيِّدنا السَّيِّد أحمد محيي الدِّين الحسينيِّ الرِّفاعيِّ الكبيررضي الله عنه وعنَّا به، وألهمنا التَّخلُّقَ بأخلاقه، والتأدُّبَ بآدابه، إنَّه وليُّ العناية، وبيده التَّوفيق والهداية، وقد وَرِثْتُ هذه المحبَّة النَّاجحة، والتِّجارة المباركة الرَّابحة عن آبائي المشايخ الموفَّقين والأساتذة الموقفين:

الحُبُّ رَغمَ تقلُّبِ الأهواءِ ... يَسرِي مِنَ الآباءِ للأبناءِ

الحمدُ للهِ الوفاءُ سَرِيْرَتِي ... والعزمُ في حِفْظِ العُهودِ رِدَائِي

إِرثٌ تَسَلْسَلَ لي بحُكمٍ قاطعٍ ... عن خُلَّصِ الأَشياخِ مِنْ آبَائِي

فعرجتُ أقرعُ فيه أسبابَ العُلا ... حتَّى انتهيتُ إلى أبي العَرَجَاءِ

سُلطانِ أهلِ اللهِ عِقدِ نِظَامِهِم ... غوثِ الوجودِ أبي اليدِ البيضاءِ

عَلَمِ الأئمَّةِ من بقيَّةِ حيدرٍ ... شمسِ المفاخرِ بَضعَةِ الزَّهراءِ

كم مرةٍ حَاضَرْتُهُ بِمُهِمَّةٍ ... فَجَلا بِإِذْنِ اللهِ ليلَ عَنَائِي

يَحْلُو لِرُوحِي ذِكْرُهُ ويلذُّ لي ... معناهُ إذ يجرِي على مَعْنَائِي

ولكم سَكِرتُ إذا سَمِعتُ مَدِيْحَهُ ... من مُنشِدٍ وبَذَلْتُ دُرَّ بُكَائِي

ولَكَم يُحَرِّكُنِي حَدِيْثُ غَرَامِهِ ... فَأَغِيبُ عن كُلِّي وعن أَجْزَائِي

ولَكَم جَرَتْ منهُ عَلَيَّ عَوائدٌ ... دَاوَتْ بلُطْفِ الغَيبِ مُزْمِنَ دَائِي

هو أحمدُ الأقطابِ سيِّدُ رَكْبِهم ... وهِزَبْرُهُم مِنْ شِدَّةٍ ورخاءِ

أَدعوهُ مُلتفتاً لأمِّ عَبِيْدَةٍ ... وَأَقولُ يا حامي حِمى الفُقَراءِ

يا صفوةَ الكرَّارِ في أخلافِهِ ... يا رافعَ العَلَمَينِ في البَطْحَاءِ

اشْفَعْ إلى اللهِ الكريمِ بِحاجَتِي ... فلأنتَ يا ذُخري من الشُّفَعاءِ

والْحَظْ كَسيراً هَزَّ رُوحَك لاجِئاً ... يا ابن النَّبيِّ الطَّاهرِ الأسماءِ

جَبْرُ الكَسيرِ لطورِ روحِكَ عادةٌ ... لا تَقْطَعِ العاداتِ يا مولائِي

ثم قال التَّاج الأنصاريُّ قدَّس الله سرَّه بعد كلامٍ أفصح فيه عن مرتبة سيِّدنا ومولانا الإمام الرِّفاعيِّ رضي الله عنه وعنَّا به ما نصُّه:

ويُقال لأتباعه: الأحمديَّة والرِّفاعيَّة والبطائحيَّة، وطريقته رضي الله تعالى عنه طريقة السَّلف الصَّالح، أَحْكَم بنيانها، وشيَّدَ أركانَها على قواعدِ الكتاب والسُّنَّة، وطريقته طريقة الإمام الجُنيد البغداديِّ ﷺ، وهو أعظم طوائف القوم تمسُّكاً بالسُّنَّة السَّنيَّة، وأتمَّهم تَخلُّقاً بالأخلاق المحمَّديَّة، وهو شيخ طوائفِ القوم من عهده العالي إلى اليوم.

هيهاتَ أن يأتي الزَّمانُ بِمثلِهِ ... إنَّ الزَّمانَ بِمثلِهِ لبخيلُ

قلت: وعلى هذا أطبق السَّلف والخَلَف، فتمسَّك - أيُّها المُحِبُّ - بأذياله الشَّريفة، ولا تعدوَنَّ عيناكَ عنها، وانهز كرعةً طيِّبةً من كأس عرفانه؛ فإنَّك لن تظمأ بعدها أبداً بإذن الله تعالى، واعلم أنَّ المنَّان الكريم الوهاب العظيم قد تفضَّل على هذا السَّيِّد السَّند والإمام المعتقد بالهمَّة العظيمة، والأخلاق الكريمة، والعلوم الجزيلة، والمراتب الجليلة، وجعلَ أعيان خرقة القوم أتباعه، وأكابرهم

أشياعه، وأعطاه من عنايته ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ من رجال عصره، وأقام له منبرَ الحكمة فجعله خطيبه، ونصب له محراب الطَّور المحمَّديَّ، فجعله إمامه، وسدَّد بالتَّوفيق والمدد أقواله وأحواله وأفعاله، وجعل أقطاب الأقطاب من ذرِّيَّته ومريديه، وأكابر الأنجاب من عشيرته ومحبِّيه، وأنبتَ في بيته الأولياء كما ينبتُ الرَّبيع البقل، وصان حماه وأيَّده وحَماه وانتقم له مِمَّنْ آذاه.

وقد ثبت للعِيان أنَّ من أحبَّ آله وذرِّيته وأتباعه وأشياعه محبَّة إجلالٍ وإعظامٍ، وصان مقاديرهم في القلب واللِّسان، وأخلص الطَّويَّة بشأنهم لوجه الله تعالى: يُصان ويُعان ولا يُهان، وتحسن عاقبته، وتعلو منزلته، وتطيب بإذن الله عيشته، ومن آذاه في أهل بيته وأتباعه أو أساءهم وأبغضهم، لا بدَّ وأن يذوب كما يذوب الملح في الماء، ويقبح بصرمة القدر حالُه وما فات، ويرى تصرفاتِ القهر آلُه ورجاله، ويُذْهِبُ اللهُ بسلطان قدرته أسبابَ غروره وكِبره، ويضربه بسيف قهره، والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وقد ثبت عن هذا السَّيِّد الأيِّد رضي الله عنه وعنَّا به أنَّه قال: **نحن أهل بيتٍ لحومنا مُسِمَّة، من شمَّها مرض، ومن عضَّها مات.**

وقال: **نحن أهلُ بيتٍ ما أشار إلى سلبنا سالبٌ إلا وسُلب، ولا هَمَّ على ضربنا ضاربٌ إلا وضُرب، ولا نبح علينا كلبٌ إلا وجَرِب، ولا تعالى على حائطنا حائطٌ إلا وخَرب.**

قال رضي الله عنه وعنَّا به: **وعدني ربِّي على لسان رسول الكرم ﷺ أن يأخذ بيدي وبيد مُريديَّ ومُحبِّيَّ، ومن تمسَّك بي وبذرِّيتي وخلفائي في مشارق الأرض ومغاربها عند انقطاع الحِيَل، والله لا يُخلف الميعاد.**

وقد رأى الإمام أبو محمَّدٍ الزَّعفرانيُّ قُدِّس سِرُّه في المنام رسولَ الله ﷺ، فسأله

عن ولده السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ ﷺ فقال: «**ما شاء الله، ولدي أحمد الرِّفاعيّ، عَلَمُ الله المنشور الذي لا يُطوى إلى يوم القيامة، يعطي الله لأجله، ويمنع ويضع ويرفع، وهو الوجه الوجيه الذي لا يُخزيه الله في أتباعه ومحبِّيه أبداً**».

ورأى الإمام أبو بكرٍ بن الشَّربلي الواسطي الشَّافعي قدَّس الله روحه مرَّةً رسول الله عليه أفضل صلوات الله، فقال: ألفَ ألفَ صلاةٍ وألف ألف سلامٍ عليك يا حبيب الله، أنا أحبُّ ولدك السَّيِّد أحمد الرِّفاعيّ فهل يرضيك ذلك؟ فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يا أبا بكر، عليَّ الضَّمان أنَّ من أحبَّ ولدي السَّيِّد أحمد لا يُخزَى لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، ويكون معي في مقعد صِدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ**».

ورأى الشَّيخ الكبير القدوة أحمد الأزرق الأنصاريُّ ﷺ مرةً سيِّدنا عليّاً المُرتضى كرَّم الله وجهه في قافلةٍ جليلةٍ، فقبَّل رجله وقال: إلى أين هذه الرِّحلة السَّعيدة يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ؟.

فقال: إلى دار الأحبَّة، إلى أم عَبِيْدَة لزيارة ولدي شمس العرفان أحمد الرِّفاعيّ، يا أحمد، العرشُ قِبْلَة الهمم، والكعبة قِبلة الجباه، وولدي أحمد قبلة قلوب الموفَّقين، تُعَلَّقُ سيوفُ أهل المقامات وأرباب الأحوال في بابه ومنه تُقَلِّد، فهو النَّائب عن جدِّه رسول الله ﷺ، والقائم بأعباء وراثتي في الحضرات، ولا تنفك هذه العقدة إلى يوم القيامة، والضمين أمين. انتهى بنصِّه المبارك.

فإذا تدبَّرت أيُّها المحبُّ سيرة هذا السَّيِّد الأمجد، وفهمت طريقه الأقوم الأوحد، عرفت أنَّه شيخ عصابة الطَّريق، وسيِّدُ أئمَّته على التَّحقيق، أفراد صدور الحضرات آله، وأئمَّة هذا الشَّأن المبارك رجاله، وأولياء الأمَّة عياله، وقد جمع الله تعالى فيه ما تَفَرَّق في جَحاجِحَة القوم من الفضائل العالية، والخصائل السَّاميَّة، وقد عَدَّ العارفون بعض أتباعه في عِداد أكابر المتصرِّفين في الحياة والممات، رَوَتْ ذلك أسفارُ

القوم والطَّبقات، وإن كان هو لا يقول بتصرُّف أحدٍ استبداداً لا في حياةٍ ولا في مماتٍ، ويقول: إنَّ الكرم الإلهي يشمل أرواح أوليائه، فيغيث بعنايته مَن ناداهم، ويحمي بمحض الفضل حماهم، وهذا من النَّصر الذي وعد الله به رسله والذين آمنوا كما في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن أتباعه المنعوتين بهذا الوصف: الشَّيخ الكبير عقيل المنبجي العمري، والشَّيخ الجليل حياة بن قيس الحراني **رضي الله عنهما**، فهما من خواصِّ أتباعه، وأعيان خلفائه، وقد نُعِتا بالتَّصرُّف في الحياة والممات، نصَّ على ذلك الكثير من المشايخ، وذكروا معهما: الشَّيخ الأعظم معروفاً الكرخيَّ، والشَّيخ الأكمل والمكرم عبد القادر الجيليَّ - رضي الله عنهم أجمعين -.

فتدبَّر هذه المنزلة الشَّامخة، والرُّتبة الباذخة التي امتنَّ الله بها عليه، وأحسن بها إليه، وعليك بصحَّة التَّمسُّك بآثاره، والاندراج بسلك أشياعه وأنصاره، أولئك حزب الله، أهل الله، رجال الله، وحسبنا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مرحلةٌ في التَّحدُّث بالنِّعمة[1]

وإنَّها لمن الواجب شكرها وذكرها لا لعلةٍ، ولا لبغيةٍ، ولا لثورة نفسٍ، ولا لعلوٍّ في الأرض، والله لا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخورٍ.

قد تفضل عَلَيَّ المنعم الكريم فخلقني في عالم أزله من أمَّة حبيبه سيِّد الوجودات محمَّدٍ المصطفى الأعظم ﷺ، وجعلني من ذرِّيَّته ومن أفلاذ عترته، وأكرمني بعلمٍ وسيعٍ، وعقلٍ نيِّرٍ، وقلبٍ سليمٍ، وأفاض لي من حضرة الوهب المحض مدداً ونوراً، وصدَّرني في محافل القرب، فأقامني في مِنصَّة النِّيابة الجامعة المحمَّديَّة وليّاً فرداً جامعاً وارثاً، وحفظ لي بِسِرِّ قُدسه باطني وظاهري، وقلبي ولساني، وأباح لي من أسرار غيبه العجائب، وأتحفني بعميم المواهب، وأطلعني

(١) لقد تحدَّث كثيراً من الأئمَّة والعلماء الرَّبَّانيِّين بنعمة الله تعالى عليهم وذكروا مناقبهم في طبقاتهم؛ ليتعرف النَّاس على أحوال القوم، ويعلموا قدر شيوخهم، ويأخذوا عنهم العلم والطريق، وقد ألَّف الإمام الشَّعراني كتباً متحدِّثاً فيها بنعمة الله تعالى كـ «المنن الصغرى والوسطى والكبرى»، وذكر في «مننه الكبرى»صـ١٢ـ طائفةً من الأئمَّة الذين اقتدى بهم في تحدُّثه بنعمة ربِّه ﷻ عليه، فقال: «منهم الشيخ الإمام الفقيه المحدِّث عبد الغافر الفارسي، أحد حفَّاظ الحديث، ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة العماد الكاتب الأصفهاني، ومنهم الشيخ المقري الفقيه ياقوت الحموي، ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة لسان الدين بن الخطيب، ومنهم الشيخ العارف بالله أبو عبد الله القرشي، ومنهم شيخه العارف بالله تعالى أبو الربيع المالقي، ومنهم الشيخ العارف بالله صفي الدين بن أبي المنصور، ومنهم الشيخ الإمام المجتهد الزاهد أبو شامه، ومنهم الإمام المحدث تقي الدين الفارسي، ومنهم الشيخ الإمام الورع الزاهد أبو حيان، ومنهم الشيخ الإمام المحدث الحافظ ابن حجر، ومنهم تلميذه خاتمة الحفَّاظ بمصر الشيخ جلال الدين السيوطي ... وقال - أي: الحافظ السيوطي - في كتابه «التحدُّث بالنعمة»: إنَّما ذكرت مناقبي اقتداءً بالسَّلف الصَّالح، وتعريفاً بحالي في العلم ليأخذه النَّاس عنِّي، وتحدُّثاً بنعمة الله ﷻ، لا افتخاراً على الأقران، ولا طلباً للدنيا ومناصبها وجاهها».

على رقائق شؤونٍ فيها من لطائف الحقائق جزيل الفنون، وتكرَّم عليَّ بالعافية في بدني وديني، وأيَّدني بنورٍ منه فقُمتُ، والحمد لله، في بُرقُعِ الخفاء حاملاً راية الظُّهور، مُجدداً للشَّرع الأنور الأظهر على ما شرع النَّبيُّ الزَّكيُّ الأزهر ﷺ.

فأنا - ولربِّي الحمد والشُّكر - شيخُ حضرة القرب الغاصَّة برجال الدَّوائر الأكابر والأصاغر، وعالِمُ الباطن والظَّاهر، رَبَّاني بمهد الحنان والرَّأفة رسولُ الله ﷺ، وزَقَّني العلم النَّبويَّ زقَّاً، حتَّى صِرتُ كنزاً من كنوز عمله - عليه الصَّلاة والسَّلام -، ودارت عَلَيَّ بإفاضته رحى الأكوان، ولم يتحول نظر رأفته عنِّي طرفةَ عينٍ، والحمد لله ربِّ العالمين.

غلبني مرةً مشهد إسقاط التَّقليد فأردت الأخذ بظاهر السُّنَّة، وطرح ما زاد من أقوالٍ فرعيَّةٍ كَثُرَ فيها الاختلاف، فرأيته في واقعةٍ ﷺ، فاستأذنته بذلك فقال: «**وهل قَلَّدَ الجماعةُ غيرَنا؟**»، قلت: لا، قال: «**وَافِقْ أَحْدَاً منهم، وسنَّتنا بيدِكَ**»، ففهمتُ من هذا النَّصِّ الأشرف الأقدس ما لو شرحته لاستوعب مجلدَّين ضخمين، فقلت بموافقة الإمام محمَّد بن إدريس الشَّافعيِّ المطَّلبيِّ ﵁، والسُّنَّة السَّنيَّة بيدي، ولله الحمد؛ فالمُقلَّد هو النَّبيُّ ﷺ.

وصلت مرةً وأنا في مكَّة المكرَّمة إلى أقوال الوجوديَّة[1]، فرأيته ﷺ في المنام،

---

(١) أي: أصحاب مذهب وحدة الوجود عند بعض الصوفية لا الوجودية الإلحادية، وبالرغم من قول أئمة أعلام من الصوفية بوحدة الوجود، فقد مُنِعَ الإمام الرواس من الانتصار لهذا المذهب، وقوفاً مع ظاهر الشّرع، وبهذا يظهر للمحبين والمنصفين أن الطريقة الرفاعية وأئمتها محفوظة بفضل الله من كل ما يخالف ظاهر الشرع ولو مُؤَوَّلاً، والمراد من الوجودية عند القائلين بها من الأئمة الأعيان كما بينها الشيخ عبد الغني النابلسي في «إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود» صـ٥٩-٦٠ـ بقوله: «إنَّ جميع العوالم كلها على اختلاف أجناسها، وأنواعها وأشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها، وإذا كانت كذلك فوجودها الذي هي موجودة به في كلِّ لمحةٍ هو وجود الله تعالى لا وجود آخر غير وجود الله تعالى، فالعوالم من جهة نفسها معدومة =

فقلت بعد شرائف الصَّلوات والتَّسليمات عليه: يا حبيب الله، أرى رقَّةً في كلام أهل الوحدة، فهل تأذن لي بنصر مذهبهم، وتقوية أقوالهم؟ فقال متبسِّماً: «**مهدي مهدي، سلامٌ عليك يا ولدي، كُن مع ظاهر الشَّرع، لا تغرَّنَّك أقوالهم، فما مذهبهم بمذهب النَّبيِّين، ولا بمذهب نوابهم أو وزرائهم وأوصيائهم، عليك بظاهر الشَّرع، انصر السُّنَّة، وكن حيث كان آباؤك، ولا تُـحْدِثْ في الدِّينِ يا مُعَلِّم الخير**».

فقمتُ فَزِعاً مرعوباً، وأنقذ الله قلبي بعدها من الميل لتلك الشِّقاشق، وسخَّرني الله لنصرة السُّنَّة السَّنيَّة، فأنا شرعيٌّ في أقوالي وأعمالي وأحوالي، أنا - إن شاء الله - ومن اتَّبعني طريقنا طريق النَّبيِّ ﷺ، نأخذ منه ونروي عنه، وكتاب الله حجَّتنا، ولا نُدخِل في معاني الفرقان الآراء؛ فنحرِّف الكَلِم عن مواضعه، نتَّبِع النُّصوص في العُموم والخُصوص، هُدانا تَبعٌ لِـمَا جاء به رسول الله ﷺ، ونضرب بآرائنا الحائط، ولا نخوض في الشَّريعة الغراء فننهج غير ما نهج إليه آلُ محمَّدٍ عليه وعليهم السَّلام، وأصحابُه الأعيان الكرام عليهم رضوان الله أجمعين، نقف عند الحدود، ونُوفي بالعهود، ونرضى بالموجود، ونصبر صبر العارفين على المفقود، نبتعد عن الزَّيغ والابتداع، ولا نخالف الإجماع، ولا نقود النَّاس إلَّا إلى ما كمل لنا فيه الدَّليل، وثبتت به لدينا الحُجَّة من عملٍ فرعيٍّ اجتهد فيه أحدُ السَّادة المجتهدين، أخذنا به تارةً ولم يكن من مذهبنا، وافقنا فيه لمصلحة غير إمامنا، حالة كوننا نجزم بأنَّهم كلهم على هدى؛ وذلك لكيلا نفتح باب التَّلفيق، ففيه مزلقةٌ

=

بعدمها الأصلي، وأما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة بوجوده تعالى، فوجود الله تعالى ووجودها الذي هي موجودة به وجود واحد، وهو وجود الله تعالى فقط، وهي لا وجود لها من جهة نفسها أصلاً ».

عظيمةٌ، ووهدة خطأ جسيمة، وقد جرب أهل الكمال من أعيان الرِّجال أنَّ من انصرفت إلى التَّلفيق آراؤه، لا بدُّ وأن تصرعه البدعة، فيأخذ برأيه في الكثير من الأعمال، وماذا بعد الحقِّ إلا الضَّلال.

رأيتُ في واقعةٍ حبيبي عليه من الله تعالى أفضل الصَّلاة والسَّلام، فسألته عن التَّلفيق فقال: «**متى لفَّقتَ زَلِقْتَ، لا تلفِّق لا تلفِّق، وما عليك من بأسٍ إذا أخذت في بعض الأحيان لمصلحةٍ بمأخذ الصَّادقين من أهل الشَّرع، قال تعالى:** ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة]».انتهى.

مُثِّلت لي وأنا في المدينة المنورة طرائقُ أهل الله كيف كانت، وكيف صارت، وانقلبت لي المعاني صوراً، فرأيت أَسْلَمها حالاً ومآلاً: طريقة مولانا الإمام السَّيِّد أحمد الرِّفاعيَّ رضي الله عنه وعنَّا به، ورأيت في تلك الحضرة رسول الله ﷺ، فقال لي روحي لجنابه العظيم الفداء: «**جَدِّد طريقة ولدي أحمد، فهي الطَّريقة التي متُّ عليها، ولدي أحمد، ثالث عشر أئمَّة الهدى الأسباط، أنا راضٍ عنه وعنك، فلا تهمل أمر طريقته، فقد كثرت الفتن، وأَبْشِرْ فَلَكَ كوكبٌ سيضيءُ ولا يُطمس أبداً إن شاء الله تعالى**».

وقمت سنة أربع وستين ومائتين وألف اللَّيلة الأولى من شعبان نصف اللَّيل، فانكشفت لي عوالم الأكوان العلويَّة والسُّفليَّة، فلم تبق ذرةٌ في الأرض، ولا حضرةٌ في السَّماء لم يصل إليها نظري إلاَّ ما وراء السِّدرة، ورأيت نورَ رسولِ الله ﷺ قد ملأ عوالم الله تعالى، فنوديت من زوايا الوجودات، وخوطبت من أرفع الحضرات، وخطبت إلى مقام القربى، وإلى سدَّة الدُّنوِّ الأكمل، وانهمرت لي سحائب العلوم الغيبيَّة، فحللت رموز الطَّلاسم الملكية والملكوتية[1]، ولم يبق

(١) الملك: ما ظهر من حسِّ الكائنات؛ أي: عالم الشَّهادة، وهو عالم الظَّاهر.

=

معنى طَلسمٍ كونيٍّ يتدلَّى عن حضرة الغيب إلى عالم العِيان إلَّا وأطلعني الله ﷻ عليه، فنظرت صحائف تلك الشُّؤون بنور عين رسول الله ﷺ وقرأتها، ومدَّ الله لي في الوقت وبارك لي فيه، وعرفت أتباعي وأشياعي في هذا الطَّريق المبارك وأتباعهم وأشياعهم بطناً بعد بطنٍ، وجيلاً بعد جيلٍ، وعرفت حُسَّادَ مظهري هذا وأعداء هذا الشَّأن، ورأيت لي نشأةً محمَّديَّةً ظاهرةً باهرةً، تبدو في ضعفٍ وتترعرعُ شيئاً فشيئاً، فتبلغُ من القوَّة أشدها، ويسمو شأني وشأن طريقي في ملك الله تعالى، ولم يكن في منهاجي ما يتعلق بهذه الدُّنيا الدَّنيَّة من أمرٍ أو نهيٍ أو علوٍّ في الأرض أو بغية شيءٍ من الحطام وغلغلة الأوهام، إنَّما هو لله بالله يؤول إلى الله؛ لتجديد شريعة رسول الله ﷺ، وكلُّه عبارة عن إفراغ أخلاق النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام في الأمَّة نصيحةً عامَّةً، وبركةً تامَّةً، على المشرب المبارك الذي كان عليه شيخ الوجود مولانا السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ رضي الله عنه وعنَّا به، ولم نُرِدْ به من أحدٍ جزاءً ولا شكوراً، نريد به وجه الله، وامتثال أمر رسول الله عليه أفضل صلوات الله وتسليمات الله، بَعِيْدٌ عن شقِّ العصا، قريبٌ من سنن المصطفى، لا خدعة فيه ولا شطح، ولا تعديل بغير الحقِّ ولا جرح، القريب والغريب به فيما يؤول إلى الحقِّ سواء طاب وبدءاً وغايةً وحالاً ومآلاً.

وقد بُشرت من حضرة القَبول أنَّ من آذاني أو آذى نائبي ووارث منهاجي في هذا الطَّريق المبارك أو أبغضنا حسداً من عند نفسه، سيُمحق بيد القهر، وإن نمنم به طول الوقت، فستأخذه نار الله الموقدة من حيث لا يشعر، وتلفحه بشديد إحراقها، فيذوب وكأنَّه ما كان، وسيُبدي الله تعالى وتقدَّس مِنْ سرِّ انتصاره لي

=

الملكوت: ما بطن فيها من أسرار المعاني؛ أي: عالم الغيب، وهو عالم الباطن. انظر: «معراج التشوف» لابن عجيبة صـ٦٠ـ، و«النفحات الهدائية» لمحمد نوري الأريحاوي صـ١١٥ـ.

ولمن اتَّبعني في عالم الإمكان العجائب، فيهدم لأجلنا صوامع، ويبني جوامع، ويبرز في فيفاء الكيان المعامع، ويفعل لنا فوق ما نريد، ونحن في مهد الأمن نيام ببركة وجه حبيبه المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقد رأيت بيوتاً تُرفع، وشموساً تلمع، وحِلَق أذكار، ولطائف آثار، تقوم لاسمي وتقعد، كلَّما أراد طيَّها حاسدٌ نشرتها يدُ العناية الأزليَّة فغُلب وظهرت ولمعت وكبرت، والمدد حافٌّ بها من كلِّ جانبٍ، والمعونة الإلهية محيطةٌ بها في جميع الدَّرجات والمراتب، حتَّى تنتهي إلى غايةٍ لا انفصام لعروتها بإذن الله، والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

ومن العجب العجاب، رأيت نوراً محمَّديَّاً يلمع في الدِّيار الغربيَّة بين ظهراني المسيحيِّين، محفوفاً بسجفٍ ثقيلةٍ من ظلمات الخلاف، فقام رويداً رويداً يشقُّ تلك السُّجف طبقةً بعد طبقةٍ، وستراً بعد سترٍ، وحجاباً بعد حجابٍ، حتَّى برز بيد العناية الإلهية الرَّبَّانيَّة بروزاً جميلاً، وأخذ من حضرة القبول مقاماً جليلاً، واستطلع من مجرَّة الهداية الرَّحمانيَّة طالعاً وضاحاً، وأطلع في برج العيان للعيون صباحاً أخذ من الحصَّة أمَّةٌ في الغرب، وهدى الله بفضله إليه من أراد الله به الهداية، والحمد لله ربِّ العالمين.

[**بيان مضمون قول النبي ﷺ: «اطْلُبُوا العِلمَ ولَوْ فِي الصِّينِ»**]

ثمَّ غلغل سيَّال ذلك النُّور في حضرة الانحجاب فانشق عنه تيَّار الإفاضة في أقصى الشَّرق، فبرز في غطةٍ وباب حطةٍ، ولمع وشعشع ووراءه في شارقته رقرقة صحيفةٍ تتلألأ مكتوبٌ فيها: «**اطْلُبُوا العِلمَ ولَوْ فِي الصِّينِ**»[1]، فأخذتُ أجيل الفكر في مضمون هذا الكلام المقدَّس النَّبويِّ، وأستطلع من خزانة سرِّه نكتة

---

(١) مرَّ تخريجه صـ ٦٧.

الإشارة مستفيضاً من روح رسول الله ﷺ، فأشرق للنَّاظر المطلسم طي السَّتائر، فتدبَّر أيُّها المحبُّ تَرَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمر بطلب العلم ولو أنَّ محلَّ العلم في بُعدٍ عن الطَّالب؛ هو في الحجاز والعلم في الصِّين، وهذا البُعد يشير إلى بُعد الزَّمان لا إلى بُعد المكان فقط، وفيه من أسرار جوامع الكَلِم معنىً طُلسِم من مندمج الكلام يفصح أنَّه ولو انتقل هذا العلم بعد حينٍ إلى الصِّين فلا تستبعد المسافة - أيُّها الطَّالب - وتهمل العلم، بل اطلبه إلى الصِّين وخذه ولا تدعه مُهمِلاً لكسلٍ فيك؛ فإنَّ هذا العلم الذي هو علم الجمع بين أمرَيِّ الدُّنيا والآخرة سيكون له شأنٌ في الصِّين، (ولُوْ) فيها معنى غير معنى (لو) الامتناعية، فـ (لُوا) مثل: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ الآية [التحريم:٦]، فيقول: اطلبوا العلم ولُو، بضم اللام؛ أي: أدركوه في الصِّين، وفي (ولُوا) معنىً آخر وهو معنى الولاية على العلم، وفي رمزها تقدير، كأنَّه يُقال: اطلبوا العلم؛ فقد ولُوا في الصِّين زمام العلم، فلا يفوتنَّكم العلم هاهنا وأنتم أهله، وتقول: «اطلبوا العلم، فقد وُلوا في الصِّينِ بالعلم»؛ أي: أحرزوا الولاية على البلاد العصيَّة القصيَّة بالعلم، وفي الحساب الجفريِّ العلويِّ الفاطميِّ الذي عليه أهل البيت؛ أعني: الذين القطب الفرد الوارث الأعظم منهم، وهو الذي يلي هذا العلم في كلِّ عهدٍ، ولم يُمنَحْ إلَّا له، أو لمن أفيض منه إليه.

فهذا الخبر الكريم جاء في أحد عشر مكاناً من الجفر بحسابه، وحسابه حصره أئمَّة هذا الشَّأن في كلمتين من الخبر الشَّريف، والكلمتان: «**اطْلُبُوا الصِّين**»، والحساب فيهما لا على شكل أبا جاد[1]، بل عند الأئمة رضي الله تعالى عنهم الألف الأول بألف، وألف الجمع وألف التَّعريف بمائتين، والنُّون بمائةٍ وستة، والطَّاء

(١) هي حروف حساب الجمل، وهي: أبجد (أو أبا جاد)، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ.

بواحدٍ، واللاَّم باثنين، والباء بثلاثة، والواو بأربعة، واللاَّم الثَّاني بخمسةٍ، والصَّاد بستَّة، والياء بسبعة، فأوَّل الحكم ووسطه وذيله يشتمل على ألف وثلاثمائة وستَّة أعداد، وقطوعاته في برهة ثمانٍ وعشرين، والغاية ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرون، فإنْ أراد الله تعالى إبراز هذا النُّور فلا بدَّ وأن تشتغل به القلوب بعد السِّتة والثَّلاثمائة والألف، ثمَّ تمتدُّ شوارقه وتتشعَّب طرائقه وتلمع شمسه مستنيرة في غاية ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرين هجرية.

وقد رأيت منِّي خطيباً في تلك الحضرة يقوم منادياً باسم رسول الله ﷺ، وتجيبه أمَّةٌ من أهل الحقِّ يندمج منهم الكثير في مشربنا الطَّاهر الأحمديِّ، وما تلك إلاَّ آيةٌ من آيات الله، يهدي الله لنوره من يشاء، وفي مطارف تلك الحضرة من تلك اللَّطائف شؤونٌ يبديها الله تعالى بيد قدرته من غير سابقةٍ سوى سابقة الفضل، فاصبر لحكم ربِّك ولا تك في ضيق ممَّا يمكرون.

ومن دقائق تلك الأساجيف، أنَّ هذا الماء الذي سينبع، يجريه الله على ناطقة وارثٍ لي، ونور الله يضيء لمن يريد الله به الخير، وقد يمر الظَّمآن المحروم به ولا يشرب، وآخر أتحفته العناية لطائفها، وأفاضت عليه الهداية عوارفها يجيء خالصاً، ويقف مخلصاً ويشرب حتَّى يروى ولم ينقطع بغيه، ولا يوهم نفسه ولا بما يبديه له شيطانٌ من وساوسه؛ ليضحك عليه فيصرفه عن نور التَّوفيق بظلمة التَّلفيق، والمعصوم من عصمه الله.

ولم يبق قطرٌ من أقطار المسلمين لم يسر فيه ذلك السِّرُّ، وقد رأيته ينقلب في المقبولين، ويمرُّ على من لا قلوب لهم تفقه، ولا آذان تسمع، ولا عيون تبصر، فتلاك ألسنتهم بما لا يُقال، وتعثر أوهامهم بما لا يقال، يرون النُّور ظلمة، والحقَّ باطلاً، وقد تأخذهم الشُّبهات من مفازاتٍ إلى مفازاتٍ، ينعقون مع كلِّ ناعقٍ، لا يكادون يفقهون حديثاً، قد أعماهم باطلهم فنطق بغير الصَّواب قائلهم، سمَّاعون

للكذب أَكَّالون للسُّحت يُعارضون الوارد الإلهي بأكاذيبهم، ويموِّهون أمام الحقِّ بأعاجيبهم، وما هم إلاَّ كالذُّباب لا حلَّ لديهم ولا عَقْد، ولا وجدان ولا فقد، لا تصل نبال بغيهم إلاَّ إليهم، ولا ترجع إلاَّ عليهم، ونحن تحت راية الله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولَّى الصَّالحين، وكتابنا نافذٌ في محاضر الحضائر، والغائب والحاضر، ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل].

نكتة:

المعصيةُ تصدر من الوليِّ ليثبت حكم العصمة للأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ ولتُبقي الأولياءُ في ساحةِ الخوف، لا يأمن مكرَ الله إلاَّ القومُ الخاسرون، نعم لهم بركة الحفظ إلى غايةٍ، وبعد الوقوع في المعصية إذا صرعهم القدر، فهم المستغفرون البكَّاؤون التَّائبون النَّادمون الذَّاكرون الخائفون، والكثير منهم ﷺ لهم حصةٌ عظيمةٌ من عصمة الحفظ، فتكاد أن لا تهفو أنفسهم الكريمة ولو في الخواطرِ إلى شيءٍ من المنكرات، ويُستحسن للعارف المداومة على هذا الدُّعاء الكريم المأثور، وهو: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الـخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْـمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْـمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ**»[1].

وقد يعجب العاقل لشخصٍ لم يكن من قافلة الحقِّ ويدَّعي مشاركة أهلها في

---

(١) رواه عن ابن عبَّاس **رضي الله عنهما**: الإمام التِّرمذيُّ في «الجامع»: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ (٤٨)، باب ومن سورة ص (٣٩) رقم **٣٢٣٣**.
ورواه عن معاذ بن جبل ﷺ: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٢٢٤٦٠، والترمذي في «الجامع»: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ (٤٨)، باب ومن سورة ص (٣٩) رقم ٣٢٣٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
ورواه عن ثوبان ﷺ: الحاكم في «المستدرك»: كتاب الدعاء...(١٧) رقم ١٩٣٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

مراتبهم، ويريد أن يزاحمهم، يقلِّد وما هو كالمقلِّد، ومنهم في طيٍّ بطن الغيب فاجرٌ، قلت له ليكون له بناطقة نائبي إن شاء الله:

قَدْ وَرَّثَتْنا الأنبياءُ عُلومَها وَوَرِثْتَ جهلاً رَكَّبَتْهُ أُغَيلِمَه

قَسَمَتْ يدُ المدِ القديمِ حظوظَنا شَتَّانَ بينَ مُحمَّدٍ ومُسَيلمَه

وقال لي مناجي الحضرة في ذلك المحضر: أنت المقبول المبارك الوجه، من التحق بك خالصا أمِنَ وعُدَّ في الرَّكب، أنت النَّائبُ النَّبويُّ، والوارثُ المحمَّديُّ، بشِّر وذكِّر، والسَّلام عليك، فقلتُ غائباً عنِّي مأخوذاً منِّي: بسم الله وعلى بركات الله:

يا مَن عنِ الأغيارِ وَلَّى وجهَهُ حُبَّاً بنا بُشراكَ صرتَ وجيهاً

حضراتُنا هُنَّ الخزائنُ فالتَقِطْ منها العقودَ فكلُّ خيرٍ فيها

نَظَمَتْ يدُ الزَّهراءِ جوهرَها لنا وطَوَتْ لنا في النَّظمِ سرَّ أبِيْها

فالفِتْ لحضرَتِنا وإنْ شَطَّ المدى موتى القُلوبِ فحُبُّنا يُحيِّيها

وعصابةٌ قد شَفَّها ولَهٌ بنا فاللهُ يُعطيها وقد يُرضِيها

ويُنيرُ مظهرها ولا يُخزِيها أبداً ورغمَ عَدوِّها يُعلِيها

وبِحَولِ رَبِّي لن تُهانَ عِصابةٌ أنا شَيْخُها ومُحمَّدٌ هادِيها

وإنَّ من الواجب على من نفحته العناية فشملته الهداية، أن يقف متنبهاً لا يغفل؛ فإنَّ الغفلة سواد القلب تحجبه عن مطالعات أسرار الغيب، وتُلقيه في وهدة الشَّكِّ والرَّيب، وإنَّ خمر الحضرة الذي هو لطف الإفاضة القدسيَّة، إذا دار على القلوب الزَّكيَّة النَّقيَّة بيدِ سُقاة الحضرة أو براحة العنايَّة، لا يُذاق إلَّا بهمة الرُّوح الطَّاهرة المحمَّديَّة، ولا تحصل تلك الهمَّة الطَّاهرة العالية لمن أغفل قلبه، فالله الله بك أيُّها الحبيب أن تغفل أو أن تهمل قلبك.

يـا شـاربَ الكـأس عـلى مهلـه إِيَّـاكَ والسَّقطةَ في الورطَه
إنْ فُزتَ بـالـشُّـربِ بلا غـفـلـه لا تُـبـقِ في الـدَّنِّ ولا نُقطه

وتدبَّر - أيَّدك الله بتوفيقه، وسقاك من نوراني رحيقه - ما أترجمه لك، وأَيْقِظْ قلبك:

الـخمرُ خمرانِ؛ خمـرٌ حـانُ قَـهـوَتِـهِ بِيضُ القلـوبِ، وخمرٌ أصـلُهُ العِنـبُ
فخمرةُ القلبِ تُـحيي قلبَ شاربِـها وخـمـرةُ الكرم للأسـقـامِ تـنـقَـلِـبُ
فاشرَبْ بقَلبِكَ خَمْرَ القَلْبِ تَقْرُبُ مِن حيِّ الحبيـبِ فـرَبُّ الصِّـدقِ يقـتَرِبُ
تطيبُ تبقـى بِمَنْ تهـوى وتمحقُ ما سـواهُ طَـوراً فـلا عجـمٌ ولا عَـرَبُ

وقد علوتُ - ولربي الحمد والشُّكر - في مرتبتي، وسموتُ في منزلتي، وكلُّ آنٍ ووقتٍ ولي نظر عطفٍ ولُطفٍ وحنانٍ من سيِّد الأكوان ﷺ، تحاضِرُ روحي روح حبيبي عليه من الله أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام، فيفيضُ من بحرِ كرمه لي الفضل والعلم والمدد والسَّعد، ويمنحني ما لم يَجرِ منِّي على بالٍ، اللَّهمَّ صلِّ وسَلِّم عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وأشياعه وورَّاثه ونوَّابه وخدَّامه وأحبابه أجمعين.

عَودٌ:

المعاني التي أوردناها في خبر: «**اطْلُبُوا العِلمَ ولَوْ فِي الصِّينِ**»[1]، مأخوذة من الصَّحيفة الرَّابعة من الجفر العلويِّ، وقد صحَّح المحدثون الكلام على معنى الحديث، والإتيان به بالمعنى هذا مع حفظ حكم الرِّواية، وصيانة القاعدة التي هي رعاية أسباب الورود، وكل المعاني التي تقدَّم ذكرها تحفظ حكم الرِّواية؛ وسبب الورود الحثُّ على العلم، وهذا أيضاً مصون، وعلوم أهل البيت المندمجة

(١) مرَّ تخريجه صـ ٦٧ـ.

في جفرهم، كلها من مضامين أسرار الآيات والأحاديث، ويقول الفيلسوف أبو العلاء المعريُّ[1] رحمه الله في جفر الآل سلام الله عليهم ورضوانه:

لقد عَجِبُوا لأهلِ البيتِ لَمَّا ... أَتَاهُم عِلْمُهُم في جِلْدِ

ومرآةُ المنجِّم وهي صُغرى ... تُريهِ كلَّ غابرةٍ وقفرِ

وقد زعم أناسٌ العلمَ بالجفر، وما فرَّقوا بين علم الحرف وعلم الجفر، وخلطوا وغلطوا، ومزجوا التِّبن بالتِّبر، وراموا تقليد وجه الآل والأمر محال:

يقلِّدُ الصَّادقَ ذو فِريةٍ ... يَكذِبُ فيها نافثاً بالعُقَد

عَدا عَلَى اللهِ بِبُهتانِهِ ... قَدْ يَزأَرُ الهِرُّ ولا كالأسد

ومن غرائب أسرار الغيب أنَّ رجلاً عدا على مائدة الحقِّ بغير حقٍّ، وراح يقلِّدُ كلامي وقولي، ويدَّعي مرتبتي بعد مصاحبةٍ لي، فكتبتُ له عن واردٍ سماوي:

قَلَّدتَنا يا جاهلاً شَأْنَنا ... قد صرتَ من أَسقاطِنا لاقِطَا

خُذْهَا من الغيبِ رفاعيَّة ... ومُتْ خذيلاً تنطحُ الحائِطا

وكان في مسجدٍ فقام ينطحُ الحائطَ حتَّى سقط ميتاً ونفذ السَّهمُ الإلهي، والله المُعين.

ومرَّةً أمرني حبيبي عليه من الله أفضل الصَّلاة والسَّلام بقراءة القرآن الكريم، فقرأته عليه من أوَّله إلى آخره بكمال التَّدبُّر والتَّرتيل؛ فأفرغ فِيَّ - روحي لغبار

---

(١) أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي، أبو العلاء المعري (٣٦٣ - ٤٤٩)هـ: الأديب اللغوي الشَّاعر الفيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السَّنة الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، وهو من بيت علمٍ كبيرٍ في بلده، ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه، أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: «لزوم ما لا يلزم»، و«سقط الزند»، و«ضوء السقط». انظر: «الأعلام» للزركلي ١/ ١٥٧، و«هدية العارفين»١/ ٤٠.

قدمه الكريم الفداء - معاني الكتاب العزيز ببطونه وحدوده ومطَّلَعاته[1]، فأدركت من ذلك الإفراغ الأقدس كلَّ علمٍ ديني، وكلَّ فقهٍ عملي، وكلَّ سرٍّ حكمي، وكلَّ معنىً حكمي، وكلَّ إشارةٍ دقيقةٍ، وكلَّ حقيقةٍ رقيقةٍ، وانطوت فِيَّ بحمد الله تعالى بواهرُ الأسرار الغيبيَّة، وبواطن الأطوار النَّبويَّة، وقد انجلى لي من حكم ذلك الإفراغ دور الكون وأزمنته، وقام لي في مشهد المعنى مجلى صورة ما نُشر في تلك الأدوار والأزمنة، ثمَّ بدا لي من خلال سُتور تلك الحضرة كلَّ شأنٍ برز في عالم المُلك، وانطوى ثم نُشر في عالم الملكوت، ورأيت الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، فالمرسلون فهم رأيتهم هم وأممهم الذين مضوا والذين هم حُضَّار، والذين سيأتون، ورأيت صفوف صنوفهم، السَّعيد منهم والشَّقيَّ، وعرفت طلاسم أسرار الفلفال الكياني وما فيها من اندماج الرَّمز المغلق، والشَّأن المقيَّد بالرَّسم والمطلق، ورأيت جماهير الأولياء السَّالفين والحاضرين والذين سيبديهم الأمر، وعصائب أتباعهم المتصل والمنقطع والواقف في السَّير بين الفريقين في أعراف الطَّريق.

---

(١) روى أبو يعلى في «المسند» رقم ٥١٤٩، عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلاً، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهَرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ**».

فظهره: ما ظهر تأويله وعرف معناه، وبطنه: ما خفي تفسيره وأشكل فحواه؛ أو الظهر: اللفظ، والبطن: المعنى؛ أو الظهر: التلاوة، والرواية والبطن: الفهم والدراية.

ولكل حدٍ من الظَّهر والبطن مُطَّلَع - بشدة الطاء وفتح اللام - أي: مصعد، وموضع يطلع عليه بالترقي إليه، فمطلع الظاهر: التمرن في فنون العربية وتتبع أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، ومطلع الباطن تصفية النفس والرياضة والعمل بمقتضاه. انتهى مختصراً من «فيض القدير» للمناوي رقم ٢٧٢٧، ٣/ ٧٣.

ثمَّ برز لي مظهري وخفائي، وانطوائي وظهوري، وشروق نوري، ومن ينوب عنِّي ويأخذ منِّي، وكل من يواليني ويغنِّي فِيَّ وفي نُوَّابي، ومن لي يعترف، ومن بحر عرفاني يغترف، ومن يقرب ثمَّ ينحرف، ومن يُصدُّ بيد الرَّدِّ، ومن يُجذبُ بمغناطيس المدد، ومن يُحفُّ بظلمة طبعه، ومن يُزجُّ بالنُّور، ومن ينضم لدار الغرور، ومن يكذب قلبُه ويلوك بكلمات الصَّادقين لسانُه، ومن تقدح الشُّبهات اللَّيِّنة فكره وجنانه، ومن عينه تشهد العيب وهو عيبته، وأذنه تسمع القبيح وهو خزانته، ومن يرى البِرَّ ويجحد، ومن يتلصص ويترصَّد، ومن يكذِّب الأخبار الصَّادقة، ومن يعمى عن البرهان الصَّريح والخارقة، ومن قصده الله بمحبَّتِنا، ومن بُغيته الدُّنيا المحضة بوسيلتنا، ومن يشتري بنا - ونحن من آيات الله - ثمناً قليلاً، ومن يرد بزفرة نفسه العاجزة أقوالنا المتدلِّية بطريق النُّبوَّة إلينا من القدس، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء].

ورأيت داري المعمورة، وكتائبَ عرفائي المبرورة، ومساعي نائبي المشكورة، وهِمَمَهُ الصَّالحة المنصورة، وصبره وتحمَّله، وعلمه وعمله، وكلَّ حالٍ دَقَّ من حالِهِ وخَفِيَ، وكلَّ معنى شيب بتعب فكرٍ له أو صفا، ودخان الحاسدين، ولغط الخواضين، وصدق الصَّادقين، ووله العاشقين، وثبات المتمكِّنين، والمرتبطين بحباله، والمعوِّلين على أقواله، والموهَّين بكلامه وكماله، والغنائم التي تعمل بها الحيرة، والتي تهزُّها الغيرة، والكسالى وأهل الهمم، والذين لهم فينا ومنا صحيح قدمٍ، ومقاماتنا الزَّاهرة، ومساجدنا العامرة، وكؤوسنا المملوة، وكتبنا المتلوَّة، وجنود العَون الإلهي، وزمزمة صفوف النَّصر الرَّبَّانيَّ التي تحفُّ بنائبي فلا يُهان، وتصدُّ خاذله فلا يُعان، وقد يُقيم - بإذن الله تعالى - منبر ظهوري بعد غبوري، ويُعلي في سماء الاشتهار فرقدي، ويرفعُ دعائم مرقدي، ويبثُّ عطر عرفاني في أنحاء الدُّنيا، ولا يزال يسوق قوافل الهمم إليَّ، ويدلُّ أهل الطَّلب عَلَيَّ حتَّى

تنعطف قلوبُ أهلِ التَّوفيق، وترمقُ مظهر سرِّي بعيون الأسرار رجالُ التَّحقيق، فتطوفُ بكعبةِ حالي هِمَم كتائبهم، وتسيرُ إلى حظيرتي من كلِّ الجهات جموعُ ركائبهم، وتعمر - بعناية الله وتوفيقِهِ - المساجد والزَّوايا، وتُشيَّدُ المدارس والتَّكايا، وتتبلجُ شمس ظهورنا من بُرج (متكين) إلى (الشَّهباء)، فتلمعُ في مِنصَّة المعالي، وعيون أهل الحجاب عنها في حجاب غيظها وراء الباب، هذا عن حسدٍ لا يراها، وهذا عن جهلٍ يستعظمُ مجلاها، ويستغربُ أن تبرُزَ بهذه الحصَّة في قُبَّةً تلك المِنصَّة، وهذا تأخذُهُ غلغلةُ غيرة نفسه الخائبة، وزعومه الكاذبة، وهذا يُصرَعُ من مَتنِ الأمل، وهذا على طارقة وجلٍ في حيل، وهذا أذنه سماعةٌ للكذب، وهذا بغبار وساوسه مُنحجِبٌ، وعباد الله المخلصون بين أولئك الطَّوائف قليلون كثيرون، لا إلى السُّوءِ يميلون، ولا مع الرَّكبِ الطَّائر إليَّ يسيرون، حائرون غائبون حاضرون، حتَّى يصيح منادي القبول: هلمُّوا، كفاكم إلى الآن هذا النَّوم أيُّها القوم، أما لمعت لكم شموس البراهين السَّاطعة؟ وتجلَّت لأعيُنِكم أنوارَ العنايات اللاَّمعة؟ هذا بيتُ النُّبوَّة وكنز المدد والفتوَّة، قائمه يقوم ضعيفاً فيبرز سرَّ القوَّة الرَّبَّانيَّة في الأكوان، ويصعدُ منبر العُلى ساكتاً فيسمعُ بناطقة إرشاده الإنسُ والجانُّ، يسعى في الله سعياً مبروراً، ولا يريد من أحدٍ جزاءاً ولا شكوراً، غير أنَّ أفراخَ آل محمَّدٍ ﷺ يحسنون فيُساؤون، ويعطُونَ فلا يُشكَرون، ويُنعِمُون فتُكفَرَ نعمهم، ويفيضون الهمم فتتجدَّد هممهم، ولا يُحبُّهم أحد ثلاث: ولد زنيةٍ، أو ولد حيضةٍ، أو ذو رحمٍ منكوسةٍ، فماذا يصنعون وطينة النُّبوَّة حظُّها من الله أن لا يواليها إلَّا أهل الدِّين القيم والإيمان الخالص، والقلوب السَّليمة، والهمم الطَّاهرة، والنِّيات المرضية، ومن لله فيه عناية، وهذا القرآنُ كتاب الله تعالى في الأيدي أنواره مشرقة، وكلمات الله لا تبديلَ لها، ونصوص السُّنَّة طافحةٌ كلُّها، تُنبئ العاقل اللَّبيب حكم هذا الشَّأن العجيب، فالنَّبيُّ الأطهر ﷺ ما أوذي نبيٌّ

مثل ما أوذي في الله؛ ولذلك سَبَقَ في عالم الخلق أنبياء الله، وساد رسل الله – عليه وعليهم أفضل صلوات الله –، وآله الأقربون، ورجاله المقربون، كلُّهم على هذا المنوال القالُ كالقال والحالُ كالحال وشأنُ عليٍّ أمير المؤمنين، ويعسوب الموحدين، وسيِّد المتَّقين، هو في الأُمَّة أشهر من أن يُذكر وأولاده الكرام في هذا المقام، كم قاسوا من الشَّدائد الصَّعبة أهوالاً، وكم نالوا من أعداء الحقِّ هُموماً ثِقالاً، والعاقبةُ للمتَّقين.

وإنَّ اليد الفاعلة القادرة كما محقت أعداء الأوائل من الآل، فلها التَّصرُّف المطلق في محقِّ أعداء الأواخر منهم بلا إهمال، وقد جُرِّب هذا وشوهِدَ ولم يزل، والعون السَّرمديُّ الإحاطيُّ قائمٌ بنصرة آل محمَّدٍ عليه وعليهم الصَّلاة والسَّلام، سِيَّما الوجه العلوي منهم، فهو مؤيد مصون الجانب، مبارك الجناب، الخِزْيُّ لباغضيه، والبركة لمحبيه، والعناية لمواليه، والمَحْقُ الفتَّاك لمعاديه، وقد يُعطيه اللهُ حتَّى يرضيه، وهذه الحصَّة السَّعيدة الكبرى في العترة الطَّاهرة ساريةٌ جاريةٌ، وأتمُّها أُفِيضَ من حضرة العناية إليَّ، وسَرَى إلى نائبي ومن يواليني بإذن الله، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، ما شاء الله كان، قوَّةٌ في ضعفٍ، وغنىً في فقرٍ، وظهورٌ في خفاء، والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ:

شَرِبْتُ كأساً من الخمرِ الَّذي أَلِفَتْ — شَرَابَهُ الرُّوحُ في بُعدٍ فَأَدْنَانِي

وكنتُ مَيْتَاً بِداءِ الصِّدقِ في كَمَدٍ — فطابَ بالكأسِ كُلِّي حين أحيانِي

وغِبتُ عنِّي بسكرٍ لا يُمازِجُهُ — صَحوٌ فأسكر أوقاتِي وأحيانِي

ولم أُفارِقْ بهِ حالَ الصُّحاةِ وذا — طَورٌ به قامَ للرَّائين ضِدَّانِ

صحوٌ بسكرٍ وجهلٌ فيه معرفةٌ — وغايَةُ الفَقرِ في المُلك السُّليمانِي

قال لي حبيبي ﷺ في محضر شهودٍ: «**يا غريبَ الغرباء، أنت ووارثك ومن**

يواليكما في ضماني في الدُّنيا والآخرة، من آذاكم آذاني، ومن عاداكم عاداني، ويؤذي الله ويعاديه من يؤذيني ويُعاديني، ولن يفلح من كان مؤذياً لله ومُعادياً له، وأنا معكم أينما كنتم، فَرُحْ في أمان الله أميناً طيِّباً مهديَّاً، والسَّلام عليك وعلى من يواليك ورحمة الله وبركاته». انتهى.

هذه حصَّتنا الغيبيَّة من الحضرة المحمَّديَّة العليَّة، وقد أباح لي المدد الرَّبَّانيُّ ببركة ذلك الفيض المصطفوي، كشفَ نقاب الغيوب، وسبرَ خفايا القلوب، لا يشاكِلُنا في مراتبنا هذه مُشاكِل، ولا ينازلنا في ميادين هذه العنايات مُنازِل، وقد يروم المطموس القلب أن يقلِّد مَظهَرَنا تَجَرُّءاً على مُظهِرِنا، فينقلب على عقبيه، ويد البرهان السَّماويِّ ترفع منزلتنا، وتحرس في حضرات التَّأييد مِنصَّتنا، والله ولي المتَّقين.

كَشَفْنا نقابَ الغيبِ عن غطَّةِ الخَفا ... وقُمْنا رئيس القومِ بين الكتائبِ

وطِرنَا إلى العليا بعزمِ محمَّدٍ ... نبيِّ الهدى سلطانِ أهلِ المناقِبِ

يقلِّدُنا بالوهمِ مَنْ طَمَّهُ العمى ... وما النُّور ماحي اللَّيل نار الحُباحبِ[1]

ولي بفضل الله مقامٌ سيعمر ويسمو بُنيانه، وتشمخ أركانَهُ، يجري فيه العطاءُ الرَّبَّانيّ فيسُحُّ سَحَّ السَّحاب، وتُفتَح فيه لأهل القَبولِ الأبواب، كأني به يجدد عهد متكين؛ روضةٌ تنسب إلى نائبنا، يقيل في حديقة مددها خُلَّصُ حبائبنا، يرتع في جنَّة حسنها لخدمة كوكبنا، وشريف مشربنا، الصَّالحون من ذوي رَحِمِنا هبةً لهم من المدد الأزليَ، والعَون السَّرمدي، لله أبوهم؛ غلبوا النُّفوس بنور القدس، فَعَلَوْا بسرِّ

(١) قِيلَ: كَانَ أَبُو حُباحِبٍ مِن مُحارِبِ خَصَفَةَ، وَكَانَ بَخِيلًا، فَكَانَ لَا يُوقِدُ نارَه إِلَّا بالحَطَب الشَّخْتِ لِئَلَّا تُرَى؛ وَقِيلَ: اسْمُهُ حُباحِبٌ، فضُرِبَ بنارِه المَثَلُ؛ لأَنه كَانَ لَا يُوقِدُ إِلَّا نَارًا ضَعِيفَةً، مَخافةَ الضيِّفانِ، فَقَالُوا: نارُ الحُباحِبِ. «لسان العرب».

الله، قُل كُلٌّ من عند الله، هذه جملة شكرٍ، فيها من نفحات الغيب نشرٌ فيه من لطائف الوهب سِرٌّ، فخذها وكن من الشَّاكرين.

ومن نوع التَّحدُّث بالنِّعمة أقول:

أنا - والحمد لله تعالى - **حُسينيُّ النَّسب من طريق الأبوَّةِ**، ينتهي نسبي إلى شيخ الكلِّ في الكلِّ، وسيِّد طوائف أهل الله في العقد والحلِّ، لاثم اليمين الطَّاهر النَّبويِّ، وجه البيت العالي العلويِّ، الغوث الأكبر، والقمر الأزهر، مولانا السَّيِّد أحمد الكبير الحسينيِّ الرِّفاعيِّ - رضي الله عنه وعنَّا به -.

ومن طريق الأمومة حسنيُّ النَّسب، ينتهي نسبي إلى القطب الغوث الرَّبَّانيِّ، والقنديل اللاَّمع النُّورانيِّ، ربِّ الإشارات اللَّطيفة والمعاني، محيي الدِّين مولاي السَّيِّد الشَّيخ عبد القادر الجيلانيِّ - رضي الله تعالى عنه -.

وأنا اليوم شيخ الحفلة النَّبويَّة في البيت الكريم الفاطميِّ، وعالم أهل هذه السَّاحة الحيدريَّة، ومُرشد العصر، وإليَّ ترجعُ نوبةُ الوقت، وأنا القطب الغوث الجامع، المتكلم باللِّسان المحمَّديِّ، والقائم بالطِّراز الأحمديِّ، وصاحب هذه النِّيابة النَّبويَّة التي لا ينقضي عهدها - بإذن الله تعالى - إلى يوم الدِّين.

وأنا المعنِيُّ بقول جدِّي أبي العلمين وشيخ الفريقين رضي الله عنه وعنَّا به:

هَجَعَتْ خيولُ العارفينَ وخَيلُنا ... في السَّاحَةِ الكبرى تخبُّ وتطرقُ

في كلِّ آنٍ للقيامِ ببابِنَا ... شمسٌ تلوحُ وتُرجمانٌ ينطِقُ

فأنا شمسُ بابِهِ، وتُرجمانُ آدابه.

وأنا المعني بقول جدِّي الباز الأشهب، والمنهل الأعذب ﵁:

أَفَلَتْ شُمُوسُ الأَوَّلِينَ وشَمسُنا ... أبداً على فَلَكِ العُلا لا تَغرُبُ

فأنا - ولله الحمدُ والمِنَّة - شمسهم جميعاً، وكنزُ حكمتهم، وصاحبُ مِنصَّتِهِم،

ولسانُ بيانهم، وسيفُ برهانهم، طوى لي الله في منشور فرديتي مزاياهم، ونَسَجَ في درعي معناهم، من آوى إلى رُكني فقد آوى إلى أركانهم جميعهم، ومن انتشق من عطري فقد انتشق من لطائف عطرهم كلِّهم، ومن عوَّل عليَّ في العصر، وانتمى إلى طريقتي لا يُبالي ولو فارق غيرها.

فأنا شيخُ الزَّمان، وصاحبُ العصر والأوان، وأنا - والحمد لله - تُرجمان الحكمة، وعالِمِ الأمَّة، ذلك فضل الله، والله ذو الفضل العظيم، ولم أقل حرفاً لم يكن لي فيه الإذن الخاصُّ من رسول الله ﷺ، وقل للمحجوب الغافل:

أيُّها المحجوبُ وهماً بالدَّعاوى والدَّواعي

لا تُضِعْ بالطَّيشِ وقتًا صاحبُ الوقتِ رفاعي

أنا هو ذاك الأشعث الأغبر نتيجة آل صاحب الكوثر، وسيُقامُ لي شأنٌ في الشَّرق والغرب، وفي سائر الأقطار كالشَّمس ظهر النَّهارِ، ينتفعُ به المقبولون الموفَّقون، ويُفْتَنُ به المخذولون، ولسان العون يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢]، ومسكُ الختام، منِّي ومن كلِّ ذرَّةٍ علويَّةٍ وسُفليَّة، في كلِّ حضرةٍ منبلجةٍ وخفيَّةٍ، على سيِّد سادات الوجود المصطفى وإخوانه النَّبيِّين وآلهم وصحبهم أجمعين ألف صلاةٍ وألف سلامٍ، والحمد لله ربِّ العالمين.

فهرس الموضوعات

مقدمة المحقق.. ٥
منهج التحقيق.. ٩
ترجمة الإمام المؤلِّف ١١
افتتاحية الكتاب ١٧
مقدمة المؤلف ١٨
صون الله تعالى الطريقة الرفاعية من المزالق.. ٢٢
سبب النِّقْمة على الطَّريقة الرِّفاعيَّة ٢٤
آفات بعض المتفقِّهة.. ٢٥
سببُ تأليفِ الكتاب ٢٧
أَوَّلُ المراحلِ: القيامُ بأركان دين الإسلام الخمسة.. ٢٩
الركن الأوَّل من أركان الإسلام: التَّوحيد ٢٩
فضل الذِّكر ٣٠
الرُّكن الثَّاني: الصَّلاة ٣٢
جمع كلمة المسلمين على المذاهب الأربعة ٣٥
الرُّكنُ الثَّالث: الزَّكاة ٣٩
الرُّكنُ الرَّابع: الصَّوم ٤١
الرُّكن الخامس: الحَجُّ.. ٤٣
من حِكَمِ الحجِّ.. ٤٥
ما يجب على المسلم بعد معرفة أركان الإسلام ٤٥

مرحلة الصُّحبة ٤٧
من أعظم وأهمِّ الواجبات على السَّالك: حسن الظَّنِّ بالمرشد ٤٧
حجاب الكفر، وحجاب حبِّ الدنيا.............................. ٤٩
التَّخلص من حجاب حبِّ الدُّنيا ٥٠
الصُّحبة أوَّل قنطرةٍ يَعْبُرُ منها السَّالكُ إلى حضرة الحقِّ ٥١
مرحلة لذَّة العلم بالله تعالى ٥٣
دواء سقم القلب ٥٤
مرحلة الجوع ٥٥
بيان معنى القلب ٥٨
مرحلة الأخلاق ٥٩
الأخلاقُ الحسنةُ ٥٩
الأخلاقُ السَّيِّئة ٦٣
الأخلاق منها خلقيٌّ ومنها كسبيٌّ والدَّليل على كلٍّ منهما ٦٤
تطهير الأخلاق السَّيِّئة بالمجاهدة ٦٥
مرحلة العلم الذي طَلَبُهُ فريضةٌ على كلِّ مُسلمٍ ومسلمةٍ ٦٧
واجب التَّفريق بين لَـمَّةِ المَلَكِ ولَمَّة الشَّيطان ٧٦
لا فرق بين علم الظَّاهر وعلم الباطن ٦٩
بيان قول النبي ﷺ في العلماء: «مَا لَمْ يُخَالِطُوْا السُّلْطَانَ»............. ٧٢
من هو العَالِمِ ؟.. ٨١
مرحلة الخوف من الله ٨٧
الخائفون على أقسام ٨٨

من أقسام الخوف الشَّريفة الكاملة ٨٩
مرحلة الرَّجاء ٩٣
من آداب الرَّجاء ٩٤
الفرق بين الحال والمقام والوجد والتَّواجد ٩٩
مرحلة الصبر ١٠٣
من أشرف مراتب الصَّبر ١٠٣
الـرَّدُّ على البندنيجي والتَّحذير من الدَّعاوى العرفانيَّة والرُّموزاتِ الـمُختَرَعة الخياليَّة ١٠٧
الصَّبرُ عند عربدة سكر الحال عن إطلاق اللِّسان بالدَّعاوى العريضة....١١٠
الصَّبر عن الكلام في الـذَّات والصِّفات، والوقوف مع ظواهر النُّصوص في العموم والخصوص... ١١٢
الدَّس على كتب الشَّيخ الأكبر ﵁......................... ١١٣
ذكر بعض النُّصوص المكفِّرة المدسوسة على الشَّيخ الأكبر ﵁.......... ١١٤
الرد على من أنكر بأن حقائق الأشياء ثابتة.................... ١١٨
ردُّ القول بأنَّ الصُّوفيَّة اصطلحوا على ألفاظٍ مخالفةٍ للشَّرع............١٢٦
هل الكلمات المخالفة للشريعة من قبيل المتشابه في الكتاب والسُّنَّة؟!. ..١٢٧
هل الكلمات المخالفة للشَّريعة المطهَّرة من أمور القلب؟! ١٢٨
صدور كلمة أو كلمتين حال السُّكر والشَّطح قد يمكن...............١٣٠
عدم التَّكليف بما وراء طور العقل ١٣٠
مرحلة الشُّكر...١٣٥
شكر القلب ١٣٥

شكر اللِّسان..١٣٦
الشُّكر على ١٣٦
من آداب الشُّكر ١٣٧
الشُّكر على سلامة العقيدة.............................١٣٩
خلاصة العقيدة عند السَّادة الرِّفاعيَّة ١٤١
خُلاصة أقوال السَّادة الرِّفاعيَّة في معرفة قدر النَّبيِّ ﷺ ١٤٤
خلاصة أقوال السَّادة الرِّفاعيَّة في الآل والأصحاب ﵃...............١٤٦
ملخص أقوال السَّادة الرِّفاعيَّة في المبايعة وتلقين الذِّكر...............١٤٧
ملخص أقوال السَّادة الرِّفاعيَّة في الزِّيِّ والخِرقَة.......................... ١٤٩
حكم تلقين كلمة التَّوحيد...١٥٢
مرحلةٌ في معرفة شأن الإمام أحمد الرِّفاعيِّ ﵁ ١٥٧
الأصول التي قامت عليها طريقة الإمام الرِّفاعيِّ ﵁ ١٥٩
أقوال الأئمَّة في علوِّ شأن الطَّريقة الرِّفاعيَّة................................ ١٦٦
بيان أُسُس الطريقة الرّفاعيّة على لسان مؤسِّسها الإمام الرّفاعيّ ﵁ ١٦٩
شيوخ الإمام الرّفاعيّ ﵁ في لبس الخرقة ١٧١
الطَّريق الأوَّل في السَّند الشَّريف ١٧١
الطريق الثاني في السَّند الشَّريف ١٧٣
الطريق الثالث في السَّند الشَّريف وما فيه يدٌ من غير أهل البيت ١٨٠
كرامات الإمام الرفاعي ﵁ ١٩٩
كرامة تقبيل اليد النبوية الشريفة ٢٠٣
نسب الإمام الرفاعي ﵁ وحسبه ٢١٠

مرحلةٌ في التَّحدُّث بالنِّعمة ٢٢٧
بيان مضمون قول النبي ﷺ: «اطْلُبُوا العِلمَ ولَوْ فِي الصِّينِ»................ ٢٣٢
نكتة: المعصيةُ تصدر من الوليِّ ليثبت حكم العصمة للأنبياء ٢٣٥
ومن نوع التَّحدُّث بالنِّعم ٢٤٤
فهرس الموضوعات ٢٤٧